الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي

كلية العلوم الاسلامية **مديرية ما بعد التخرج و البحث**

قسم اصول الدين **العلمي و العلاقات الخارجية**

تجديد الخطاب الدعوي المعاصر –محمد الغزالي انموذجا–

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الاسلامية _تخصص: دعوة وثقافة اسلامية

إعـداد الطالب : **إشراف الاستاذ الدكتور :**

قــواو عبد الحق عبد الرحمان تركي

أعضاء لجنة المناقشة :

الاسم و اللقب	الرتبة	المؤسسة الاصلية	الصفة
يوسف عبداللاوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيسا
عبدالرحمان تركي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفا ومقررا
محمد الصديق قادري	أستاذ محاضر . أ .	جامعة الوادي	مناقشا
سعيدة درويش	أستاذ محاضر . أ .	جامعة باتنة	مناقشا
سعيدة عباس	أستاذ محاضر . أ .	جامعة باتنة	مناقشا
علي خضرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشا

السنة الجامعية : 1444 -1445هـ /2023-2024م

شكر وعرفان

- للأستاذ الدكتور: عبدالرحمان تركي مشرفي في البحث، على كرم توجيهه، وجميل صبره المرافق للمسار البحثي في هذا الطور وجزاه الله عني خير الجزاء.

- شكر عام لجامعة الشهيد حمة لخضر، وشكر خاص لكلية الشريعة العامرة على الحركية والنشاط العلمي الدؤوب ذائع الصيت في سبيل خدمة البحث العلمي

- شكر خاص للأستاذ الدكتور: بدر الدين زواقة، الأب المعرفي، وصاحب الفضل في التوجيه والإرشاد والمرافق لمساري البحثي عبر مختلف الأطوار حفظه الله ورعاه.

- شكر خاص للصديق الدكتور: محمد الصديق قادري على دعمه وتوجيهه الدائم خلال مساري البحثي في طور الدكتوراه.

الإهداء

إلى التي علمني حبها الخالد في القلب أن أقف أمام أفراح الدنيا وأحزانها، على مسافة واحدة من الهدوء والرضى. بقدر بسمتك في سماء الخلود عند مليك مقتدرمولاتي السيدة الفاضلة: **"زينب"**

- إلى صاحب الفضل والدي الكريم **"الذوادي"** حفظه الله وأدام عزه.
- إلى الدكتورة **"أمل"** كريمتي وحبيبة القلب، ورفيقة دربي صاحبة الفضل في إتمام هذه الدراسة وإخراجها إلى النور.
- إلى شقيقة الروح الكريمة الأستاذة **"إيمان"**
- إلى الإخوة الكرام: **بدرالدين، أمين، نورالدين**.
- إلى حبيباي من عالم البراءة والطفولة أبناء الأخ: **آدم وأحمد**.
- إلى الأصدقاء الأفاضل كل باسمه ومكانته على الدعاء والدعم الدائم، محبتي وتقديري.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين وسيد العارفين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين، وبعد.

معلوم أن الخطاب الدعوي أو الديني يشكل رافدا أساس في توجيه الإنسان والرأي العام في العالمين العربي والإسلامي، وصياغة ثقافتهم وأفكارهم وأحكامهم ومشاعرهم تجاه القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية، كما له الدور الكبير في صناعة واقع الأفراد نفسيا ومعرفيا.

الأمر الذي يحتم على العاملين في الحقل الدعوي والمعرفي، التقييم الدائم للرسالة الدعوية في مضامينها وأساليبها، ومحاولة رصد الحركة الدعوية، وتقويم مسارها، وكذا تقييم وتقويم خطاب القائمين عليها من الناحية المنهجية والمعرفية، والمراجعة الدائمة للوسائل والأساليب ومدى فاعليتها في الواقع المعاصر، لمواجهة التحديات والمتغيرات المتسارعة في الشأن المعرفي والتقني، ومواكبة التحولات الاجتماعية والسياسية.

شكل الخطاب الدعوي لمحمد الغزالي في القرن الماضي، ثورة وثروة فكرية في خطاب الدعوة، وامتداد وازن لجهود العلماء والمفكرين المعاصرين والسابقين له، إذ كان تراثه إضافة نوعية في مضامين وأساليب خطاب الدعوة الإسلامية في الراهن، بما أثاره من نقاش حول واقع العالم العربي والإسلامي، وأسباب تخلفه، كما يمكن وضع مشروعه في سياق الحركة التجديدية في الفكر الإسلامي المعاصر، حيث حاول تحديث وتطوير فهم تطبيقاته على الواقع الحديث، ولم تزل كتاباته وتراثه تثير الكثير من الجدل والنقاش.

كما يعتبر محمد الغزالي من المفكرين الذين حاولوا إحياء العقلانية في خطاب الدعوة الإسلامية، وتعزيز النهج العلمي والفلسفي في الفكر الإسلامي، مدافعا عن أصول الإسلام وكلياته ومقاصده الكبرى، متجاوزا للقضايا الخلافية والصراع حول الفروع والجزئيات.

شكل تراثه تفاعلا مع نصوص الوحي في القران الكريم والسنة النبوية المطهرة، بعقله المنفتح وقلبه المتشبع بخاصية الرحمة في رسالة الإسلام، من خلال تركيزه على المقاصد والغايات، محاولا علاج الأدواء الحضارية للأمة في مختلف الميادين والمجالات.

رافع –رحمه الله– لأجل العدل والعدالة الاجتماعية، عارض الظلم والاستبداد السياسي، دافع عن حقوق الإنسان، في التعليم والصحة والعمل، وحقوق العمال والطبقات الضعيفة، كما دافع عن حرية الرأي والفكر، وحقوق المرأة، متشبعا في كل ذلك بأصالته كشيخ أزهري، ومتحدثا باسم الدعوة الإسلامية المعاصرة، منفتحا على الثقافات المختلفة، ومستوعبا لها، جمع بين العقل والنقل في نقاش الواقع، ومعالجة القضايا المختلفة.

إشكالية البحث

- ينطلق الخطاب الدعوي في فكر محمد الغزالي من قناعته أن الإسلام ليس مجرد دين ينظم علاقة الفرد بخالقه فحسب، بل هو نظام شامل للحياة الإنسانية، يمكنه مسايرة التحديات المعاصرة، وتجاوزها إذا أحسنت الامة الإسلامية التعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والتفاعل الواعي مع سنن الله المطردة في الأنفس والآفاق. ونطرح هنا الإشكالية الرئيسية في موضوع البحث:

إلى أي مدى يكن اعتبار جهود وفكر محمد الغزالي صورة من صور التجديد في العصر الحديث ؟!

ويتفرع عن هذه الإشكالية بعض الإشكاليات الفرعية التي سنحاول نقاشها في ثنايا بحثنا:

- **من هو الشيخ محمد الغزالي؟ وما العوامل التي أثرت في تكوين شخصيته ؟!**
- **مدى وجود وحدة تصور في أسس الخطاب الدعوي في الجانب العقائدي ومرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية ؟!**

- **مدى فعالية الخطاب الدعوي في تجاوز الراهن ومواجهة القضايا المعرفية المعاصرة ؟!**

أسباب اختيار الموضوع:

يمكن تلخيص أسباب اختيار الموضوع فيما يلي:

1_ التخصص في الدعوة والثقافة الإسلامية، والاهتمامات الشخصية بقضايا الفكر الإسلامي المعاصر، والجدل الدائم حول ما يتعلق بشؤون الدين والدعوة وعلاقتها بالواقع الإنساني.

2_ اهتمامي بفكر ومنهج محمد الغزالي في مراحل الدراسة السابقة ونهمي لكل ما وقعت عليه عيني من تراثه، مؤلفات، سمعي بصري، مقالات، بحوث علمية حول فكره.

3_ جهود محمد الغزالي في مسيرته الدعوية، ووقوفه على مواطن الخلل في تخلف الامة الاسلامية، وتناوله لقضايا وشؤون العالم الاسلامي من ظلم واستبداد سياسي وعنف وتفرق وغيره، مما لا يتفق وروح الإسلام ومعاني الإيمان، ولا ينسجم مع كليات ومقاصد شريعة الإسلام. ما يستدعي البحث والتنقيب في تراثه ومسيرته الدعوية في محاولة الإصلاح والرقي الحضاري.

الدراسات السابقة

تعددت الدراسات حول فكر وتراث محمد الغزالي، وتنوعت في مضامينها وأهدافها، منها ما تعلق بالدراسات القرآنية أو الدراسات حول منهجه في التعامل مع السنة النبوية، ومنها ما وقع في دراسات عليا خاصة بالماجيستير أو الماستر أو الدكتوراه، حسب مجال الباحث وتخصصه. ولم يقع بين يدي الباحث أي دراسة (ماجيستر أو دكتوراه) خاصة بالتجديد في فكر محمد الغزالي، اللهم مقالات علمية صادفتها على منصة الباحثين، كموضوع "التجديد ونظام الحكم في فكر الشيخ الغزالي"، وموضوع "التجديد الفقهي عند الشيخ محمد الغزالي"

وأشير هنا إلى كتاب مهم في موضوع البحث تحت عنوان: "تجربه الشيخ محمد الغزالي في تجديد الفكر الإسلامي" للدكتور محمد يونس

يتضمن الكتاب خمسة فصول تتناول سيرة ومسيرة محمد الغزالي والموقع الفكري له، في مدرسة التجديد الإسلامي الحديثة، معالم منهجه العلمي في التجديد، الغزالي والتجديد الإسلامي في الميدان السياسي، إسهاماته في إصلاح الفكر الإسلامي، تجربة الغزالي الدعوية في ميزان علم الاتصال.

كما يرصد الكتاب ثلاث ركائز رئيسة انطلقت منها تجربة الغزالي في إصلاح الفكر الإسلامي وتجديده، وهي: تصحيح أسلوب تعامل المسلمين مع القرآن الكريم والسنة النبوية (بحيث يكون برؤية حضارية تضع نصب أعينها مقاصد الإسلام الكبرى)، توجيه العقلية الإسلامية المعاصرة للعودة إلى الاعتماد على حقائق الدين النقية، إعادة ترتيب أولويات العقل المسلم بحيث تنال اهتمامه الأساسي القضايا الجوهرية لا الثانوية أو الهامشية. كما يوضح مؤلف الكتاب، أن الغزالي قدم للأمة الإسلامية تفسيراً جديداً للقرآن الكريم.

أما في موضوع التجديد فهناك الكثير من الدراسات حوله، أغلبها دراسات من زاوية فلسفية وبعضها من زاوية دينية شرعية، تحدثت عن التجديد وأهميته في الخطاب الديني، وبعضها جاء في سياق تحولات سياسية واجتماعية لبعض الدول العربية والإسلامية كما هو الحال في المملكة العربية السعودية ومصر والإمارات العربية المتحدة، وتجاوز الأمر حدود العالم العربي والإسلامي إلى بعض الدول الغربية من خلال الدعوات المتكررة إلى ضرورة تجديد الخطاب الديني أو الدعوي، من مؤسسات رسمية سياسية ودينة.

حاولنا في هذه الدراسة تحري التجديد في الطرح والدراسة من خلال الجمع بين موضوع التجديد في الخطاب الدعوي، وفكر محمد الغزالي، بالاعتماد على ما سبق من البحوث والدراسات العلمية حول تراثه، أو حول موضوع التجديد في الخطاب الدعوي.

منهج الدراسة.

غلب على البحث المنهج الوصفي التحليلي وكان استعماله عاما في كل فصول ومباحث الرسالة، بخاصة في جمع الأفكار والرؤى المتعلقة بفكرة ما، فالدراسة التحليلية تعتمد البحث وتتبع

أفكار محمد الغزالي من خلال كتبه ومؤلفاته، في رصد جهوده التجديدية وكذا جهود معاصريه ورصد الأفكار الدعوية المعاصرة من خلال الإنتاج المعرفي والعلمي في الشؤون الدعوية والحضارية المتعددة.

وأشير هنا إلى ميلي ترك محمد الغزالي يسترسل في بسط فكرته ولو قارب الأمر الصفحة في بعض مباحث الرسالة، نظرا لغزارة ما تحمله كلماته من معاني صادقة لا يمكن فصل بعضها عن بعض، ونظرا للترابط الحاصل بين أفكاره.

أما **المنهجية** المتبعة في كتابة الرسالة فقد كانت على هذا النحو:

_ **الخط**: خط المتن TRADITIONAL ARABIC حجم 18 ونفس الخط للتهميش حجم 14.

_ جاء الفصل التمهيدي تحت عنوان الإطار المفاهيمي للدراسة، ببيان مفهوم الخطاب والدعوة والعلاقة بينهما، واهمية الدعوة إلى الله وفضلها، وبيان مفهوم الخطاب الدعوي وأنواعه، كما تم فيه مناقشة مفهوم التجديد وأصالة المصطلح في تاريخ المعارف الإسلامية، وذكر دوافع التجديد في الخطاب الدعوي المعاصر والمحاور الأساسية التي تدور حولها فكرة التجديد.

_ أما الفصل الأول فكان مخصصا للمسيرة الدعوية والفكرية لمحمد الغزالي، بمبحث للسيرة الذاتية لشخصية البحث، حول النسب والاسرة والمولد وأبرز المحطات في حياة الغزالي عليه رحمة الله، ومبحث للمنطلقات الأساسية في تكوين الشخصية والعوامل المؤثرة فيه، ومبحث آخر للإنتاج الفكري والعلمي لشخصية البحث.

_ الفصل الثاني جاء تحت عنوان: التجديد في الفكر والتصور، وكان من الأهمية بمكان في موضوع البحث، إذ أن وحدة الرؤية والتصور في الكليات والمقاصد الكبرى ضرورة وحتمية في الخطاب الدعوي، فهو الارضية المشتركة التي تجمع القائمين على الخطاب الدعوي في تحديد المفاهيم والرؤى، وتحديد عملية التفاعل بين نصوص الشرع وقضايا الواقع.

تناول المبحث الأول مسالة علم الكلام، من حيث النشأة والتطور، سجلنا فيه ملاحظات محمد الغزالي حوله، وكذا الرؤية التجديدية التي طرحها الشيخ في منهج دراسة علم الكلام، أكد فيها أن القرآن الكريم وحده الكفيل بتحديد وجهة المعارف الكلامية في تناول مسائل العقيدة والإيمان.

وجاء في المبحث الثاني دراسة حول المصدر الأول في الشريعة الإسلامية القرآن الكريم، تنبيها إلى مركزيته في الرؤية الحضارية للخطاب الدعوي المعاصر، بالإضافة إلى ذكر ملاحظات محمد الغزالي حول مسالة تعامل المسلمين مع القرآن الكريم، وأهمية الدراسات القرآنية وفق المنهج المقاصدي وضرورة توجيه الخطاب الدعوي لأهداف القرآن الكريم وغاياته.

أما المبحث الثالث فكان بعنوان السنة النبوية في الخطاب الدعوي المعاصر، وفيه تعريف بالسنة النبوية وأقسامها وحجيتها، ومكانة السنة في الخطاب الدعوي لمحمد لغزالي، وأهمية الدراسات المقاصدية في تناول نصوص السنة النبوية المطهرة.

_ الفصل الثالث بعنوان: من قضايا التجديد في الخطاب الدعوي المعاصر، كمحاولة لنقاش بعض القضايا الدعوية برؤية تجديدية من خلال تراث محمد الغزالي.

خصص المبحث الأول لموضوع المرأة في الخطاب الدعوي المعاصر، من خلال عرض تاريخي لمكانة المرأة عبر الحضارات وفي الديانات السماوية السابقة، وناقش الرؤية الحضارية للمرأة ودورها في الخطاب الدعوي من خلال فكر الغزالي.

أما المبحث الثاني فحمل عنوان التربية والتزكية في الخطاب الدعوي المعاصر، وفيه بيان لمفهوم الاخلاق والإيمان والعلاقة بينهما، كما تطرق لمفهوم التربية والتزكية في فكر الشيخ الغزالي.

وكان عنوان المبحث الثالث: الخطاب الدعوي وشؤون الحكم والسياسة، كمحاولة لصياغة رؤية حضارية لعلاقة الدعوة بالسياسة، ودراسة حول المسألة السياسية بين الفقه وعلم الكلام، ومرتكزات الحكم الراشد في تصور الخطاب الدعوي.

_ **المراجع**: ذكر عنوان الكتاب أولا، ثم مؤلفه، وأذكر المحقق إن وجد، ثم أسجل الدار الناشرة، أو المؤسسة الطابعة للكتاب، مع ذكر رقم الطبعة وسنة النشر ان وجدت.

_ **الآيات القرآنية** الواردة في البحث فقد نقلت من نسخة المصحف المسجل في نظام الوورد، والذي يتناول المصحف برواية حفص عن عاصم كما جاء مشكلا في المصحف الشريف.

_ **الأحاديث النبوية** اعتمدت في تخريجها على الموسوعات الإلكترونية للأحاديث النبوية عن طريق شبكة النت من خلال الموقع العلمي الموثق في مجال تخريج الأحاديث النبوية الموسوم ب"الدرر السنية" مركزا ما أمكنني ذلك على أمهات الكتب في الحديث (البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد وموطأ الإمام مالك...)

-وقد خصصت فهرسا **للآيات القرآنية** حيث أجمع كل ما ورد من الآيات في السورة الواحدة من خلال كل ما جاء من آيات في البحث، نزولا مع سور القرآن الكريم حسب ترتيبها المعلوم مع ذكر الصفحة ورقم الآية.

-وأما **فهرس الأحاديث النبوية** فقد جاء حسب الترتيب الأبجدي لكل الأحاديث الواردة في البحث معتمدا ذكر طرف الحديث، ولم أذكر الراوي أو رواة الحديث، وقد اكتفيت بذكر الصفحة حتى تسهل عملية الرجوع إلى موضع الحديث في البحث.

-وأما **فهرس المراجع والمصادر** فقد سجلت كل ما هو مصدرا للبحث أو مرجعا له، بعد الاطلاع على محتواها نظرا لما تحمله من رصيد معرفي ومادة علمية ذات صلة بموضوع البحث ومستلزماته.

- **ملخص للبحث** عرض موجز لموضوع الرسالة، تناولنا فيه كل محتويات البحث عند فصوله الثلاثة وما تناوله كل فصل من مباحث ومطالب وفروع وتقسيمات أخرى.

كما تم تقديم **ترجمة خاصة** بملخص البحث إلى اللغة الانجليزية، وفق متطلبات الأكاديمية العلمية في تقديم البحوث.

صعوبات البحث.

- أسلوب محمد الغزالي بارع ككاتب وأديب ومفكر، وداعية إلى الله عز وجل من طراز الراسخين في العلم، وفارس الدعوة الإسلامية في عصرها الحديث، لكن الإشكال أنه لا

يكتب على شاكلة الكتاب المعاصرين باستهداف موضوع معين، ولا هو من الكتاب الأكاديميين، إذ في غالب مؤلفاته لم يخصص لفكرة ما كتاب معين بمباحث متسلسلة في خدمة موضوع واحد، فقد نجد فكرة واحدة مبعثرة في كل مؤلفاته خلال مسيرته الدعوية، ما تطلب تتبع كتبه كلها، أو جلها لأجل الخروج برؤية الشيخ في فكرة ما.

- عدم توفر كل الدراسات حول فكر محمد الغزالي وخاصة العلمية منها، الذي يتسنى لنا من خلاله معرفة رقم الطبعة وسنة صدور الكتاب والرجوع إلى الصفحة الصحيحة عند الاقتباس والنقل، وإن كان – والحمد الله – قد نابت عن ذلك الكتب الإلكترونية.
- محمد الغزالي يفرض على قارئه القراءة وإعادة القراءة حتى يتضح أمامه ما خفي عنه في البدايات، وقد كان يدفعنا هذا إلى تتبع ما جاء في كل كتبه لأنه حسب سياق الدعوة ومتطلبات الفكرة والمرحلة يختلف تحليله من كتاب إلى آخر ومن مرحلة لأخرى.

وبعد: فهذا مبلغ الجهد في هذه الدراسة، أقدمه بين يدي لجنة المناقشة الموقرة للتقييم والتقويم، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الفصل التمهيدي:
الإطار المفاهيمي للدراسة

منهجي في الدعوة

أرى أن ألقي ضوءا على طريقتي في الدعوة، ووسائلي لدعم الإيمان والمنهج الإسلامي!

إنني أعتقد أن الدين هو الفطرة السليمة، قبل أن تشوهها تقاليد سيئة وأفكار سقيمة، وأن أنصبة الناس من سلامة الفطرة شديدة التفاوت، وأن هذه الأنصبة موزعة على خلق الله حيث كانوا، ومن ثم فأنا أرقب ما يصدر عن الناس من أقوال وأفعال، وأزنه بمعيار الفطرة المقررة عندي، فما كان خيرا قبلته، وما كان شرا رفضته.

وفي حالتي الرفض والقبول فأنا أكمل للناس ما نقصهم، أو أؤكد ما لديهم، من التراث الذي خصني الله به! أعني من الإسلام الذي هداني الله إليه، إذ أوجدني في بيئة يسرته لي، ومكنتني منه.

إن الأديان أقدار! وإذا أنعم الله علي بالإسلام فلأقدر هذه النعمة، وليكن تقديري لها أن أعامل من حرموها بشيء من الوعي للظروف التي أحاطت بهم.

والواقع أني أكره العنف والتحامل على الآخرين، وبقدر ذلك أكره العدوان على ديني، والإفتيات على حقي.ـــــــــــــــــــــــــــ محمد الغزالي

إسلامية المعرفة ص 201.

تمهيد

لا يمكن لأي إنسان التواصل مع غيره دون تخاطب، سواء كان مباشر وجها لوجه أو غير مباشر عن طريق الرسائل المكتوبة، أو مختلف الوسائل التواصلية الأخرى، وقد يحدد نوعه حسب الهدف من هذا الخطاب، فيمكن التمييز بين الخطاب الأدبي والخطاب الدعوي، وهذا الأخير يستخدمه الداعية من أجل الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده، من خلال شرح مختلف النصوص الشرعية، وبيان أصول الإيمان والأخلاق والأحكام العملية في العبادات أو المعاملات المتعلقة بأفعال المكلفين، وإعادة إحياء ما اندرس من أحكام الإسلام والاجتهاد لإسقاط تعاليمه على مختلف الوقائع المستجدة، التي لم تقع على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، ولا يوجد فيها نص صريح، وهذا ما يصطلح عليه بتجديد الخطاب الدعوي.

تم تقسيم الفصل التمهيدي إلى ثلاث مباحث:

- **المبحث الأول: مفهوم الخطاب والدعوة**
- **المبحث الثاني: مفهوم الخطاب الدعوي.**
- **المبحث الثالث: تجديد الخطاب الدعوي.**

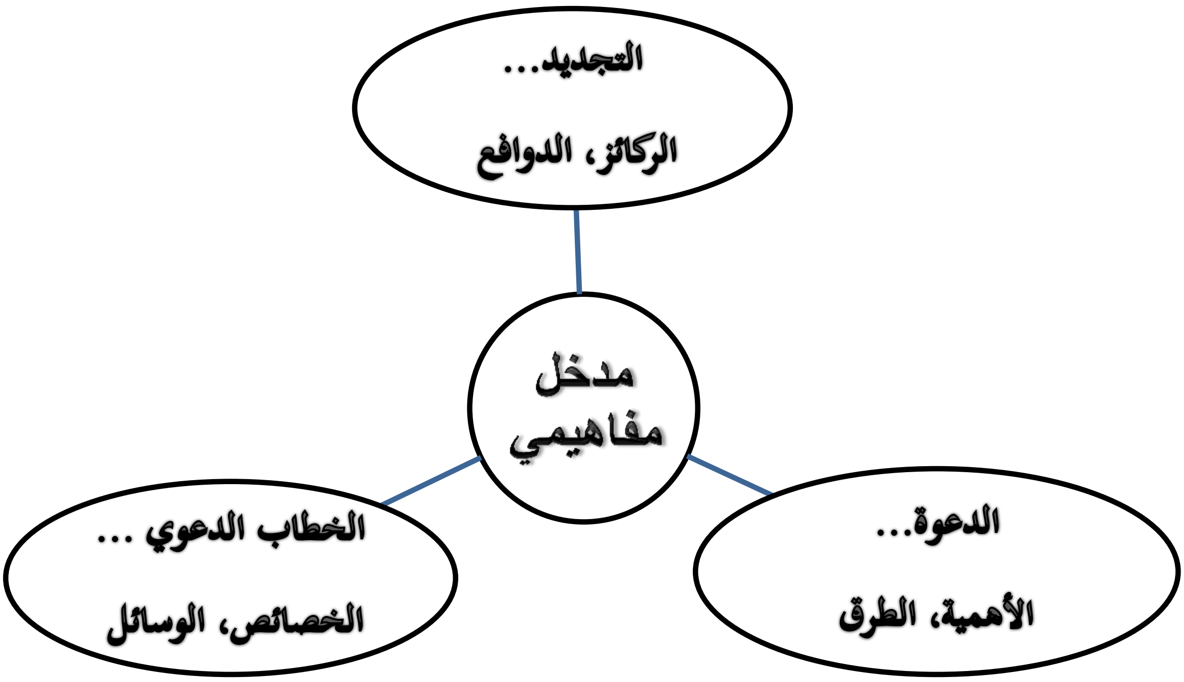

المبحث الأول: مفهوم: الخطاب، الدعوة، المعاصر

المطلب الأول: تعريف الخطاب لغة واصطلاحا

أولا– التعريف اللغوي للخطاب

ترتبط الدلالة اللغوية لمصطلح الخطاب بمعنى المحادثة والكلام، حيث يقول الجوهري في معجم الصحاح: "خَطبت على المنبر خُطْبَة بالضم، وخاطبه بالكلام مُخاطَبة وخِطابًا."[1]

كما يقول الزمخشري في معجم أساس البلاغة: "خطب: خاطبه أحسن الخاطب، وهو المواجهة بالكلام."[2]

أما ابن منظور: "الْخِطابُ والْمُخاطَبة: مراجعة الكلام، وقد خاطَبه بالكلام مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهما يَتخاطبانِ، واسم الكلام: الْخُطْبَةُ، الْخُطْبَةَ عن العرب هي الكلام المنثور المسجع ونحوه.[3]

وجاء في المحيط خَطَبَ الخاطِبُ على المنبر خَطابَةً بالفتح، وخُطْبَةً بالضم، وذلك الكلام خُطْبَةٌ أيضا، أو هي الكلام المنثور المسجع ونحوه.[4]

من خلال ما سبق نلاحظ أن هناك اتفاق حول التعريف اللغوي لمصطلح الخطاب في المعاجم العربية، حيث ارتبط هذا المفهوم بشكل مباشر بالكلام، وهو يعني: "تبادل الكلام أو المحاورة بين طرفين أو أكثر حول موضوع معين." ومن الملاحظ أن هذا التعريف (تبادل الكلام بين أطراف الخطاب) قد ركز على الجانب المادي لهذا المفهوم (الكلام الملفوظ) وأهمل الجزء المعنوي له، وهذا ما

---

[1]– الجوهري، **الصحاح (مادة خطب)**، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2009، ص 327.

[2]– الزمخشري، **أساس البلاغة (مادة خطب)**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ص 255.

[3]– ابن منظور، **لسان العرب (مادة خطب)**، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، ص 1194-1195.

[4]– الطاهر أحمد الزاوي، **ترتيب قاموس المحيط**، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، دار الفكر، د.ت، ص 75.

تبناه عدد من العلماء عند محاولتهم لتعريف الخطاب من الناحية الاصطلاحية وتمييز بينه وبين النص على أساس المشافهة والكتابة.

أما تصورها عند اليونان فهي شيء آخر "إذ يرتبط الحديث عن الخطاب بالخطابة التي فصلها أرسطو عن الشعر، وقد قال عن مكوناتها: أما اللاتي ينبغي أن يكون القول فيهن على مجرى الصناعة فثلاث: إحداهن الإخبار من أي الأشياء تكون التصديقات والثانية ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ، والثالثة أنه كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول. ونستخلص من مقولة أرسطو عناصر الخطابة الآتية:[1]

- عنصر الإقناع أو البراهين.
- الأسلوب أو التنظيم أو البرهان.
- ترتيب أجزاء القول.

أما في القرآن الكريم فقد وردت مادة (خ-ط-ب) في اثني عشر موضعا من القرآن الكريم، تارة بلفظ الخَطْب (خمس مرات)، وتارة بلفظ خِطْبة (مرة واحدة)، وتارة بلفظ خطاب (ثلاث مرات)، وتارة بصيغة الفعل (ثلاث مرات).[2]

ومن المواضع التي وردت فيها بلفظ الخطاب هي في سورة "ص" وبالتحديد في الآيتين 20و23، حيث يقول الله تعالى ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾[ص: ٢٠].وقوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۝٢٣﴾[ص: ٢٣]

[1]- سعد بولنوار، **آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقطي تحديد المفاهيم النظرية**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2011، ص 56.

[2]- عبد الواسع الحميري، **نظرية الخطاب مقاربة تأسيسية**، الطبعة الأولى، دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2015، ص 27.

بتأمل الآيات التي تسبق الآية 20 من سورة "ص" نلاحظ أن الله سبحانه قد جمع لنبي الله داود عليه السلام كل مقومات السلطة والسيادة، فقد جمع له بالحكمة –حسب الجاحظ– البراعة في العقل، والرجاحة في الحلم، والاتساع في العلم، والصواب في الحكم، ليجمع له بفصل الخطاب: تفصيل المجمل، وتلخيص المتلبس، والبصر بالحز في مواضع الحز، والحسم في مواضع الحسم، وانطلاقا من هذا فإن المراد بـ (فصل الخطاب) العلم بفصل الخصومات، أو قوة الحجة والمنطق، أو هو نظام القول الجامع الذي أهم شروط التأثير والإقناع.[1]

أما المقصود بـ "عزني في الخطاب" فهو الدلالة على صيغة الخطاب غير العقلاني والذي لا يستدل إلى الحجة، وفيه دلالة على الغلبة والقهر، فكيف لأخ أن يطلب نعجة أخيه الوحيدة ليكمل بها المائة ويصبح مالك النعاج وحده، في حين أن أخيه في أمس الحاجة لها.

ثانيا– التعريف الاصطلاحي للخطاب

ليس هناك تعريف شامل لمفهوم الخطاب، فقد قدمت له الكثير من التعاريف سواء عند العلماء العرب أو الغربيين ومن من تعاريف التي قدمها العرب لمفهوم الخطاب ما يلي:

يقول عبد الواسع الحميري بأنه يمكن النظر إلى الخطاب، بوصفه "استراتيجية التلفظ"، أو بوصفه نظاما مركب من عدد من الأنظمة التوجيهية والتركيبة والدلالية والوظيفية التي تتوازى وتتقاطع جزئيا أو كليا فيما بينها، وهذا يقتضي أن الخطاب بياني، على سبيل المثال، عبارة عن نظام مركب من ثلاثة أنظمة رئيسية، على الأقل هي:[2]

- نظام التوجيه البياني الخاضع لمعيار علم البلاغة القديمة.
- نظام التركيب الخاضع لمعيار علوم النحو والمعاني.

---

[1]– **المرجع نفسه**، ص 35.

[2]– أنظر: عبد الواسع الحميري، **ما الخطاب وكيف نحلله**، الطبعة الأولى، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2009، ص 10، 11.

- نظام الدلالة (الإبانة البيانية) أو الإيعاز بالمعنى المراد، والخاضع لمعيار علم البيان، بوصفه نظام علاقة احتواء وتطابق بين الكلمات والأشياء، أو بين الدوال ومدلولاتها، أو بين عالم القول ولغة القول.

من خلال هذا التعريف نلاحظ أن عبد الواسع الحميري باعتباره أن الخطاب "استراتيجية التلفظ" قد شمل كلا جانبي المفهوم الاصطلاحي للخطاب، المادي الدال على الكلام بين أطراف الخطاب حول موضوع معين، والمعنوي الذي يتضمن المعنى المراد إيصاله من وراء استعمال كلمات محددة أي العلاقة بين الكلمات والأشياء المراد التعبير عنها، كما أشار إلى أن هناك علوم تحكم صياغة الخطاب وتفسيره وهي علوم البلاغة والنحو والمعاني، إضافة إلى علم البيان.

أما فيما يخص التعريف الاصطلاحي للخطاب عند الغربيين، فمن بين التعاريف المقدمة لهذا المفهوم ما يلي:

عرفه جيوفرى ليتش ومايكل شورت بأنه: "تواصل لغوي يُنظر إليه باعتباره عملية تجرى بين المتكلم ومستمع، أو تفاعل شخصي يحدد شكله وعرضه الاجتماعي."[1]

ومن تعريفات الخطاب نذكر أيضا تعريف ميشال فوكو الذي عرفه بأنه:"مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية، قابلة لأن تتكرر إلى مالا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ... بل هو عبارة عن عدد ما يصور المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها."[2]

وعليه يرتكز مفهوم الخطاب عند ميشال فوكو على الطبيعة القولية المنتمية إلى تشكيلة خطابية واحدة على حد تعبيره، وقابلة للتكرر.

---

[1]- سارة ميلز، **الخطاب**، ترجمة: عبد الوهاب علوب، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2016، ص 15.

[2]- صورية دحماني، **التعقيب في الخطاب القرآني –مقاربة تداولية–**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2019، ص 26.

أما إيميل بينيفيست فقد عرفه بأنه: "عبارة على اللغة في حالة الفعل أو هو اللغة بين شركاء التواصل."[1]

ومن الملاحظ أن بينيفيست قد ركز بصفة أكبر على الجانب المعنوي للخطاب "مدلول"، لأن اللغة عنده "لا تقول، ولا نخفي، لكنها تدل".

المطلب الثاني: أنواع وعناصر الخطاب

أولا– أنواع الخطاب

لقد تعددت أنوع الخطاب وتنوعت حسب المرجعية التي اعتمد في التصنيف، لكن بصفة عامة يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أنواع رئيسية وهي:

- **الخطاب القرآني**: هو خطاب إلهي، مطلق لا نهائي في معانيه ومدلولاته صالح لكل زمان ومكان، وله عدة أسماء أخرى وردت في القرآن الكريم منها الكتاب وذلك تصديقا لقوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١﴾[الحِجر: ١]

فالخطاب القرآني متفرد ومتميز عن باقي أنوع الخطاب في تسميته "الكتاب" وفي كل مستوياته سواء التركيبية والمعجمية والصوتية والإيقاعية والتداولية، فأصواته منسجمة متماسكة، وألفاظه واحدة لا تقبل التعدد وتركيباته وإيقاعاته مطلقة ولا نهائية وخطابه متفرد.[2]

[1]– عبد الواسع الحميري، **ما الخطاب وكيف نحلله، مرجع سبق ذكره**، ص 28.

[2]– أنظر: ناعوس بن يحي، **تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص دراسة تطبيقية في سورة البقرة**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2012، ص 28.

والخطاب القرآني محفوظ من الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[الحِجْر: ٩]

واستناد لهذه الآية يتضح أن الخطاب القرآني مرجعيته هي الله تعالى فهو الذي أرسله إلى البشرية جمعاء، وأنزله على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وكل الخطابات الأخرى تأخذ عنه ولا تستطيع أن تأتي بمثله لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤﴾[البَقَرَة: ٢٣ - ٢٤]**الخطاب الإيصالي**: ونماذجه متعددة سياسية، وإرشادية ووعظيه وقضائية وإقناعية، اجتماعية وإعلامية إلى آخره، -يقول الجابري: "صنفنا الخطاب... إلى أربعة أصناف: الخطاب النهضوي وجعلناه يدور حول قضية النهضة العامة والتجديد الفكري والثقافي خاصة، والخطاب السياسي ومحورناه حول "العلمانية" وما يرتبط بها والديمقراطية وإشكالاتها، والخطاب القومي وركزناه حول "التلازم الضروري" –الإشكالي الذي يقيمه الفكر العربي بين الوحدة والاشتراكية من جهة وبينهما وبين تحرير فلسطين من جهة ثانية.- ويأتي الخطاب الفلسفي أخيرا ليعود بنا إلى صلب الإشكالية العامة للخطاب العربي الحديث والمعاصر، وإشكالية الأصالة والمعاصرة-"[1]

[1]- **المرجع نفسه**، ص 29.

ـ **الخطاب الإبداعي** (**الشعري**): نماذجه متعددة هي الأخرى، ولكن يمكن تمييزه عن الأول بأنه يقوم على مبدأ الأجناس الأدبية.[1]

ثانيا– عناصر الخطاب

قد تختلف عناصر الخطاب من منظر إلى آخر وحسب وجهة النظر التي تم الاستناد عليها في تعريفه، سواء كانت من الناحية اللغوية أو اللسانية، ولكن على العموم يمكن إجمالها حسب براون وبول فيما يلي:[2]

- **المرسل**: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.
- **المتلقي**: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.
- **الحضور**: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.
- **الموضوع**: وهو محور الحديث.
- **المقام/ الظروف**: أي السياق الزماني والمكاني للحدث وكذلك الوضع الجسمي وملامح الوجه.
- **القناة**: كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: لفظا أم كتابة أم إشارة.
- **صيغة الرسالة**: هل هي حديث غير رسمي أم خطبة أم حكاية أم رسالة أم قصيدة أم عظة أم حوار.
- **الطابع**: يتضمن تقييم الكلام.

---

[1]– **المرجع نفسه**، ص 30.

[2]– إيمان إسماعيل علي الذواذي، **مستويات الخطاب دراسة نحوية تطبيقية في الصحيح من الأحاديث القدسية**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، 2017، ص 105–106.

- **الغرض:** هو ما تنوي الأطراف المشاركة التوصل إليه كنتيجة للحدث التواصلي

المطلب الثالث: تعريف الدعوة

أولا– الدعوة لغة:

الدعوة في اللغة يراد بها عدة معان: فمنها الرغبة إلى الله، والفعل دعا والمصدر هو الداء والدعوى، والاسم دعوة والدعاوة، ومن معانيها الاستغاثة، وهي مأخوذة من الدعاء وهو نداء لجميع الناس وحثهم للعمل له.[1]

وهذا المعنى يتضح في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾[يُونُس: ٢٤ - ٢٥] وتفيد مادة دعا: "أن تميل إليك الشيء بصوت وكلام يكون منك، تقول: دَعَوْتُ، دَعْوَة، دُعَاء، والدَّعْوَة إلى الطعام بالفتح، والدِّعوَة إلى النسب بالكسر، ومنه دَاعِية اللبن، وهو ما يترك في الضرع طلبا به لما بعده، ومنه تداعت الحيطان، إذا سقط الواحد وراء الآخر فكأن الأول يدعو الثاني[2]، والدَّعْوَة هي المرة الواحدة من الدعاء، والدُّعَاء الرغبة إلى الله عزوجل، الدُّعَاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داعٍ.[3]

---

[1]– محمد صالح ناصر، **منهج الدعوة عند الإباضية**، الطبعة الخامسة، دار ناصر للنشر والتوزيع، دار البيضاء، الجزائر، 2013، ص 16.

[2]– أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، مرجع سبق ذكره، مج2، مادة دعا، ص279.

[3]– ابن منظور، **لسان العرب (مرجع سبق ذكره)**، حرف الواو والياء من المعتل، فصل الدال المهملة، ج14، ص256إلى 262.

وجاء في القاموس المحيط بأن الدَّعْوَةُ يقال: هو منى دَعوة الرَّجُلِ: بيني وبينه قدرُ ما بيني وبين الذى أدعوه.[1]

ثانيا– الدعوة اصطلاحا

الدعوة إلى الله عز وجل هي: "الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه."[2]

وقد حظي مصطلح الدعوة بتعريفات عديدة ومتنوعة بتنوع أفكار الباحثين، حيث ركز عبد الكريم زيدان في تعريفه على نتيجة العمل الدعوي كما وضع ضوابط لذلك، من خلال تحديد المصادر التي سيستقي منها الداعي عمله الدعوي، فعرفها بأنها: "حصيلة العمل المباشر مع الناس من خلال مباشرة الداعي للوسائل فعلا في ضوء ما فهمه من القرآن والسنة النبوية المطهرة وسيرة السلف الصالح واستنباطات الفقهاء، والتجارب النافعة."[3]

كما تعرف أيضا بأنها: "العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى: من عقيدة وشريعة وأخلاق."[4]

---

[1]– الطاهر أحمد الزاوي، **مرجع سبق ذكره**، ص 187.

[2]– سعيد بن علي بن وهف القحطاني، **فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، وكالة شؤون المطبوعات والنشر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ص 6.

[3]– سهام بن سعدي، **أثر استخدام التقنيات الحديثة في الاتصال الدعوي المعاصر من وجهة نظر الشباب الجزائري المتلقي**، مجلة الإحياء، جامعة الحاج لخضر باتنة 1، الجزائر، المجلد 20، العدد 26، سبتمبر 2020، ص 460.

[4]– سعيد بن علي بن وهف القحطاني، **المرجع سبق ذكره**، ص 6.

أما محمد أمين بن عامر فقد عرفها بأنها: "تبليغ الناس جميعا دعوة الإسلام وهدايتهم إليها قولا وعملا في كل زمان ومكان، بأساليب خاصة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم."[1]

لما كانت الدعوة في اللغة هي النداء والاستمالة إلى الشيء، وكان النداء نداء إلى خير أو شر، كانت الدعوة دعوة إلى الخير والهدى أو إلى الشر والضلالة، قال صلى الله عليه وسلم: "من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان له من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئا."[2]

ومنه جاء تعريف الدعوة بأنها: تبليغ الناس جميعا دعوة الإسلام، وهدايتهم إليها قولا وعملا في كل زمان ومكان، بأساليب تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم.[3]

وعرّفها أبو بكر زكري فقال: "الدعوة هي: قيام من له أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كلّ زمان ومكان بترغيب النّاس في الإسلام اعتقادًا ومنهجًا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة."[4]

وعرفها محمد الغزالي بأنها "برنامج كامل يضمّ في أطوائه جميع المعارف الَّتي يحتاج إليها النّاس ليُبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق الَّتي تجمعهم راشدين."[5]

---

[1]- سهام بن سعدي، **مرجع سبق ذكره**، ص 460.

[2]- رواه مسلم في صحيحه، **كتاب العلم**، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم الحديث 4831.

[3]- محمد أمين حسين، **خصائص الدعوة الإسلامية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000، ص17.

[4]- أَبي بكر زَكرى، **الدعوة إلى الإسلام**، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1962، ص 08.

[5]- محمد الغزالي، **مع الله**، الطبعة السادسة، شركة نهضة مصر طباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2005، ص 13.

وعرفها بدر الدين زواقة: "قيام من له الأهلية بدعوة الناس جميعاً لاقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً واعتقاداً بالوسائل والأساليب المشروعة التي تتناسب مع أحوال المدعوين في كل زمانٍ ومكان."[1]

ومن هذه التعريفات التي أوردناها للمفهوم الاصطلاحي للدعوة، يتبين لنا أن الدعوة إلى الله وظيفة مُركبة ينبري لها من اختاره الله وميزه روحا وعقلا وخلقا، للقيام بالبيان وإقامة الحجة على الناس، تحبيبا لهم في الحق والخير، وتحذيرا من الشبهات والشهوات، وبناء للفرد، وصناعة للحضارة، وقياما بشروط الاستحلاف، تحقيقا لمراد الله عز وجل ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[هُود: ٦١]

المطلب الرابع: أهمية الدعوة إلى الله وطرقها

أولا– أهمية الدعوة إلى الله

فضل القيام بواجب الدعوة والحرص على هداية الناس يتمثل فيما يلي:[2]

- **وظيفة الرسل:** الدعوة إلى الله وظيفة الرسل عليهم السلام والتابعين لهم من الأمة الأعلام فعندما يستشعر الداعية أنه يقوم بمهمة الرسل هناك يكفي به فخراً: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف : ١٠٨]

وأنعم به شرفاً أن يكون الداعية من أتباع المصطفى الأخيار.

[1]– بدرالدين زواقة، **من مقال مجالات الدعوة وتطبيقاتها على النصيحة الشرعية**، موقع ضياء للمؤتمرات

[2]– ناصر بن سعيد السيف، **أهمية الدعوة إلى الله تعالى**، تم الاطلاع عليه بتاريخ 02 مارس 2022.

- **أحسن الأقوال:** من فضائل الدعوة إلى الله تعالى أنها أحسن الأقوال عند الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت : ٣٣
- **أجر الداعية:** يكفي الداعية تحفيزاً بأن له من الأجر مثل فاعله، قال رسول الله ﷺ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)، وجاء التحفيز لعل يبن أبي طالب قدوة الدعاة من النبي ﷺ حين أرسله إلى خيبر، وقال له: (فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك حمر النعم) يعني خير لك من القصور والأموال، ومثَّل النبي ﷺ بحمر النعم لأنها أفضل ما تملكه العرب في ذلك الوقت.
- **وقاية الدعاة من اللعنة والعذاب:** بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحل اللعنة، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّ كَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المَائِدَة : ٧٨ - ٧٩] ، وينجي الله تعالى الدعاة إليه عن السوء إذا حل العذاب بالذين ظلموا كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأَعْرَاف : ١٦٥]

ثانيا– طرق الدعوة تختلف طرق الدعوة من حيث طراز الكلام، ومبلغ الاستدلال، لكن الله تعالى بينها في قوله ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[النَّحْل: ١٢٥]

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد من الحكمة: الحجة المفيدة لليقين، ومن الموعظة الحسنة: الأمارات الظنية والدلائل الإقناعية، ومن المجادلة بالتي هي أحسن: الدليل المؤلف من مقدمات مسلمة عند المنازع.[1]

وفصل الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب "الاقتصاد" هذه الأنواع من الحجج وقسم المخاطبين إلى ثلاث طبقات، وعين لكل طبقة نوعا، قال: البرهان يخاطب به الأذكياء، والخطابة يخاطب بها العوام لا يفهمون البرهان، والجدل لا يخاطب به إلا المعاندون في الاعتقاد لأنهم لا يرجعون عن مذهبهم بالموعظة.[2]

ولم يرضى ابن تيمية تفسير الآية بهذه الطرق المنطقية، وقال في رسالة "معراج الوصول": بل الحكمة هي معرفة الحق والعمل به، فالقلوب التي لها فهم وقصد تدعى بالحكمة فيبين لها الحق علما وعملا فتبلغه وتعمل به، وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن إتباعه فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل. والدعوة بهذه الطريقتين لم قبل الحق ومن لم يقبله فإنه يجادل بالتي هي أحسن، والقرآن لا يحتاج مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم لها -كما هي الطريقة الجديلة عند أهل المنطق وغيرهم- بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس وهي برهانية.[3]

ويرى يوسف القرضاوي أن الحكمة يراد بها: مخاطبة العقول بالأدلة العلمية المقنعة، وبراهين العقلية الساطعة التي ترد على الشبهات بالحجج والبينات، وترد المشتبهات إلى المحكمات والظنيات إلى القطعيات، والجزئيات إلى الكليات والفروع إلى الأصول. كما أن من الحكمة

[1]- محمد الخضر حسين، الدعوة إلى الإصلاح، الطبعة الأولى، دار النوادر، دمشق، سوريا، 2010، ص 29.

[2]- **المرجع نفسه**، ص 29-30.

[3]- المرجع نفسه، ص 30.

مخاطبة الناس بما يفهمون وما تستوعبهم عقولهم، لا بما يعجزون عن فهمه وقال على رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتردون أن يكذب الله ورسوله؟"[1]

لذا يجب على الداعية فهم هذه الطرق والانتقاء بعناية فائقة الطريقة التي سيستخدمها لدعوة الفئة المستهدفة، حسب طبيعتهم ومستواهم الثقافي كي يتمكن من تحقيق المقاصد من وراء دعوته، وفي بعض الأحيان يستلزم الأمر استعمال أكثر من طريقة واحدة لأن الإنسان عقل وقلب، فإذا كانت الحكمة تخاطب العقول ويحتاجها الخوص أكثر من العوام، فإن الموعظة الحسنة تخاطب العواطف والقلوب ويحتاجها العوام أكثر من الخواص.

أما الموعظة الحسنة هي الأساس الثاني نت طرق وأساليب الدعوة وتمثل العبر اللطيفة والوقائع المخفية، ليحذروا بأسه تعالى وهي النصح والتذكير بالعواقب وكذلك ما يرق له القلب ويوجهه نحو الطاعة من قول أو فعل. فهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، وهي تكون بذكر الله تعالى وما أعده للطائعين من ثواب العاجل والآجل، وما أعجه للعاصين من عقاب العاجل والآجل.[2]

المجادلة بالتي هي أحسن: تعد الأساس الثالث وهو أسلوب الجدال وكيفيته بالتي هي أحسن والمراد في الآية تحديدا الذي يصرف الناس إلى الحق ويجنبهم الباطل، وهنا دل الحسن الذي يكون بالتي هي أحسن، الهادف إلى إظهار الحق وإرادة الهداية الخ، بأسلوب رفق ولين والجدل يهدف إلى احقاق الحق ونصرته، ويكون بأسلوب صحيح مناسب ويؤدي إلى خير فهو الجدل الممدوح،

---

[1]- يوسف القرضاوي، **خطابنا الاسلامي في عصر العولمة**، الطبعة الأولى، دار الشروق، مصر، 2004، ص 31.

[2]- أحمد عبد المالك بريكي، **أساليب الدعوة الإسلامية للشباب في دولة الإمارات العربية المتحدة: طلبة جامعة الشارقة نموذجا**، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، كوالا لامبور، 2010، ص 51.

والجدل الذي لا يهدف إلى ذلك ولم يسلم أسلوبه ولا يؤدي إلى خبر فهو لجدل المذموم، لذلك جاء الأمر به في القرآن مقيداً بالتي هي أحسن، قيد عطف الله تعالى عز وجل المجادلة على الدعوة، و لم يعطفها على الموعظة الحسنة.[1]

المبحث الثاني: الخطاب الدعوي المعاصر

الخطاب الدعوي، هو الخطاب الذي ينطلق في مضمونه وأسلوبه من الرسالة الإسلامية الخاتمة، مرجعيته القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

المطلب الأول: مفهوم الخطاب الدعوي المعاصر

أولا: الخطاب الدعوي: الخطاب الدعوي هو: "كل نشاط علمي وفكري وسياسي وممارسات فعلية ضمن إطار الدولة والمجتمع والتي تتحرك ضمن أصول وأوامر ومبادئ الدين الإسلامي."[2]

فالخطاب الدعوي يحدد المصلحة من المفسدة، والمستقيم من المعوج، والخطأ من الصواب، وهو الميزان الذي يفصل بين الحق والباطل لأنه: "...تعاليم أخلاقية وإرشادات ونظم اجتماعية، وتهذيب للأرواح وتسلية للنفوس وطهارة لها."[3]

الخطاب الدعوي أو الإسلامي هو: "عين الفكر الاسلامي مجسدا في رسالة، وتلك الرسالة قد تكون خطبة أو درسا أو كتابا أو رواية أو مسرحية أو قصيدة."[1]

---

[1]- **المرجع نفسه**، ص 51- 52.

[2]- الهوارية شيخ أعمر، **تقنيات الإقناع في الخطاب الديني وآلياته التداولية –دراسة في استراتيجية التواصل اللساني–**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الأدب واللغات، جامعة وهران –السانيا، الجزائر، 2014، ص2.

[3]- **المرجع نفسه**، ص 2.

والخطاب الديني: "هو ذلك البناء من الأفكار والمعتقدات التي تتسم بأهميتها الاجتماعية التي تنبع من ارتباطها بدين ما، ومن ثم تأثيرها في تكوين تصور متلقي الخطاب من المؤمنين بهذا الدين عن العالم الذي يعيشون فيه وتحديد كيفية تصرفهم إزاء هذا العالم."[2]

ثانيا: مفهوم المعاصر

المعاصرة لغة: مفاعلة من عاصر يعاصر، وفي المعجم الوسيط: "عاصر فلان فلاناً؛ إذا عاش معه في عصر واحد"[3] ومن هذا التعريف اللغوي ، يمكننا تعريف معاصرة الدعوة في الاصطلاح، بأنها: «تكافؤ الدعوة مع العصر الذي تعيش فيه بحيث تعالج واقعه، وتلبي متطلباته.

فالدعوة المعاصرة لعصر ما، هي الدعوة التي تعالج واقع ذلك العصر، وتلبي متطلباته ، وذلك من حيث حسن التخطيط، وتخير الأساليب، ومناسبة الوسائل، وما إلى ذلك. ويقابل هذا المعنى للمعاصرة : «قصور الدعوة، وعدم قدرتها على معالجة واقع عصرها، وتلبية متطلباته» وكأنها تعيش عصراً غير عصرها. ومن هذا التعريف يمكن أن نستخلص : أن وصف الدعوة بالمعاصرة، صالح لكل زمان ومكان، إذا تحققت فيها هذه المواصفات، وليس وصفاً خاصاً بالعصر الحديث كما قد يتوهم، فدعوة الناس بلسانهم ولغتهم معاصرة، واختيار الأسلوب الدعوي المناسب لموقف من المواقف معاصرة، استخدام الوسائل المتوفرة في عصر من العصور لنشر الدعوة معاصرة، وهكذا.[4]

---

[1]– عبد الكريم بكار، **تجديد الخطاب الإسلامي الرؤى والمضامين**، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2006، ص 7.

[2]– الشريف حبيلة، **منطلقات الخطاب الديني عند محمد الغزالي قراءة في رسالة مصدر الاعتقاد الحق**، مجلة الآداب، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، المجلد 21، العدد الأول، ديسمبر 2021، ص 387.

[3] _ انظر المعجم الوسيط، ج2، ص 610.

[4] _ محمد أبو الفتح البيانوني، **الأصالة والمعاصرة، خصيصتان من خصائص الدعوة الإسلامية**، مجلة جامعة محمد بن سعود،العدد الاول 1989م، ص87.

المطلب الثاني: الخطاب الدعوي وخصائصه

الخطاب الإسلامي يتميز عن غيره من الخطابات الأخرى الدينية والمبدئية بعدة خصائص، وتنقسم هذه الخصائص بانقسام الخطاب الدعوي الفردي أو الجماهير وهي:

خصائص الخطاب الدعوي الفردي: يتميز الخطاب الدعوي الفردي بما يلي:[1]

- المرونة في التفاعل لما في هذه الخاصية من رجع صدى كبير، حيث يتميز الخطاب الدعوي الفردي بدرجة عالية من المرونة، مما يدفع الأفراد إلى محاولة تجريب الأفكار المستحدثة بعد اقتناعهم بها وممارستها.
- تلقائية وعفوية طرفي الخطاب الدعوي الفردي (الداعية والمدعو)، فهي مجال رحب للمصارحة التامة بين الداعية والمدعو.
- اتساع النشاط الدعوي بحسب وظائف الفرد الداعية في الأسرة، في العمل، في الشارع...
- سهولة الخطاب وبعده عن التعقيد، لاعتماده على مستوى واحد، فالداعية يتوجه بخطابه في هذا النوع إلى مستمع واحد، ومن ثم لا يحتاج إلى تلوين خطابه.

خصائص الخطاب الدعوي الجماهيري: يتسم الخطاب الجماهيري بما يلي:[2]

- يتسم بالتعقد والصعوبة: لتنوع جمهور المخاطبين واختلاف أعمارهم وأجناسهم ومستوياتهم الثقافية والإدراكية.

---

[1]- مسيرة أحمد محمد أحمد، **وسائل الخطاب الدعوي في ضوء التجديد**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الرباط الوطني، المغرب، 2018، ص 17.

[2]- **مرجع نفسه**، ص 18.

- أنه عمل مؤسساتي متكامل مع جميع مؤسسات المجتمع: سواء اشتركت في الهدف أو اختلفت، فالداعية عليه أن يحمل مهمة التغيير والإصلاح، والمشاركة في الأعمال العامة كالاتحادات المهنية والخيرية والتشكيلات السياسية والتنظيمات الشعبية المختلفة والمؤسسات ذات الصبغة العامة، يشترك فيها ليوصل إليها فكر الدعوة الإسلامية ويحدث في صفوفها عملية الشامل، أو يبادر بتأسيسها، فهذه هي الخاصية التي ينفرد بها الخطاب الجماهيري.
- جهد هادف ومدروس وغير عشوائي: فهو يتضمن كل التدخلات المقصودة التي تستهدف تحقيق تغيرات في السلوك العلني والمستمر أو الخفي للجمهور المستهدف.
- سريع الانتشار والامتداد المكاني والزماني: تتيح وسائل الخطاب الدعوي الجماهيري بما يتوافر لها من تكنولوجيا من إيصال مضمون الخطاب الدعوي إلى أكبر عدد من شرائح المجتمع.
- انتقائية العرض والإدراك والاستجابة للخطاب الدعوي من طرف الفرد المسلم.
- يتميز الخطاب الدعوي الجماهيري بتنوع أساليبه وهذا ما يتيح لهم أيضا الجمع بين وسيلتين أو أكثر في آن واحد.

الخصائص العامة للخطاب الدعوي: وتتجلى الخصائص العامة للخطاب الدعوي فيما يلي:[1]

- أنه خطاب عالمي جاء للبشرية جمعاء، شامل لجميع مناحي الحياة المتصلة بتنظيم حياة الإنسان بخالقه وبنفسه وبغيره وهو بذلك يختلف عن الديانات الأخرى.
- وهو خطاب نهضوي مؤثر، أي أنه جاء لينهض بالإنسان نهضة صحيحة ويميزه على غيره من الخلق، وهو يخاطب عقل الإنسان وفطرته السليمة.

[1]- **مرجع نفسه**، ص 18-19.

- وهو خطاب ثابت في أحكامه الشرعية لا يتغير بتغير الأمكنة والأزمنة، فإذا عالج الحكم الشرعي قضية ما تبقى القضية تأخذ نفس الحكم، وإذا كان واقع جديد فإنه يحتاج إلى حكم خاص به، أما الوسائل والأساليب فإنها تتغير وتتبدل.
- أنه خطاب توحيدي، يقوم على صهر الناس من خلال المفاهيم في بوتقة العقيدة الإسلامية ليكونوا أمة واحدة، وهولا يقبل الارتباط بغير الإسلام.

المطلب الثالث: وسائل وأنواع الخطاب الدعوي

أولا– وسائل الخطاب الدعوي

وفيما يلي الحديث عن تلك الوسائل بشيء من البيان:

الوسائل التقليدية في الخطاب الدعوي: يمكن إجمال الوسائل التقليدية في الخطاب الدعوي في ثلاث وسائل، هي:

- **الخطابة والوعظ.**
- **الدروس والمحاضرات.**
- **الجرائد والمجلات.**

فالخطابة والوعظ هي أولى وسائل الخطاب الدعوي التي عرفت منذ صدر الإسلام، وظلت فاعلة ومؤثرة بشكل أساسي حتى وقت قريب، وتلاها في ذلك التدريس الذي عرف أيضا منذ صدر الإسلام؛ فكان هو السبيل لنشر أحكام الإسلام وبيانها، وظهرت المدارس وتنوعت لتعليم أبناء المسلمين كافة العلوم والمعارف. وفي العصر الحديث ومع ظهور وانتشار المطابع ظهرت المجلات والصحف التي تخاطب طبقة الثقفين وأنصاف المثقفين، وكان منها الثقافية والأدبية

والعلمية والدينية وغيرها. وهذه الوسائل الثلاثة لا زالت – وستظل – هي صاحبة الأثر الأكبر لقطاعات كبيرة من الناس، وبخاصة البسطاء منهم؛ ومن هنا وجب الاهتمام بها وتطويرها لتتواكب مع التجديد المنشود. فالخطابة لابد أن توظف لتوجيه الناس وإرشادهم، لا أن تكون **مجرد** هنا مواعظ مكررة جوفاء لا روح فيها، والوعظ الذي يعتمد على مخاطبة العقول أكثر تأثيرا وفعالية من ذلك الذي يتخذ من إلهاب المشاعر والحماسات وسيلة له. ومن هنا ينبغي على التصدي للخطابة والوعظ من حسن استخدام خطبهم ومواعظهم وتوظيفها توظيفا سليما وفاعلا، يركز على قضايا المجتمع ومشكلاته.[1]

أما الدروس والمحاضرات فلا شك أنها الأساس في التعليم والتربية، وسيظل هكذا؛ لأن التعلم الحقيقي إنما يكون بالتلقي على يد الأساتذة والمشايخ، ومهما بلغ التطور فيما يعرف بالتعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني فسيظل للتعليم المباشر والتلقي المباشر ميزته وتفرده.

لكننا نحتاج إلى التجديد بشكل مستمر في طرق التدريس ومناهجه بما يحقق الغايات المنشودة في تخريج أجيال متتابعة في كل مجال من المجالات.[2]

كذلك فإن االمجلات والجرائد تلعب دورا مهما في التوعية ومخاطبة العقل الجمعي للأمة (وهو ما يعرف الآن بالرأي العام)، ولا زال لها تأثيرها وإسهامها بشكل كبير، ولابد من تطويرها والتجديد فيها بشكل مستمر بما يخدم الخطاب الدعوي في كافة المجالات.[3]

---

[1]– هشام يسري العربي، **التجديد في الخطاب الدعوي**، بحث مقدم لندوة الحكمة في تجديد الخطاب الدعوي، كرسي سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز لدراسات الحكمة في الدعوة، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، يومي 12.13.مارس 2014، ص22.

[2]– **المرجع نفسه**، ص23.

[3]– **المرجع نفسه**، ص23.

أما الوسائل الحديثة للخطاب الدعوي فتتمثل في استغلال الوسائل التكنولوجية الحديثة ومنها:[1]

- **الهواتف الذكية:** من الممكن أن تتحول إلى شبكات اجتماعية دعوية متنقلة ،فقد بات الهاتف الذكي جزءاً مهما في حياة الشباب والمراهقين ، ولم يعد مجرد وسيلة اتصال، بل حاسوباً محمولاً، يتميز بالشرعة، والذاكرة الواسعة، ويمكن من القيام بمهام وتطبيقات متعددة، وذلك من خلال وجود أنظمة تشغيل بأشكال مختلفة لهذه الهواتف الذكية مثل (iOS، Blackberry ، Android) ذات أنظمة عالية الدقة قادرة على تقديم خدمات متعددة في وقت واحد.

ومن المعلوم أن من أهم الأمور التي تجعل الهواتف الذكية تتمتع بشعبية كبيرة هي قدرتها على تحميل التطبيقات وهي برامج خدمية صغيرة قادرة مثلاً على تنزيل الكتب، والمحاضرات كما تمكن من انزال القران كاملا، وتوجد تطبيقات للتفسير، ونواحي الدين المختلفة كما أن هذه التطبيقات تستطيع أن تمكن الشباب والمراهقين من مشاهدة القنوات التلفزيونية، وتصفح مواقع معينة في الإنترنت على الهاتف الذكي بيسر، دون اعتبار للزمان والمكان. فيمكن للدعاة استخدام الهواتف الذكية في تصميم، وتطوير برامج القرآن، والأذكار، والبرامج الإسلامية، كما أن هناك تقنية البلوتوث، والوايرلس، اللتين يمكن استخدامها في نقل المقاطع الصوتية والمرئية الدعوية للآخرين.

كما يوجد من الدعاة من استغل هذه التطبيقات بالقيام بعد تسجيل حلقاته التلفزيونية، أو الإذاعية، أو خطبه الدعوية، بتحويلها إلى تطبيقات كي يستفيد منها الناس ويشاهدونها عبر

[1]- نبيلة بشارة يوسف عبدالله، **تجديد الخطاب الدعوي للشباب والمراهقين في العصر الحديث**، رسالة ماجيستير غير منشورة، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا ،2014، ص 31-33.

هواتفهم الذكية، كما أن من الدعاة من أستفاد من هذه التقنية بتحويل كتبه الى كتب الكترونية يستطيع أي شخص إنزالها في هاتفه الذكي بكل سهولة ويسر.

- **شبكات التواصل الاجتماعي (تويتر – والفيس بوك وغيرها):** وذلك من خلال فتح حسابات وصفحات خاصة بالدعاة، يعالجون فيها مختلف القضايا الخاصة بالشباب والمراهقين، مع تغطية القضايا من جميع الجوانب، ووضع هدف واضح من فتح تلك الصفحات، والمتابعة الدائمة للرد على استفساراتهم وحل المشاكل التي قد تطرأ عليهم، فقد ساهم – الهاشتاق – في تويتر –ولله الحمد– في إزالة العديد من المنكرات بفضل الله ثم بالحملات المرتبة على شبكات التواصل الاجتماعي.
- **الواتس آب، الفايس بوك، الفايبر وغيرها من التطبيقات:** وهي عبارة عن تطبيقات تقوم على تبادل مقاطع الفيديو والصور ومشاركة الملفات وإجراء المحادثات الفورية، وإرسال الروابط للمواضيع والمواقع المختلفة والتواصل والتفاعل المباشر وإرسال الرسائل الخاصة والعامة لجهات الاتصال في الهاتف الذكي.

يمكن الاستفادة منها في الدعوة، خاصة أن المستفيد من هذا الجهاز هم فئة مهمة من المجتمع حيث أن أغلب المستخدمين لهذه التطبيقات هم الشباب، ومن هم في سن المراهقة، فيمكن للداعية عن طريقها تفعيل مجموعات دعوية تقوم بإرسال رسائل توعوية توجيهية للمشتركين في هذه التطبيقات، كما يمكن للدعاة إرسال رسائل خاصة بالفوائد، والمعلومات، والآداب، أو الدعوة إلى صيام الإثنين والخميس، أو إلى صدقة جارية أو قراءة القرآن، أو نشرا لقيم الإسلام وأخلاقه، كما يمكن للدعاة استخدام هذه التطبيقات في الدعوة الفردية لشخص معين، أو مجموعة معينة بأنشاء قروب خاص بالشباب والمراهقين يقوم الداعية باختيارهم بنفسه، ويقوم بمتابعتهم الدورية وتوجيههم وحل مشكلاتهم ونصحهم.

- **اليوتيوب:** لقد أدى عدم وجود برامج ووسائل ترفيه موجهة للشباب، والمراهقين بشكل خاص، وعدم وجود ما يشغل أوقات فراغهم، كل ذلك ساهم في اتجاههم إلى تفريغ طاقتهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، خصوصا المرئي منها، مثل قنوات اليوتيوب، التي أضحت تنافس القنوات الفضائية، ونظراً لما يتضمنه اليوتوب من مخالفات أخلاقية، وعقائدية، كان من الواجب على الدعاة التصدى لتلك التوجهات المنحرفة وخصوصا لما يشكله اليوتوب من أهمية لدى فئة الشباب والمراهقين، فيمكن للدعاة استثماره في الدعوة عن طريق المساهمة في مضاعفة أعداد القنوات الهادفة في موقع اليوتيوب. وإنشاء قنوات مخصصة لدعم النشاط الإعلامي القيمي، يقوم أهل الدعوة والفكر بتكثيف المحتوى الهادف عبر فيديوهات قصيرة ومركزة، تساهم في التربية والتوجيه، وخدمة القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والدفاع عن قيم الإسلام ومثله العليا، ومن الممكن تجزئة المحاضرات إلى مقاطع فيديو قصيرة (لا تتجاوز دقيقتين)، يحوي المقطع فكرة، أو قصة مؤثرة.

كما يمكن للدعاة إنشاء موقع خاص بعرض لقطات الفيديو الخاصة بدعوة الشباب، والمراهقين، ويكون الموقع خالي من المحتوى المخالف لمبادئ الدين الإسلامي، يمد يومياً بكل جديد من قنوات دعوية وخطب للعلماء، والشيوخ، ورجال العلم والدين.

- **المدونات، والصحف التي تهتم بالدعوة:** بحيث يجعلونها أصحابها كمحفظة خاصة يدونون فيها يومياتهم، ويضعون صورهم ويسجلون فيها خواطرهم واهتماماتهم، على الداعية إنشاء مدونة خاصة بدعوة الشباب والمراهقين، يودع فيها الكتب، والخطب التي تفيدهم، ويحيلهم فيها عن طريق الروابط الى مواقع تهتم بهم، وتربطهم بالدين.

- **المواقع الإلكترونية:** ينبغي على الدعاة أن يقوموا بإنشاء مواقع دعوية تدعوا الشباب، والمراهقين من ذكور، وإناث وتفتح لهم مجالا للسؤال، والنقاش واجابتهم بناءا على المنهج الإسلامي الصحيح القائم على الكتاب، والسنة كما يوفر لهم خاصية الاستماع وتحميل القران الكريم والأناشيد والمحاضرات، والخطب ويجب على الدعاة توجيه الشباب إلى ضرورة الالتزام والتقيد بقوانين الاتصال فيما يخص استخدام المواقع، والدخول على المواقع المحظورة.
- **البريد الالكتروني والقوائم البريدية:** يمكن استخدامه بإرسال رسائل، أو روابط إلى جهات الاتصال في البريد الإلكتروني، أو العديد من قوائم البريد الإلكتروني الموجودة في المواقع المختلفة.

المبحث الثالث: تجديد الخطاب الدعوي

التجديد سنة من سنن الله الكونية والاجتماعية، تنطلق من أصول الإسلام ومقاصده وتنتهي عندها، وفيما يلي بيان للمصطلح في مفهومه وأبعاده وخلفياته، والمنطلقات المؤسسة له.

المطلب الأول: مفهوم تجديد الخطاب الدعوي ودوافعه

أثار مصطلح تجديد الخطاب الدعوي في العصر الحديث الكثير من العاملين في الحقل الدعوي والجهات الرسمية في الدول الإسلامية، وحتى غير الإسلامية المهتمة بشؤون العالم الإسلامي، بين مرحب به على أساس أن الخطاب الدعوي يعيش حالة من الفوضى التي تحتاج إلى تنظيم وتوجيه، وبين مستنكر لها لما صاحب تلك الدعوات من تشكيك في مضامينها، وفي نوايا الجهات التي تقف وراءها، وفي التوقيت الذي رفعت فيه هذه الدعوات، "مثّلت لافتة تجديد الخطاب الديني الشعار الفكري الأكثر انتشاراً في الوسط الثقافي العربي مؤخراً، وقد زاد الهوس

بذلك الشعار والاندفاع المتحمس فيه من قبل شخصيات لم يُعرف عنها أساساً الاهتمام بالشأن الديني، زاد بعد أن أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن دعمها المالي والأدبي لمفكرين وكتاب وصحافيين ورجال دين ممن يقومون بطرح أفكار إسلامية جديدة تتوافق مع الحضارة الغربية، ونمط الحياة الأمريكي وحتى لا يسبب هذا التحول صدمة وفزعاً في الجمهور المسلم فقد تم تلطيف التسمية لتكون تجديد الخطاب الديني"[1]

وبلا شك أن هذه المخاوف لدى العاملين في الحقل الدعوي، لها ما يبررها، إذا قرن التجديد بهذه الملابسات السياسية والثقافية، التي تقف خلفها جهات معلوم عداؤها للإسلام ولدعوته "أما الذي عناه الغرب من فكرة تطوير الخطاب الديني، إنما هو تغيير وتبديل وتحريف في جوهر الإسلام، لأن الغرب يرى أن الإسلام يحمل مفاهيم متميزة وخطابه يقوم على التمايز وعدم الاندماج والتمييع، وهو يحمل وجهة نظر خاصة، ويطرح نظاما بديلا لكل الأنظمة الوضعية، وبذلك فهو يشكل تهديدا صريحا لمصالح الغرب، ولذا تعالت أصوات الساسة الغربيين بضرورة تطوير الخطاب الديني عبر صياغة جديدة ترضي آمال الغرب"[2]

لكن وعلى سبيل القاعدة الأصولية من أنه –لا مشاحة في المصطلحات– ما ينبغي لدعاة الإسلام ولا لعلمائه، الغفلة عن أصالة المصطلح في تراث الحضارة الإسلامية وفي مصادرها الرئيسة قرآنا وسنة، كما تبين في التعاريف الأنفة الذكر، ليتركوا مهمة التجديد الحضاري للخطاب الدعوي بما يخدم رسالة الإسلام وقيمها.

[1]– جمال نصار، **الخطاب الديني بين التجديد والتبديد**، مجلة قضايا، مركز الجزيرة للدراسات، ماي 2015، تم الاطلاع عليه بتاريخ 28 جانفي 2022، ص 06.

[2]– محمد عبد الفتاح عمار، **الخطاب الديني تجديد لا تبديد**، الطبعة الأولى، دار كنوز، مصر، 2017، ص40.

أولا– تعريف تجديد الخطاب الدعوي التجديد في الأصل اللغوي مأخوذ من جدّ الشيء، وتجدّد الشيء، إذا صيّره جديدا، ومن معاني التجديد في أصل اللغة التعظيم والإجلال.[1]

التجديد نوع من أنواع الاجتهاد وهو عملية شاقة تتطلب بذل الوسع واستفراغ الجهد في الشيء، والتجديد الفكري في الإسلام عموما ليس نسخا أو تأسيسا لفكر جديد، أو مجرد إحياء لفكر قديم، بل هو عملية تفاعل حيوي داخل فكر قائم لإعادة اكتشافه وتطويره وفقا للفهم الزمني الذي يعي حاجات العصر.[2]

جاء في لسان العرب الجِدّة: نقيض البِلى يقال شيء جديد الجمع أجِدّة وجُدُدٌ وجِدَدْ، وحكى الليحاني أصبحت ثيابهم خِلقانا وخلَّقهم جُددًا.

والجِدَّة مصدر الجديد وتجدد الشيء صار جديدا. [3]

فالجديد يرد عند أهل اللغة بمعنى ضد القديم بالإضافة للمعاني الأخرى[4]

"يقال جدَّدْت الشيء فهو مجدود وجديد أي: مقطوع، ومن هذا قولهم ثوب جديد وهو في المعنى مجدود" أي كأنّ ناسجه قطعة الآن، وكذا سمي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديدًا، فالجديدان والأجِدان هما الليل والنهار لأنهما لا يبليان أبدا."[1]

---

[1]– فايزة بوثلجة، **مشكلة التجديد الفكري والفلسفي عند مالك بن نبي**، مجلة الدراسات، جامعة قسنطينة 2، الجزائر. المجلد السابع، العدد الثاني، 2020، ص 74.

[2]– الشيخ خليفي، **منهج التجديد في علم الكلام عند عبد المجيد الجبار**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، المجلد 32، العدد الثاني، ديسمبر 2018، ص 394-395.

[3]– ابن منظور، **لسان العرب**، حرف " ج "، مرجع سبق ذكره، ص 90.

[4]– احمد بن محمد الفيومي، **المصباح المنير**، مؤسسة دار الهجرة، ط1، ج 1 ص 92.

ويمكن حصر معاني التجديد لغويا في ثلاث معان متصلة لا يفصل أحدها عن الآخر:

"أولها: أن الشيء قد كان في أول الأمر موجودا وقائما، للناس به عهد، وثانيها: أنّ هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديما خلقا، وثالها: أن ذلك الشيء قد أُعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق."[2]

كل هذه السياقات تصب في معنى الحديث الشريف "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها."[3]

ومما ورد في القرآن الكريم في سياق المعنى اللغوي للفظ التجديد ما يفيد في استجلاء المعنى المراد الذي نقصده في بحثنا، كقوله تعالى ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩﴾﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١﴾[الإسْرَاء: ٥٠ - ٥١]

جاء في تفسير الطبري للآية الكريمة قوله "قالوا إنكارا منهم للبعث بعد الموت: إنا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاما غير منحطمة، ورفاتا منحطمة، وقد بلينا فصرنا فيها ترابا خلقا منشأ كما كنا قبل المماتجديدا، نعاد كما بدئنا فأجابهم جل جلاله يعرفهم قدرته على بعثه إياهم بعد مماتهم وإنشائه لهم كما كانوا قبل بلاهم خلقا جديدا، على أي حال كانوا من الأحول،

---

[1]- بسطامي محمد، **مفهوم تجديد الدين**، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث السعودية، المملكة العربية السعودية، 2015، ص 13.

[2]- **المرجع نفسه**، ص 14.

[3]- سنن أبي داود كتاب الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة، 4291.

عظاما أو رفاتا أو حجارة، أو حديدا"[1] ومنه يتضح معنى التجديد المقصود من جهود الدعاة والعلماء المتخصصين والمخلصين أنه إعادة البعث والإحياء لمعالم الشريعة الإسلامية على ما كان عليه فهم رسول الله صلى الله عليه سلم وصحابته الكرام وفهم سلف الأمة.

ويتكرر نفس المعنى في عديد من آيات القرآن الكريم في معرض رده على الكفار استنكارهم البعث بعد الموت كما في سورة سبأ قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧﴾[سَبَإ: ٧] وقوله تعالى ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠﴾[السَّجْدَة: ١٠] فتجديد الخلق المقصود في الآيات الكريمة معناه البعث والإحياء بعد ذهاب الأثر.

وفي معرض التأكيد على أصالة مصطلح التجديد في الثقافة والفكر الإسلامي من المصادر المعتبرة قرآنا وسنة نورد بعض الآثار النبوية التي فيها إشارة لكلمة تجديد في سياقات مختلفة منها:

- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "جددوا إيمانكم، قيل يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا ؟ قال "أكثروا من قول لا إله إلا الله."[2]
- وعنه عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال: "لا تسبوا الدهر، فإن الله عز وجل قال: أنا الدهر، الأيام والليالي لي أجددها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك "[3]

---

[1] ـ محمد بن جرير الطبري، **تفسير الطبري**، مؤسسة الرسالة ج 5 ص 286.

[2] - **المستدرك على الصحيحين** ، ح 3185 .

[3] - **السلسلة الصحيحة**، ح 532.

- وقوله صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعا، إلا جدد الله له عند ذلك، فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها."[1]

ثانيا– التجديد اصطلاحا

يقول يوسف القرضاوي في معرض بيانه لمفهوم التجديد في الدّين: "التجديد لشيء ما، هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد، وذلك بتقوية ما وهى منه، وترميم ما بلي، ورتق ما انفتق، حتى يعود إلى صورته الأولى."[2]

وبين محمد بسطامي معنى التجديد "المفهوم السليم للتجديد هو ذلك المعنى الذي كان يقصده رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم حين أخبر أصحابه بنبوءة بعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد للأمة دينها، وأحق الناس بتوضيح المفهوم النبوي الكريم لهذا المصطلح هم السلف."[3]

وقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ لها اشتقاقات لغوية من الفعل جد وجرى فيها الاصطلاح بسياقات مختلفة وهي:

---

[1]– أحمد شاكر، **تخريج المسند، 175/3**.

[2]– يوسف القرضاوي، **من أجل صحوة راشدة**، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، مصر، د.ت، ص 28.

[3]– بسطامي محمد، **مرجع سبق ذكره**، ص 17.

من قبيل لفظ جديد: قوله تعالى ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠﴾[السَّجْدَة: ١٠] وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩﴾[إِبْرَاهِيم: ١٩]

بالتأمل في نص الآيتين السابقتين بعض الاختلاف في المعنى السياقي لـ "خلق جديد"، ففي الآية الأولى (الآية 10 من سورة السجدة) جاءت على لسان المشركين الذين ينكرون ويستبعدون قدرة الله على إعادة خلقهم خلقا جديدا بعد موتهم، أما المعنى الذي جاء في سياق الآية 19 من سورة إبراهيم فيدل على غضب الله على المشركين فلو شاء لأفناهم وخلق قوما جديدا يطيعون الله ويخافونه، وبالتالي فإن المعنى الأول دال على إعادة البعث بعد الفناء، أما المعنى الثاني فيدل على خلق جديد بعد فناء الذي كانوا قبلهم.

ومن قبيل جديدًا: قد وردت في آيتين بهذا المعنى وفي نفس السورة، حيث قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩﴾ ومن خلال هذه الآية نجد أن لفظة "جديدًا" تدل على قدرة الله على إعادة بعث الموتى بعد أن صاروا عظما ورفتا.

وعلى العموم لم تخرج باقي الآيات على هذا السياق العام والدال على الشيء الجديد المحدث سواء على مثال سبق أو من غير مثال.[1]

لم ترد نصوص كثيرة في موضوع التجديد، وإنما ورد نص واحد صحيح عن أبي هريرة، أخرجه عدد من أئمة الحديث في مصنفاتهم، وهم أبي داود السجستاني في سننه، والحاكم في

[1]- الحسان شهيد، **نظرية التجديد الأصولي من الإشكال إلى التحرير**، الطبعة الأولى، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، 2012، ص 31.

مستدركه، والطبراني في معجمه الأوسط، والبيهقي في المعرفة والمدخل وهناك روايتان لهذا الحديث هما:

- **رواية أبي داود السجستاني له قال:** حدثنا سليمان بن داود المهري، أخبرنا ابن وهب، أخبرني السعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة –فيما أعلم– عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها."[1]
- **رواية الحاكم له قال:** حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الربيع بن سليمان بن كامل المرادي، ثنا عبد الله بن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن شرحبيل بن يزيد، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولا أعلمه إلا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها."[2]

واستناد لما جاء في الحديث فإن تجديد الخطاب الديني مشروع بل هو ضروري، وإن لفظة "من" في مدلول هذا الحديث صالحة للجميع، كما يصلح للمفرد فقد يكون هناك مجدد واحد أو أكثر، ويشمل التجديد ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وما خفى من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة.

---

[1]– حمد بن صادق الجمال، **اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع هجري**، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار عالم الكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1994، ص 529.

[2]– محمود الطحان، **مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين**، الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث، الكويت، 1986، ص 2.

أما عن معنى التجديد فقال العلقمي: "إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما."[1]

تعددت تعريفات العلماء للتجديد ولكن مدارها جميعا على هذا المفهوم، وهو: "إعادة الدين على النحو الذي كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإعادة الناس إليه على النحو الذي مضى عليه أهل القرون الثلاثة المفضلة. فينفى عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وغلو المتنطعين وتفلت الفاسقين، ويعود الناس إليه بالقبول والتلقي، والانقياد والتسليم، والتصديق والإتباع، والتوقير والتقديم والفهم والالتزام والتطبيق."[2]

والتجديد عند بعض الحداثيين هو إخضاع الشرع لمتطلبات الواقع المعاصر، ففهم التجديد عندهم هو محاولة أخذ الطابع والأسلوب في تفكير الغربيين، سواء في تعبيرهم عن الدين، أم في تحديدهم لمفاهيمه ومفاهيم الحياة التي يعشونها، أم في تقديرهم للثقافات الشرقية الدينية والإنسانية.[3]

ويعرف التجديد بأنه: "هو إعادة فهم الإسلام من جديد، وعرضه للناس عرضا مشرقا يتناسب مع عقولهم ومداركهم وظروفهم وأن تزال الشوائب التي يمكن أن تعلق مع مرور الزمن،

---

[1]- **المرجع نفسه**، ص 2.

[2]- محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، **معالم المنهج المطلوب في تجديد الخطاب الديني الإسلامي**، المجلة السياسية والدولية، جامعة المستنصرية، العراق، العدد 39، 2019، ص 593-594.

[3]- **المرجع نفسه**، ص 594.

وليس المقصود بالتجديد تغيير الأحكام الشرعية كما يتوهم البعض، وإنما هو إعادة النظر في فهمنا للإسلام وإبراز الإسلام بصورة واضحة مبلورة لدى الجماهير الإسلامية"[1]

ويقول محمد عمارة أن: "التجديد ليس نقيضا لاكتمال الدين وثباته، بل هو سبيل لامتداد تأثيرات الدين الكامل وثوابته وأصوله إلى الميادين الجديدة، والأمور المستحدثة وبقاء الأصول صالحة لكل زمان ومكان... أي أنه ضمان لبقاء الرسالة الخاتمة خالدة."[2]

خلاصة القول ومفاده، بعد هذا الجرد اللغوي والاصطلاحي، فإن كلمة التجديد تتضمن أربعة عناصر أساسية هي:[3]

- أن الأمر المراد تجديده تقادم به الزمن ولحقه عوادي القدامة.
- أن الأمر محل النظر في حاجة ملحة إلى التجديد.
- أن الحاجة الملحة إلى التجديد في أمر كان من ورائها داع ضروري استدعى عملية التجديد.
- أن التجديد قد يفيد إعادة الأمر إلى ما كان عليه أو استبداله بما هو أحسن منه يحل محله في إنجاز المقصود.

ثالثا– ركائز تجديد الخطاب الدعوي

من أهم ركائز التجديد في الخطاب الدعوي وأصوله ما يلي:

---

[1]– صبري عكرمة، **التجديد والتحديث**، مداخلة ضمن المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس للأعلى لشؤون الإسلامية، من 27-30 مارس 2007، القاهرة، مصر، ص 2-3.

[2]– محمد عمارة، **مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية**، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 2003، ص 15.

[3]– الحسان شهيد، **المرجع سبق ذكره**، ص 32.

الجمع بين خاصية الثبات والمرونة:

المقصود **بخاصية الثبات** هي مجموع القواعد الإسلامية الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ولا يسوغ أن تكون محل اجتهاد، ويمثل هذا الثبات في كليات الشريعة وأصولها العامة، وتتجلى خاصية الثبات في المجالات الآتية:[1]

- في العقائد والحقائق الإيمانية والأخبار الغيبية: فأركان الإيمان وحقيقة أن غاية الوجود الإنساني هي العبودية المطلقة لله وأن الدين عند الله هو الإسلام ومعيار التفرقة بن البشر هو الإيمان والتقوى والدنيا دار ابتلاء والآخرة دار حساب، هذه الأمور العقائدية وغيرها ثابتة لا تتغير وقد أجمع عليها الأنباء، قال الله تعالي: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ١٣﴾[الشُّورَى: ١٣]في الأصول والكليات ومقاصد الشريعة العامة: فهذه ثابتة لا يطرأ عليها تعديل ولا تبديل، إذ لا يعقل أن يكون مقصود الشرع المحافظة على النفوس والأعراض والعقول والأموال في وقت ما، ثم يتحول قصد الشرع إلى إهدار هذه الأشياء في وقت آخر.
- في الأخلاق والفضائل العامة: فالصدق والصبر والأمانة والإحسان إلى الناس فضائل لا يعقل أن تصبح في وقت من الأوقات رذائل.

[1]- عدنان محمد أمامة، **التجيد في الفكر الإسلامي**، أطروحة دكتوراه منشورة، الطبعة ا1، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2003، ص 26- 29.

- في العبادات: لأنها موسومة على هيئة وصورة خاصة، وهي عبادات مخصصة وأحكامها غير معقولة المعنى، وما كان شأنه كذلك فلا يجري فيه مراعاة المصالح، ولا يؤثر عليه تغير الزمان والمكان.
- في أحاكم الحدود: كحد الزنى وحد السرقة وحد القذف وحد الردة وحد الحرابة، فهي غير قابلة للتغيير والتبديل، لأن الشارع حدد المقصد من شرعية هذه الحدود، وحدد إلى جانبه الوسيلة التي يجب إتباعها لتحقيق ذلك المقصد.
- أحكام المقدرات: كتقدير الأنصبة في الزكاة، وتحديد عدد الطلقات، وحصص الورثة، فهذه مقادير غير قابلة للتطوير والتغيير بحجة رعاية المصالح أو غير ذلك من الحجج.
- كل الأحكام التي مصدرها نصوص القرآن أو السنة مباشرة: ويقصد بها الأحكام التي لا يختلف فيها الناس وهي صريحة واضحة لا تحتمل تعدد الآراء ولا تقبل التأويل، فهذه لا يغيرها الزمان ولا مكان لأنها قامت لتحقيق مصالح ثابتة.

أما خاصية **المرونة** في الشريعة فتعني: أن الله عز وجل أودع في هذه الشريعة من عوامل الخصوصية والثراء ما يجعلها صالحة للنماء والتجديد الذاتي، وقادرة على مواجهة مختلف التقلبات الزمانية والمكانية والبيئية. والأحكام التي يمكن أن تتغير بتغير الزمان أو المكان هي: تلك الأحكام التي ربطها الشارع بعللها وأسبابها، فحين تتغير العلة أو السبب، فيعني ذلك أن الواقعة قد تغيرت، فتغير حكمها تبعا لذلك. وتتجلى خاصية المرونة في الحالة واحدة ألا وهي: النص على القواعد الكلية دون التعرض للتفصيلات: ففي كثير من النصوص الشرعية خاصة ما يتعلق منها بميادين الحياة المتغيرة، لم تتعرض للجزئيات وتفصيلات والكيفيات، بل اكتفت ببيان مقصد الشارع والواجب تحقيقه، ونصت على القواعد والكليات وتركت ولاة الأمور وأئمة الدين مجال التأكد من تحقيقها وتطبيقها بالوسائل المتاحة والمناسبة لكل عصر، ومن ذلك النص على قيام

الحكم الاسلامي على مبدأ الشورى، وجود الالتزام بالعدل في القضاء، وجوب قيام المعاملات التجارية والبيوع على أساس التراضي.[1]

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن الأحكام الشرعية نوعان، النوع الأول ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان ولا مجال للاجتهاد فيه والأمر متعلق بكليات الشريعة وأصولها العامة، والنوع الثاني متغير بتغير العلة أو السبب المربوطة به، أما بالنسبة للتجديد في النوع الأول فيعني بيانها للناس ودعوتهم إلى التمسك بها والعمل بأحكامها مع ضرورة التحذير من تركها أو تبديلها بحجة المصلحة وتغير العصر، أما النوع الثاني فيكون التجديد فيه عن طريق الاجتهاد وإيجاد الطرق للتطبيق الأحكام الشرعية الكلية والمتعلقة بمتغيرات الحياة، وحسب ما تقتضيه المصلحة ووسائل المتوفرة لتطبيقها.

رعاية الضروريات والأعذار والحالات الاستثنائية: وذلك أن الله تعالى ما شرع حكما من الأحكام ولا أوجب تكليفا من التكاليف، إلا وشرع إلى جانبه سبل التسيير فيه، فعلى سبيل المثال فقد شرع الله الصلاة بهيئة معينة وفي أوقات محددة، لكنه راعى في الوقت نفسه الظروف الاستثنائية التي يتعرض لها البعض فخفف من أركنها عن المريض وشرع للمسافر الجمع والتقصير.[2]

تعليل الأحكام الشرعية: تنقسم الأحكام الشرعية إلى قسمين:[3]

[1]- **المرجع نفسه**، ص 29-31.

[2]- **المرجع نفسه**، ص 31.

[3]- **المرجع نفسه**، ص 32-33.

- أحكام تعبدية غير معقولة المعنى: وهذه يجب على المسلم الخضوع لها وإظهار الطاعة والتسليم المطلق اتجاهها والعمل بظاهر نصوصها دون تحريف أو تكلف.
- أحكام معقولة المعنى: تتيح للمجتهدين والمجددين توسيع صورها والقياس عليها وبناء الأحكام على عللها وأسبابها وهي الغالب على أحكام الشريعة.

مراعاة الشريعة لمصالح العبادة: فكل ما شرعه الله للعبادة إنما يهدف إلى سعادة العباد وتحقيق الخير لهم في العاجلة والآجلة، وهذه المصالح على حسب رأي العلماء لا تخرج عن ثلاث وهي:[1]

- **المصالح الضرورية:** وتعني أن لا بد منها في قيام مصالح الدين والدينا بحيث إذا فقدت لم تجبر مصالح الدنيا على الاستقامة، بل على الفساد وفوت الحياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين.
- **المصالح الحاجية:** ومعناها أنه يفتقر إليها من حيث الحاجة التوسعة لرفع الضيق المؤدي في الغالب غلى الحرج والمشقة اللاحقة، فإذا لم تراع دخل المكلفين على الجملة الحرج والمشقة، لكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة.
- **المصالح التحسينية:** وهي الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب أهواء المدنسات التي تأنفها العقول الراجحة ويجمع ذلك قيم مكارم الأخلاق.

مراعاة الشريعة لأعراف الناس وعاداتهم: إن جانبا غير قليل من الأحكام الشرعية له صلة وثيقة بالعرف وفي ذلك دليل على ومرونة الشريعة الإسلامية لاسيما في باب المعاملات، والعرف المعتد به هو الذي لا يخالف دليلا أو أصلا من أصول الشريعة، ومن أمثلة ذلك: اعتماد العرف

[1]- **المرجع نفسه**، ص 33-35.

في مسألة المهر، والكفاءة بين الزوجين، ومسألة النفقة التي يرتبط تحديدها وتقديرها بالأعراف المتغيرة.[1]

رابعا– أصالة المصطلح في الثقافة الإسلامية

حتى لا نقع في التباس من لفظة وفكرة التجديد، فقد وردت لفظة تجديد الدين في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." والحديث مقصوده بلا شك أن التجديد عملية يقوم بها الراسخون في العلم، لإزالة ما علق به من انحرافات فكرية وسلوكية بعيدة عن جوهر وحقيقة الدين، وإعادته إلى ما كان عليه زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، "إن تجديد الدين لا يعني اختراع إضافة لدين الله وإنما يعني تطهير الدين الإلهي من الغبار الذي يتراكم عليه، وتقديمه في صورته الأصلية النقية الناصعة."[2]

ولا يقصد من التجديد أبدا نقض عرى الإسلام، وهدم أركانه، ليتوافق مع أهواء الناس وغرائزهم، أو بما يتوافق مع الفلسفات المادية الغربية، أو بما يتوافق مع سياسات النظام الدولي تحت مسمى العولمة الثقافية التي تهدم هوية الأمة ومقومات بقائها كما جاء في تعريفها "إن العلاقة بين العولمة والهوية الثقافية في التنافر والتصادم والصراع إذ تسعى العولمة إلي خلق وحدة ومنظومة متكاملة، في حين تدافع الهوية عن التنوع والتعدد. كما نجد العولمة تهدف إلى القضاء على الحدود والخصوصيات المختلفة، بينما الهوية تسعى إلى الاعتراف بعالم الاختلافات وترفض الذوبان، وباختصار فالعولمة تبحث عن العام والشامل بينما الهوية هي انتقال من العام إلى

[1]– **المرجع نفسه**، ص 35.

[2]– وحيد الدين خان، **تجديد علوم الدين**، ترجمة ظفر الإسلام خان، دار عالم الأفكار، ص 09

الخاص ومن الشامل إلى المحدود."[1] ويتوافق هذا المفهوم مع مخاوف بعض المخلصين لرسالة الإسلام، من خطورة المساس بقدسية الدين ومحاولة طمس معالمه عبر خطوات بدايتها دعوات زائفة لتجديد الدين أو تجديد الخطاب في دعوة الإسلام.

يشير يوسف القرضاوي لبعض هذه المخاوف التي تراود الدعاة والعلماء وعامة المسلمين من مصطلح التجديد فيقول "وبهذا نرى أنه لا معنى لإنكار بعض العلماء عبارة التجديد في الدين، وتوجسهم خيفة أن يستخدمها بعض المنحرفين فيما لا يقبله الإسلام، فلسنا أحرص على الدين ممن بعثه الله به، وقد نطق بهذه الكلمة وصح بها الحديث، فلم يعد يسع مسلما أن يتخوف من استعمالها، و إنما المهم هو تحديد مدلولها حتى لا يستخدمها كل فرد أو كل فريق بما يحلو له".[2] وبنفس المعنى جاء حديث طارق رمضان[3] عن هذه المخاوف "يعارض العديد من العلماء، فضلا عن المفكرين والمسلمين العاديين، استعمال كلمة الإصلاح لأنهم يعتقدون أنها تمثل خطرا ثلاثي الحدود على التمسك بتعاليم الإسلام. وبالتالي، فإن إصلاح الإسلام يعني . أو يبدو كما لو أنه يعني . للبعض تغيير الإسلام وتحريفه لتكييفه مع الأزمة الحالية وهو أمر غير مقبول بنظر المؤمن "[4] ومما يزيد من مخاوف العاملين في الحقل الدعوي قولهم بأن هذه المقاربات التجديدية مستوردة من تقاليد أهل الكتاب فيقول " والانتقاد الثاني صادر عن الأشخاص الذين يرون في الإصلاح شيئا

---

[1] - **علاقة العولمة والهوية الثقافية** موسوعة ويكيبيديا 2018/01/27.

[2] _ **من أجل صحوة راشدة** ، مصدر سابق، ص 29.

[3] _ يعمل طارق رمضان كاستاذ دكتور متخصص في الفكر الإسلامي ومحاضر في جامعة أوكسفورد أعرق جامعات بريطانيا وجامعة فرايبورغ بألمانيا، يتركز اهتمامه في التجديد الإسلامي وبحث قضايا المسلمين في الغرب، ويعتبر أحد القيادات الإسلامية في أوروبا ومن أكثر الشخصيات المؤثرة فيها.

[4] _ طارق رمضان **الإصلاح الجذري** ، ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ترجمة أمين الأيوبي ص24

غريبا ، ومقاربة مستوردة من التقاليد المسيحية لتفريغ الإسلام من مضمونه وروحه "[1] والبعض يؤكد على طبيعة شمولية الإسلام لكل زمان ومكان والدعوة لتجديده دعوة باطلة على هذا الأساس "والانتقاد الثالث يستند إلى الطابع الشمولي والأبدي لتعاليم الإسلام التي ، يضيف هؤلاء، ليست بحاجة إلى إصلاح ويمكن تطبيقها في كل زمان ومكان"[2]

إن كل هذه المخاوف مشروعة إن لم نقل بأنها ضرورية لحماية الدين، من الوقوع في الانحلال من تعاليمه أو العبث بأركانه، ولكن منطلق دعوة المخلصين من الدعاة والعلماء لفكرة التجديد، منطلق أصيل في الفكر الإسلامي أصالة الإسلام نفسه، ويرد طارق رمضان على هذه المخاوف بقوله " وصل بعض الأشخاص إلى حد الإفصاح عن نفور أعمق عندما وصفو ما هو أصيل في التقاليد الإسلامية نفسها بأنه غريب: هذا الجهل الذاتي الذي يغذيه الخوف من التغيير، ومن خسارة المرء لنفسه، أو بعبارة أعم، الخوف من الأخر، يعد واحدا من الأخطار الرئيسية التي تهدد ضمير المسلم المعاصر "[3] فالتجديد في الخطاب الدعوي المعاصر في رؤية دعاة الحق والهدى المتمسكين بعرى الإسلام وأصوله ومقاصده، كما حددها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبين أهواء الساسة والمتحكمين في صناعة القرار العالمي، ليس بالأمر الهين، بل يزيد من تبعات ومسؤولية القائمين على الشأن الدعوي حماية للدين من غلو التقليد بلا وعي، و مغالاة الانحلال والتبعية للغير بلا ضابط، فعن إبراهيم بن عبدالرحمان العذري قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين

---

[1] _ **المصدر السابق** ص24

[2] _ **المصدر السابق** ص24

[3] _ **المصدر السابق** ص24

وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين "[1]، وفي هذا الحديث بيان لمهمة العلماء والدعاة إلى الله بعد الأنبياء والمرسلين بأنهم كلمة الحق والبيان، والفهم الصحيح لمقاصد الدين، الذين يميزون بين الثابت والمتغير، وبين النص المعصوم و نماذج فهمه البشرية التاريخية غير المعصومة.

يقول يوسف القرضاوي موضحا في هذا الصدد "وهذا ما يوجب على المجامع العلمية المعنية بهذا المجال أن تعين على ذلك، ولا تضيق صدرا بالآراء الاجتهادية كما يجب على كليات الشريعة أن تجعل مناهجها وكتبها ودراستها، قادرة على تكوين العقلية المستقلة، المرشحة للاجتهاد في مجالاته، وأن تنمي قدرات النابهين من طلابها ، وتقوي عزائمهم على المضي في هذا الطريق "[2] ويؤكد طارق رمضان على أهمية فك الاشتباك الحاصل في عقل القائمين بالعملية الدعوية، بين الثابت والمتغير في تقديم الخطاب الدعوي، وخطورة تجاهل هذه المعادلة فيقول: " بسبب الفشل في التمييز بقدر كاف بين الثابت والمتغير وعدم التمييز . بطريقة منهجية . أثار انصار التطبيق الحرفي المعاصرون سلسلة من الإرباكات التي كان لها عواقب خطيرة.

إن التمييز بين الثابت و المتغير يسمح بملاحظة فارق أساسي بين المبادئ والنماذج، فالمبادئ ثابتة ومطلقة وخالدة، لكن تطبيقها من الناحية الزمنية أو التاريخية نسبي، ومتغير وفي تحول مستمر"[3].

وهذه بلا شك مهمة الراسخين في العلم كالشيخ محمد الغزالي، الذي نحاول في هذه الرسالة، تسليط الضوء على جهوده التجديدية في خطاب الدعوة الإسلامية المعاصر، نهجا على سلف هذه الأمة، الذين اختاروا لكل قرن مجدده أو مجموعة من المجددين، تفاعلوا مع متغيرات

---

[1] _ الخطيب التبريزي ، **مشكات المصابيح** ، كتاب العلم الفصل الأول ج1 ص 53 تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني.

[2] - **من أجل صحوة راشدة**، مصدر سابق، ص 32

[3] - **الإصلاح الجذري**، مصدر سابق، ص 31

عصرهم بما يناسبه من الخطاب والاجتهاد في مجالات الدين: من علم الكلام، إلى الفقه وأصوله، والتفسير وعلوم الحديث، وغيرها من المعارف الإسلامية التي صبغت روح الحضارة الإسلامية في وقت عزها ومجدها.

وقد ذكر ابن الأثير في جامع الأصول أسماء المجددين على رأس كل مائة سنة إلى عصره فقال " ففي رأس الأولى من أولي الأمر: عمر بن عبد العزيز، ومن الفقهاء: محمد الباقر، والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله، والحسن ، وابن سيرين وغيرهم من طبقتهم ، ومن القراء: ابن كثير، ومن المحدثين الزهري"[1] وخص جلال الدين السيوطي كتابا سماه –التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة– يعدد فيه المجددين إلى عصره وذكر فيه سيرهم وخدمتهم للدين فهما وتجديدا، وأنشأ فيه شعرا قال في خاتمته راجيا أن يكون مجدد القرن التاسع للهجرة:

"وهذه تاسعة المئين وقد أتت ولا يخلفها الهادي وعد

وقد رجوت أني المجدد فيها فضل الله ليس يجحد "[2]

فالتجديد لفظا ومعنى كلمة أصيلة في الثقافة الإسلامية أصالة الإسلام نفسه ، وهو عملية ذاتية تفاعلية مع روح النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في مسايرة الأحداث والوقائع ، و تأكيدا لعالمية الرسالة الخاتمة وشمولها ، يقوم بها من اصطفاهم الله ، خدمة للدين ، و عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[1] _ابن الأثير، **جامع الأصول** 11/ 320.

[2] _جلال الدين السيوطي **التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة** دار الثقة للنشر والتوزيع ص 73 .

دوافع تجديد الخطاب الدعوي

قبل التطرق إلى دوافع تجيد الخطاب الدعوي، حري بنا أن نشير إلى الأسباب التي أدت إلى الحاجة للتجديد، أو الإجابة على سؤال ما هي البواعث الجديدة التي ظهرت وأدت إلى أن يكون التجديد ضرورة حتمية؟

طرأت على حياة الناس بمرور الزمن وبعد العصور المتعاقبة، أمور كثيرة مما يؤكد الحاجة إلى التجديد، ومن قبيل ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:[1]

- جهل أكثر الناس بلغة العرب الفصيحة وبأساليبها في البيان–وإن كانوا يتكلمون العربية– مما أوجد حاجزا بين الناس وبين الفهم الصحيح لكثير من الأمور الواردة في النصوص.
- ظهور كثير من المعاملات والتصرفات التي لم تكن موجودة زمن نزول الوحي أو زمن الأئمة الأعلام، مما يحتاج معه إلى بيان الوجه الشرعي الصحيح إزائها، غير أن بعض هذه المستجدات قد تكون جديدة من حيث الصورة الظاهرة فقط التي تظهر عند النظرة غير المتفحصة، بينما حقيقتها أنها ليست بجديدة، فيحتاج الناس إلى من يبين لهم ذلك ويدلهم عليه.
- التقدم التقني الهائل الذي قرب البعيد، وما أوجده من احتكاكات وتعاملات مع غير المسلمين، فيحتاج الناس فيها إلى معرفة حدود هذه المعاملات، وتمييز ما يدخل من ذلك ضمن الولاء أو البراء وضبطه حتى لا يكون في ذلك غلو أو جفاء.

[1] _محمد بن شاكر الشريف، **تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف**، الطبعة الأولى، مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2004، ص 16.

- ظهور التكتلات والتحالفات بين القوى المختلفة، مما يحتم على الدول تحديد موقف من ذلك، فيحتاج الناس للفهم الصحيح الذي يضبط تلك الأمور.
- ظهور المنظمات الإقليمية والدولية التي يحكمها قانون أو دستور وضعي، فيحتاج الناس إلى معرفة حقيقة تلك العلاقات الدولية وضوابطها من الناحية الشرعية.

اما دوافع تجديد الخطاب الدعوي فيمكن حصرها في أربع عناصر أساسية وهي:[1]

- التجديد ضرورة وهو أمر لازم لبقاء الشريعة: من سنن عز وجل الكونية التطور المستمر في حياة الناس؛ ولذلك أرسل الله الرسل ليكونوا هداة للناس في كل زمان ومكان، وكان من سنة الله أن جعل شريعة الإسلام الشريعة الخاتمة لكل الشرائع؛ ولذلك فقد أودع فيها عوامل استمرارها وبقائها إلى آخر الزمان. ومن أهم تلك العوامل أنها شريعة متجددة؛ فمع أن النصوص الشرعية محدودة إلا أنها تصلح لكل عصر ومصر بما تحويه تلك النصوص من مبادئ عامة وتشريعات كلية، أما التفصيلات والجزئيات فمما يختلف باختلاف العصور والبيئات.
- مواكبة الوقائع شديدة التطور: وهذا الهدف مرتبط بسابقه؛ فمن دوافع التحديد مواكبة الواقع شديد التطور والتغير، فنحن نعيش كل يوم جديدا، بل كل ساعة، وليس من الحكمة أن نعالج قضايا اليوم بآراء الأمس. والناظر في مستجدات العصر ومستحدثاته المتلاحقة يدرك مدى أهمية أن يكون الاجتهاد وما يتضمنه من تجديد مواكبا لتلك المستجدات والمستحدثات.

[1] _ هشام يسري العربي، **تجديد الخطاب الاسلامي المعاصر**، بحث مقدم لمؤتمر بناء الشخصية المسلمة ،القاهرة ، 2012 ،ص6- 19.

ولذلك فلابد أن يكون الخطاب الدعوي مواكبا للأحداث الجارية غير منفصل عنها، ففي أحداث الثورات العربية التي تتابعت في عدد من الدول العربية يتعين على القائمين على الخطاب الدعوي أن يبينوا للناس حكم الشريعة – كما يرونه- في العلاقة بين الحاكم والمحكومين، وحدوده. هذه العلاقة، ومتى يجوز للمحكومين أن يخلعوا الحاكم.

- تحقيق المصالح التي جاءت الشريعة لتحقيقها: أيضا من الدوافع المهمة للتحديد في الخطاب الدعوي تحقيق مصالح العباد التي جاءت الشريعة لتحقيقها؛ وذلك بإرساء مبادئ الحق والعدل والمساواة والحرية وإعلاء كرامة الإنسان وتسخير ما في الكون لخدمته، والقضاء على ما يهدده من المرض والفقر والجهل.

وتلك المصالح لن تتحقق إلا إذا أمسك الإنسان بزمام الأمور وأخذ بأسباب التقدم والرقي.

والخطاب الدعوي له دور مهم وفعال في هذا الصدد؛ إذ هو المحرك للأمة والموجه لها نحو تحقيق مصالحها ومحاربة المفاسد التي تحيط بها فالقائم بالخطاب الدعوي هو مبلغ عن الله تعالى، وخليفة لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولابد أن يعي أن الشريعة جاءت لتحقيق المصالح وتقليل المفاسد.

- صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان: جرت مشيئة الله سبحانه وتعالى بخلق الكون والإنسان واستخلافه في الأرض لعمار ، وفق إرادة خالقه عز وجل، ولذلك أرسل سبحانه الرسل والأنبياء وأمرهم بتبليغ شرائعه وهداية خلقه إلى الطريق المستقيم.

وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، حتى أرسل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وجعل رسالته للناس كافة، وجعله خاتما للأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده، ولا شريعة بعد شريعته.

المطلب الثاني: محاور التجديد في الخطاب الدعوي ومجالاته

والتجديد الذي ورد في الحديث الشريف يمكن أن يتمظهر في خمسة تجليات[1]:

- تجديد ما اندثر من الأحكام في حياة الناس.
- تجديد بإنشاء طرائق من شأنها أن تخدم الدين، ومنه (من سن في الإسلام سنة حسنة) حسب تفسير الإمام النووي، لا بمعنى أحيا كما فسره بعضهم. قلت: ولا يبعد أن يكون إنشاء منهج في أصول الفقه من هذه السنن.
- تجديد يتعلق بمستجدات حياة الناس لوصلها بحبال الدين، وإيجاد الحلول المناسبة، واقتراح الصيغ الملائمة.

وأصول الفقه وسيلة ذلك أيضاً، وقد أشار إليه إمام الحرمين بقوله: " فإن لم يكن في العصر نبي، فالعلماء ورثة الشريعة، ومن بديع القول في مناصبهم أن الرسل يتوقع في دهرهم تبديل الأحكام بالنسخ، وطوارئ الظنون على فكر المفتين، وتغاير اجتهاداتهم، يغير أحكام الله على المستفتين، فتصير خواطرهم في أحكام الله تعالى حالة محل ما يتبدل من قضايا أوامر الله تعالى بالنسخ."

- التجديد هو اختراع وإبداع وليس ابتداعاً، ومنه ما أحدث السلف من تدوين الدواوين والجمع للتراويح وإحداث السجون، وقد يكون منه ما أحدث الخلف من الاجتماع للذكر وتلاوة القرآن، ومن هذا القبيل الأحكام التي يحدثها الحكام لزجر أهل الفساد، والنظم التي يقترحها العصر لدرء الاستبداد.
- وأخيرا: وهذا محل اختبار المجتهدين، واستنباط المستنبطين، تجديد يتعلق بـ :

[1]- عبد الله بن بيه، **التجديد: الدعوة والدعوى**، مجلة الموطأ، مركز الموطأ، الإمارات العربية المتحدة، العدد الثاني، 2018، ص 26- 28.

- الاجتهاد في الأحكام إنشاء في قضايا لم يسبق فيها نظر للعلماء.
- قضايا سبق فيها نظر للعلماء وظهر ما يعارضه؛ إما لضعف مستند الأول طبقاً للبرهان أو تغير زمان أو اجتهاد في كيفية تطبيق الأحكام، ويمكن اعتبار أصول الفقه الإطار الناظم له.

لهذا يمكننا تعريف التجديد بأنه تحريك المفاهيم التي تشكل المنظومة الأصولية، وتمثل الصورة المحددة لها لإبداع مفهوم جديد، أو إدراج مضمون حديث في مفهوم قديم في قراءة جديدة للأصول؛ قواعد ومقاصد وعلاقتها بالجزئيات الفقهية على ضوء مستجدات العصر. فهو ربط واصب بين الكلي والجزئي في ضوء ضرورات الواقع وحاجياته. وهناك كلمات مصاحبة كالإصلاح الذي يدل على وجود فساد، ومنه حديث الغرباء: "الذين يصلحون ما أفسد الناس."[1] والإحياء وهو بعث ما كان ميتاً، وقريب منه: "جددوا إيمانكم، فقالوا: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا لا إله إلا الله"[2] وهذا يدل على أن الإيمان يبلى والقلوب تموت.

أهداف تجديد الخطاب الدعوي: ويمكن تلخيصها فيما يلي:

- الحفاظ على نصوص الدين الصحيحة الأصلية نقية.
- نقل المعاني الصحيحة وإحياء الفهم السليم لها.
- الاجتهاد في الأمور المستجدة وإيجاد الحلول لها.
- تصحيح الانحرافات.
- حماية الدين والدفاع عنه.

[1] – **سنن الترمذي، باب الإيمان**، ر 2630.

[2] – **المستدرك على الصحيحين، كتاب التوبة والإنابة**، ر 3185.

المطلب الثالث: ضوابط تجديد الخطاب الدعوي

للتجديد ضوابط تحكمه، تنبع من طبيعة الغايات التي يسعى إليها. وما دام التجديد في هذا السياق، يتناول الخطاب الديني عمومًا وفي جميع حقوله، فإن الغاية منه هي تجويد هذا الخطاب شكلًا ومضمونًا، والارتقاء به، وإكسابه مقومات التكيُّف مع العصر، من أجل أن يكون أداة لتبليغ الرسالة الإسلامية، ووسيلة لبناء الإنسان الذي يعرف دينه، وينفتح على عصره، ويندمج في محيطه، ويحترم من يخالفه في المعتقد والرأي والموقف وأسلوب الحياة، ويتحاور معه، ولا ينأى بنفسه عنه، أو يتخذ منه عدوًّا له لمجرد أنه يختلف معه في أمور كثيرة، ومن أبرز هذه الضوابط ما يلي:

- **مراعاة الاختصاص:** فمن يريد أن يجدِّد في الخطاب الديني، لابد أن يكون متخصصًا في المجال الذي يريد أن يجدد فيه، حتى لا يكون مثل الذي يتحدث في الإسلام من غير أهله كالحلَّاق الذي اشتغل بمداوة المريض ومعالجة العليل، وهو لا يعرف عن الطب والجراحة سوى ختان الذكور، ونزع الأسنان.[1]
- **الموضوعية والتجرد من الأهواء للوصول إلى الحقيقة:** الموضوعية تتطلب البحث عن الحقيقة، والتمسك بالحق بعيدًا عن الأهواء والمزاعم الفاسدة، كالكِبْر والمذهبية والتقليد وغيرها، وذلك يتم من خلال ثلاث خطوات:[2]

[1]- جمال نصار، **الخطاب الديني بين التجديد والتبديد**، مجلة قضايا، مركز الجزيرة للدراسات، ماي 2015، نقلا عن الموقعّ،ص 06.

[2]- **المرجع نفسه**، ص 07.

- **استهداف الحقيقة:** فالموضوعية تتطلب البحث عن الصواب والحق، قال أبو حامد الغزالي: "ينبغي أن يكون طالب الحق في طلبه كناشد الضَّالَّة لا يُفرِّق بين أن تظهر على يده أو غيره."
- **الانطلاق من الحق:** الذي يجعل المجدِّد يسعى في عمله على أساسه، ويزن الأمور بميزانه دون الأهواء والشهوات والرغبات الشخصية.
- **الأخذ بالحق دون المراوغة فيه:** أو اكتفاء بما يوافق الهوى منه، أو الوقوف عند حدِّ الاعتراف النظري به.

ويظهر أن هذا الضابط من أهم الضوابط اللازمة لتجديد الخطاب الإسلامي وإعادة التصور الصحيح، والفهم السليم للمبادئ والأصول الإسلامية، وذلك لأنه ضابط إيماني أخلاقي.

- **التمسك بالأصول والثوابت الإسلامية:** أصول الدين وثوابته لا تقبل التجديد بأية حال من الأحوال، وأي تجديد يتناول شيئًا منها يدخل في إطار التبديد، كالتجديد في العقيدة الإسلامية، وأركان الإسلام الخمسة، وكل ما ثبت بدليل قطعي من المحرمات كالزنا والربا وشرب الخمر، وأصول الأخلاق بجانبيها، وهذا يشمل ما يتعلق بعلاقة الإنسان بربه كالإخلاص، والخوف من عقابه، وما يتعلق بالإنسان وأخيه الإنسان من صدق ووفاء ورحمة وبرٍّ وإكرام، وكذا ما ثبت بنصوص قطعية في أمور الشريعة والحدود والقصاص والمعاملات، وأمور الأسرة من زواج وطلاق وإرث.[1]

[1]- **المرجع نفسه**، ص 07.

وإذا كان هناك تجديد في الأصول والثوابت الإسلامية من منظور الإسلام، فإنه التجديد الذي يحيي الأصول ويعيد الحيوية إلى الثوابت، بل هو السبيل لامتداد تأثيرات ثوابت الدين وأصوله إلى جوانب الحياة المختلفة.

والتعامل مع الثوابت والمتغيرات على وجه واحد إمَّا أن يفضي بالثوابت إلى التحلل وضياع الهوية الدينية، وانصهار العقيدة الإسلامية في الملل والنحل الأخرى، وإما أن يفضي بالمتغيرات إلى الجمود والتقليد، وكلتاهما يضيع الدين بينهما.

- **التأكيد على محدودية العقل البشري وعدم إحلاله محل الوحي:** هناك من الأمور ما هو فوق طاقة العقل البشري، وخارج عن حدوده، وأي خوض فيه إنما هو تخبط لا يجني العقل من ورائه إلا الشقاء والضلال؛ وذلك لأن العقل الإنساني مقيد بإطار الزمان والمكان الحسيين، والنشاط العقلي لا يتجاوز بمفرده دائرة الكون المحسوس؛ لأنها خارج نطاقه وقدراته ولهذا يجيء الوحي الإلهي ليكمل للإنسان دائرة المعرفة فيخبره بما هو خارج عن قدراته من عوالم الغيب المختلفة.[1]

وإذا كان الإسلام قد حجب العقل عن معرفة الكُنه والجوهر في الوجود الغيبي، فإنه قد دفعه إلى تعقله عن طريق المعرفة بآثاره وصفاته، كما دفعه إلى استخدام الأدلة والبراهين المثبتة له، وفرق كبير بين العلم بكنهها وجوهرها، وما أكثر الأمور التي نؤمن بها ولكننا لا نعرف كنهها كالعرش والكرسي والميزان والصراط وغير ذلك من عوالم الغيب، والقدر الذي أوقفنا الإسلام عليه، وأي تزيُّد على ما أخبر به الوحي هو تنطع في الدين، وشرود بالعقل في غير مجاله ولن يعود بفائدة على الإنسان، كما أن أي تأويل لهذه الأمور الغيبية إنما هو خروج بها

[1]- **المرجع نفسه**، ص 07.

عن حقيقتها وتجاوز واضح للعقل يفضي إلى تحريف الدين وتبديله لا تجديده، وتعدٍّ على دائرة الوحي والتشريع لا يحصد العقل من ورائه إلا الحيرة والاضطراب.

- **إصلاح الفكر الدعوي في إطار منهجي**: الأمة الإسلامية قد أصيبت بخلل فكري، وتضارب في العقول نتج عنه تشتت الأنفس وتناقض الأفكار، والوقوع في الحيرة والاضطراب، فاستلزم ذلك إصلاح الفكر وتجديده من خلال المنهج الإسلامي الرشيد، وهذا ليس بالأمر الهين البسيط، بل هو من أصعب الأمور وأكثرها تعقيدًا وأشدها خطورة؛ إذ إن مهمة الإصلاح والتجديد تلي في المنزلة عمل الأنبياء والمرسلين في بناء الإنسان وإعادة تشكيل هيكله الفكري والثقافي عن الدين والكون والحياة، فالمشكلة الأساس هي التعامل مع القيم، والإنتاج الفكري الذي يجسد العلاقة بين هذه القيم بمنطلقاتها وأهدافها وبين العصر، ويساهم باستصحاب الرؤية القرآنية، ويدرك عالم الخلود في الرسالة الإسلامية وقدرتها على العطاء المتجدد المجرد عن حدود الزمان والمكان لحل المشكلات البشرية، وهذه وظيفة الفكر، أو عالم الأفكار الذي نعاني من التأزم فيه، ولذلك يمكن القول: إن الخلط بين ما نسميه الأزمة الفكرية التي يعاني منها العقل المسلم، والتي أورثته العجز عن التعامل مع القيم من جانب، وأفقدته القدرة على تنزيلها على الواقع الإنساني، وبين التوهم بأن الأزمة في القيم نفسها، كان وراء الكثير من المغالطات والتراجعات والحواجز النفسية التي لا تزال تُكرِّس التخلف باسم التدين.[1]

[1]- **المرجع نفسه**، ص 07- 08.

لذا فمراعاة هذا الضابط، وتحديد مفهومه وعدم الخلط بين إصلاح الفكر وإصلاح القيم التي جاء بها الوحي من الضروريات المهمة للنهوض بالعملية التجديدية للخطاب الإسلامي، وإقامة البناء المعرفي والثقافي للأمة الإسلامية ومن ثم إعادة الدور الحضاري لها.

- **الالتزام بأساليب وقواعد اللغة العربية في تفسير النصوص الدينية وتأويلها:** اللغة العربية هي لغة الوحي، فالقرآن نزل بلسان عربي، وكذلك السُّنَّة جاءت بهذا اللسان العربي، ويُجمع العلماء على أن اللغة العربية من أقدر اللغات على استيعاب متطلبات النمو الحضاري لتضمنها العديد من أنواع الأساليب البلاغية والبيانية التي تصمد أمام التحديات والمتغيرات على مَرِّ الأزمان والعصور.

وهي ليست مجرد وسيلة للتعبير عن أغراض الناطقين بها فقط، بل هي جزء من الدعوة الإسلامية، "ولذلك أصبحت العربية بوضعها الراهن حالة عقائدية وتاريخية وسياسية فهي عقائدية بارتباطها بالقرآن، وهي تاريخية بمقاومتها لعوامل التغيير، وثباتها في مواجهة رياح التعرية، وهي سياسية بما تحرك من قوى معادية تريد القضاء عليها باعتبارها أعظم مقومات بقاء هذه الأمة العربية المسلمة"، لهذا كان اتباع أساليب وقواعد اللغة العربية في بيان معاني النصوص الدينية من ألزم الضوابط في الإطار التجديدي للخطاب الإسلامي.

فألزم الضوابط التي تفرض نفسها على أية محاولة للتجديد أو التأويل لهذه النصوص اتباع أساليب العرب في الخطاب، ومناهجها في التعبير والتصوير، والدلالة على المعاني أمرًا ونهيًا، إثباتًا ونفيًا، تخصيصًا وتعميمًا، وصلًا وفصلًا، حقيقة ومجازًا، مع التفقه في أسرار ذلك كله

وأساليبه المتنوعة في كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله، صلَّى الله عليه وسلَّم، وذلك حتى يكون التجديد بعيدًا عن الهوى أو الجهل والتأويل العبثي للنصوص.[1]

- **عدم الاعتماد على نصٍّ واحد في الحكم، وإغفال بقية النصوص الدينية التي وردت فيه:** الباحث المنصف لا يستطيع الوصول إلى الفهم الصحيح والتفسير الصائب لنص مقتطع من نسق فكري كامل دون مراعاة المجموع أو تبيين الدلالة المستفادة من نص دون بحث عمَّا يرتبط به من نصوص تفيد إطلاقه أو تخصيص عمومه أو تزيل ما يلابسه من خفاء أو إشكال... إلخ مما هو مقرر لدى أهل هذا الشأن.

بعض المناوئين للإسلام يتهمون الإسلام بأنه دين قتال، وأنه انتشر بقوة السيف واعتمدوا على بعض نصوص الوحي المطلَقة، وفسَّروها منفصلة عن بقية الآيات المقيَّدة، ومن المعلوم لدى علماء التفسير أن المطلق يُحمل على المقيد إذا وردا في قضية واحدة، وذلك لأن القرآن يفسِّر بعضُه بعضًا، وقد رأينا بعض من يفتي بحرمة القيام لأهل العلم أو الوالدين وتقبيل أيديهم لحديث سمعه يتصل بذلك، دون أن يُلِمَّ بالأحاديث الأخرى التي أباحت القيام لهم توقيرًا وإجلالًا، ورأينا ممن يدعون الإسلام من يحاول أن يثبت أن الإسلام خاص بالعرب وحدهم، وأنه دين جنس معين كاليهودية أو النصرانية وذلك حتى يوقفوا المد الإسلامي في دول العالم المختلفة.[2]

المطلب الرابع: تجديد الخطاب الدعوي في فكر محمد الغزالي

إن مشروع الغزالي الفكري امتداد لروّاد مدرسة التجديد مثل محمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا، وتتجلى معالم هذه الرؤية أو المنهج في أي موضوع يتعرض له الشيخ بالحديث والتحليل

[1]- **المرجع نفسه**، ص 08.

[2]- **المرجع نفسه**، ص 08-09.

والمعالجة، ولنتأمل قوله: "إن المذاهب الفقهية في الإسلام يكمّل بعضُها بعضاً ولا يغني أحدها عن الآخر، إنها كلها تمثل الفكر الإسلامي الرحب الذي يجب أن يُدرس ويُبحث، ويخضع للنقد والمقارنة والترجيح والمحو والإثبات، ونحن شديدو الاحترام لأئمتنا الأوائل، عظيمو التقدير لذكائهم الخارق وتقواهم لله ونصحهم للأمة ومقاومتهم للجور، غير أننا نشعر بأن كل واحد منهم يمثل لوناً من التفوق الذهني والمناهج العلمية، وأن الإسلام مجموعة هذه الألوان وغيرها مما يجدّ على اختلاف الليل والنهار من اجتهاد الفقهاء وتطبيق الكتاب والسُّنة على مختلف الشؤون.

إننا حين نطلب تحكيم الإسلام لا نفكر في إقامة دولة مالكية أو دولة حنبلية، فهذا حمق في التفكير، إن الإسلام الذي نستهدي به هو أولاً: الأصول المعصومة من كتاب وسُنة، وثانياً: جهد العقل الإسلامي في مواجهة الأحداث المتباينة في تاريخه الطويل ومدى ما أحرز من توفيق أو عرض له من خطأ، ونحن المسلمين في هذا العصر نواجه الفكر الإنساني القادم من شتى القارات، العارض لأنواع الحضارات، المصوِّر لشتى النزعات والفلسفات، فكيف يلقى هذا الفيض الغامر رجلٌ محصور في مذهب فقهي تعصّب له؟ أو رجل ينتسب إلى فرقة إسلامية ولد في أحضانها؟ إن على دعاة النهضة الإسلامية المعاصرة أن ينخلعوا من هذه القيود، وأن تكون لديهم إحاطة علمية بما لديهم مهما كان الرأي فيه، وحسن الإدراك لثقافتنا في أصولها وفروعها شيء، وما يميل إليه المرء من رأي أو يؤثره من وجهة نظر شيء آخر، ويؤسفني أن تكون أزمات المعرفة في بلادنا وبين رجالنا بعض الضيق الذي نشعر به في جوانب حياتنا كلها المادية والأدبية، وما يُخدم الإسلام بهذه الفاقة ولا بهذا الانحصار."[1]

[1]- محمد الغزالي، **حصاد الغرور**، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، الدوحة، 1985، ص 272 - 273.

إن هذا التوجه في الطرح الفكري إنما يشير بقوة إلى أن محمد الغزالي يقف من عطاءات العقل المسلم وإبداعات الفكر الإسلامي –عبر مسارات تاريخه– موقف الناقد الممحّص البصير، وأنه ينتقي من شتى الاتجاهات والمدارس والمذاهب ما يخدم حاضر المسلمين وما يعزز مكانتهم في المستقبل، وهو ينظر إلى مختلف المدارس وشتى المناهج على أنها اجتهادات غير معصومة، وإلى الجهود المختلفة التي أنتجتها تلك المدارس والمناهج وأصبحت إرثاً فكرياً وثقافياً وعلمياً هو جزء أساس من النسيج العقلي والنسق المعرفي للعقل المسلم، على أنها رصيد مهم للفكر الإسلامي، بيد أنها ليست ملزِمة في جزئياتها التفصيلية ومسائلها الظرفية، وذلك لوجود المتغيرات المتنوعة في حركة الواقع الاجتماعي وصيرورات التاريخ السيالة المتحركة.

وتظل العصمة والقداسة –برأي الغزالي– محصورة في المنابع لا في السواقي، أي أنها خاصة بالنص المطلق المعصوم عن الخطأ المتمثل في الكتاب والسُّنة، كما يظل النص القرآني تحديداً – وفق هذا المنظور – معياراً أبدياً ثابتاً لوزن القيمة الحقيقية للنصوص والقواعد والمفاهيم الأخرى، أو لوزن مدى صواب أو خطأ الآراء والأفعال والسلوكيات والمنجزات والأعمال البشرية المتّسمة دوماً بالنسبية.

وفي نظر الغزالي وفهمه أن ما أبدعه العقل المسلم عبر مسيرته الحضارية والتاريخية من أنساق معرفية ومناهج وتراكمات فكرية وتنظيرية وثقافية ليست مقصودة لذاتها، فهي ليست ترفاً عقلياً أو متعة ذهنية، وإنما كان وجودها أساساً والباعث عليها يتمثل في خدمة الإحاطة والإدراك المنهجي للنص المطلق المعصوم وفهم مقاصده وأبعاده العامة، والعمل من ثم بهديه وبنور الحكمة المستترة داخل سياقاته وضمن تضاعيفه؛ وذاك سر صياغة القرآن لأجيال عظيمة النفع، زكية

النفس عالية الهمة صلبة الإرادة، وفي ظرف زمني قصير ومحدود إبان البعثة المباركة وخلال فجر الرسالة الخاتمة.

لذلك نرى الغزالي ينعى بشدة فهم واجتهاد الحَرْفيين والنصوصيين للإسلام وتراثه ممن يقدسون القوالب والمناهج التاريخية لبعض جوانب من المعرفة الإسلامية فيفوتهم الانتفاع بالجوهر وبالمقاصد المرتبطة برسالة الإنسان المركزية وغاية وجوده وهي الاستخلاف عن الله وحسن الإصلاح والإعمار في الحياة والكون والتفاعل بالخير والحق مع منظومة معطيات الفطرة الصحيحة السائغة، بل ومع كل ما يوجد في هذا الوجود الكوني الفسيح.

ودلالة ذلك كله أن جوهر النبي صلى الله عليه وسلم وأساس كيانه المعنوي والحياتي برمته إنما هو "هذا الكتاب العظيم الذي صنع حضارة العقل السليم، فكيف ننسى هذا كله وننشغل بأمور شكلية هي أقرب إلى القشور، إن قشرة البرتقالة أو قشرة البيضة قد تكون ضرورة لحفظها وبقائها، ولكن ليس معنى هذا أننا نأكل قشر البرتقال أو قشر البيض، فالقشرة هي الشكل ومهمتها أن تصون الجوهر، فإذا انتفعنا كان انتفاعنا بهذا الجوهر قبل كلّ شيء، أما الذين يعيشون على قشر البرتقال أو قشر البيض ولا ينفذون إلى صميمه فهم قوم جهلة، وأنا أرفض أن يكون زمام الفكر الإنساني والإسلامي في أيدي هؤلاء."[1]

هذه الرؤية تؤكد انتماء محمد الغزالي لمدرسة التجديد والإحياء والاستفادة المطلقة والمفتوحة من تراث الإسلام كله ومن الجوانب المضيئة لعطاءات العقل الإنساني، تلك التي تمثل مشتركاً إنسانياً عاماً؛ إذا كان الأمر كذلك، فلن نعدو الصدق والموضوعية إذا قلنا: "إن الشيخ الغزالي هو واحد من أعلام هذه المدرسة الفكرية، مدرسة الجامعة الإسلامية، مدرسة الإحياء والتجديد

[1]- إبراهيم نويري، **الشيخ الغزالي والفكر الاجتهادي**، نقلا عن الموقع: 10-11-2021.

الحديثة لفكر الإسلام لتُجدّد به حياة المسلمين.. إن شيخنا الغزالي هو واحد من علماء هذه المدرسة، وإن موقعه الفكري في الإطار الذي يجمع أعلام هذا التيار، فالرجل يكاد أن يحتضن كلّ تراث الإسلام وأن يستدعي من ثمرات إبداع المدارس الفكرية المختلفة كلّ اللبنات الصالحة للعطاء في مواجهة ما نواجه من تحديات."[1]

هذه بعض محدّدات الموقع الفكري الذي ينتمي إليه فكر محمد الغزالي واجتهاده وتنظيره، وهذا هو المنطلق الذي تحرك من قواعده وخلفياته وأسسه، فجاء مشروعه الفكري لبنة عامرة بالحيوية نابضة بالحياة، تبشّر بحركية جديدة وبأنساق فاعلة وواعدة وأنماط أخرى محتملة لمستقبل الفكر الإسلامي، تكون قائمة على قواعد منهجية صلبة ومنفتحة على المعرفة وعلى عطاءات العقل الإنساني والخبرة الإنسانية والفطرة الصحيحة؛ ونحن لا نجدّف في استنباط وبسط هذه المحدّدات لموقع الغزالي الفكري، إذ إننا نجد الغزالي نفسه يشير بوضوح إلى هذا الانتماء الفكري وأهم خصائصه وقسماته، وذلك بقوله: "المدرسة التي أعتبر نفسي رائداً فيها أو ممهّداً لها تقوم على الاستفادة التامة من جميع الاتجاهات الفكرية والمذاهب الفقهية في التاريخ الإسلامي، كما ترى الاستفادة من كشوف الفلسفة الإنسانية في علوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتاريخ ومزج هذا كله بالفقه الصحيح للكتاب والسُّنة. إن الرؤية الصحيحة لأحكام الشريعة أو الحكم الصائب الذي ينبغي تقريره لا يتم إلاّ مع رحابة الأفق ووجود خلفية عظيمة من المعرفة القديمة والحديثة على السواء.[2]

---

[1]- الشيخ محمد الغزالي، **الموقع الفكري والمعارك الفكرية**، مرجع سابق، ص 40 – 41.

[2] _**المرجع نفسه**.

الفصل الأول:
محطات من حياة الشيخ الغـــــــزالي

ووجدته مع ذلك إنسانا رقيق القلب، قريب الدمعة، نقي السريرة، صافي الروح، حلو المعشر، كريم الخلق، باسم الثغر، موطأ الأكناف، عذب الحديث، سريع النكتة، بسيطاً متواضعا، هيئا لينا، بعيدا عن التكلف والتعقيد والتظاهر والادعاء، تسبق العبرة إلى عينيه إذا سمع أو رأى موقفا إنسانيا، ويهتز خشوعا وتأثرا إذا ذكر الله والدار الآخرة، ولا يأنف أن يتعلم حتى من تلاميذه، يعترف لكل ذي موهبة بموهبته، لا يحسد ولا يحقد، يكره الظلم والتسلط على عباد الله يقول بصراحة: لا أحب أن أتسلط على أحد، ولا أن يتسلط علي أحد.

ـــــــــــــــ يوسف القرضاوي

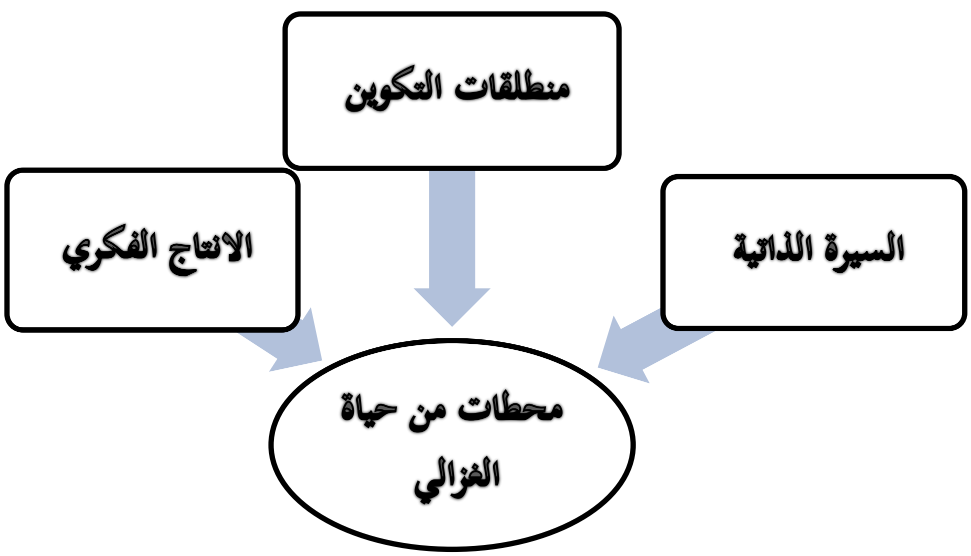

تمهيـد

ليس ثمة شك أن محمد الغزالي (1917-1996) كان له دور ملحوظ في تجديد الفكر الإسلامي على مدى النصف الثاني من القرن العشرين للميلادي، على اعتبار أنه يمثل مدرسة الإحياء والتجديد الحديثة التي قادها الأفغاني ومحمد عبده، والظروف التي أنتجت رواد هذه المدرسة مستمرة بشكل او بآخر، فرغم حدوث الاستقلال السياسي إلا أن التبعية الاقتصادية والثقافية والإعلامية للغرب، لا تزال مستمرة باعتباره المركز المنتج، ولا يزال الشرق الإسلامي هو الهامش المستهلك.

كتب الشيخ في قضايا العالم العربي والإسلامي في الفكر السياسي والاجتماعي والأوضاع الاقتصادية وقضايا المرأة وغيرها، كما قدم رؤية تجديدية في ميادين عدة، من أبرزها: تفسير القرآن الكريم، تصحيح تعامل المسلمين مع السنة النبوية، طرحه اجتهادات وترجيحات فقهية وفكرية في العديد من القضايا المعاصرة.

وفي هذا الفصل بحث موجز في سيرة ومسيرة محمد الغزالي-رحمة الله عليه-، ومحاولة تلخيص معالم منهجه العلمي في التجديد، واسهاماته الفكرية والعلمية في تاريخ الدعوة الإسلامية المعاصرة .

المبحث الأول: السيرة الذاتية لمحمد الغزالي

المطلب الأول: النسب والأسرة والمولد

ولد محمد الغزالي السقا في 1917/09/22م في قرية نكلا العنب من ايتاي البارود بمحافظة البحيرة بمصر .ونشأ في أسرة محافظة يغلب عليها العمل بالتجارة ، و كان والده من حفظة القرآن الكريم وقد نشأ الإبن على ذلك "[1] .

وقد اختار والده أحمد مرسي السقا . لابنه البكر الاسم المركب محمد الغزالي تيمنا بالفقيه الشافعي المتصوف صاحب كتاب إحياء علوم الدين أبي حامد الغزالي، لشدة إعجابه به وتأثره بنزعته الصوفية، وقد رآه ذات ليلة في المنام يخبره أنه سيتزوج وينجب ولدا، ويشير عليه بأن يسميه الغزالي وقد كان ذلك "[2]

المطلب الثاني: أبرز المحطات في حياة الإمام الغزالي

كان والد محمد الغزالي قد رسم لابنه البكر طريقه في طلب العلم الديني من البدايات الأولى لحياته، إذ رأى في ابنه الحلم الذي أمل تحققه في أن يكون غزالي هذا العصر، فنذره لله ولخدمة الإسلام تربية وتعليما وقد حفظ فضل والده عليه في صباه وذكر بعضا من أيام طفولته معه في مذكراته فقال "وأشهد أن أبي رحمه الله، كان عابدا قواما ومكافحا جلدا، وقد سماني محمد الغزالي لأن أبا حامد أوصاه بذلك في رؤيا صالحة رآها وهو أعزب. وعندما ولدت شرع يهتم بي، فما

[1] ـ عبدالله العقيل سليمان العقيل **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة** ص 28 الطبعة الثالثة 2005م

[2] ـ محمد مجذوب **علماء ومفكرين عرفتهم** ج 1 طبعة 4 ص 265

بلغت الخامسة حتى كنت في الكتاب ، أحفظ القرآن مع غيري من الصبية "[1] ولما كان الوالد قد قرر لابنه طريقه، وقد أمل أن يحوز بعض ما حازه أبو حامد الغزالي من علم ومكانة ، فقد انتقل الغزالي الغلام من كتاب القرية إلى المعهد الديني المخصص لمحافظة البحيرة في الإسكندرية سنة 1928م ليحصل على الشهادة الإبتدائية بعد سنوات أربع ثم شهادة الكفاءة بعد ثلاث سنوات، ثم شهادة الثانوية بعد سنتين سنة 1937م .

وفي العام نفسه التحق الغزالي الشاب بالتعليم العالي الأزهري بالقاهرة، ليبدأ دراسته بكلية أصول الدين، حيث تلقى العلم فيها على يد كوكبة من كبار العلماء، أمثال: الشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبدالعظيم الزرقاني، وبعد سنوات أربع نال شهادتها العالية سنة 1941م ، ليتخصص في الدعوة والإرشاد "[2]

"وفي هذه الأثناء كان الشيخ محمد الغزالي قد وضع أقدامه على طريق الثقافة الإسلامية الرشيدة، فكان نهم القراءة متعدد المواهب، مطلا على كل الأفاق الثقافية مع التعمق في الثقافة الإسلامية والآداب العربية "[3]، وهذا أحد أهم الروافد التي صنعت فكر الشيخ في انفتاحه على مختلف المدارس الفكرية القديمة والحديثة، واستيعابه لثقافة الاختلاف دون جمود ولا انغلاق، ما جعل فكره متميزا عن غيره من الدعاة والمصلحين، يقرأ ويسمع له المؤيد والمخالف، ويحترم رأيه حتى و إن لم يوافقه في بعض ما يطرحه ، جمع بخطابه جمهورا عريضا من عامة الناس وخاصتهم

[1]- **محمد الغزالي قصة حياة**، مجلة إسلامية المعرفة العدد السابع . منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي إعداد محمد جلال لاشين ص5.

[2]- محمود عبده، **محمد الغزالي داعية النهضة** الإسلامية الطبعة الأولى 2009 ص 18

[3]- خالد حباسي، **الفكر السياسي عند الشيخ الغزالي** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير 2003م

باختلاف مشاربهم و اتجاهاتهم على القواسم الجامعة ، وأنار الطريق لهم لحسن خدمة دينهم و أوطانهم، بما حباه الله به من أسلوب ومرونة في الدعوة إلى الله.

ويذكر الغزالي بعض من تأثر بهم من مشايخه ممن كان لهم فضل في صناعة فكره، وبناء شخصيته العلمية "الشيخ عبد العزيز بلال، والشيخ إبراهيم الغرباوي، والشيخ محمد الريان" ويعلل ذلك التأثير بما تميز به هؤلاء، ومن في طبقتهم أيامئذ من السلوك العالي، والإخلاص الذي يريهم العلم والتعليم وسيلتهم المفضلة إلى مرضاة الله، وبذلك كانوا المعلمين والأسوة في آن واحد"[1].

بعد مرحلة الدراسة والحصول على وظيفة كان ينتظر الشاب اليافع بناء أسرة يأوي إليها، على سنة الفطرة التي فطر الله الناس عليها، أخلص لأسرته زوجة وأبناء بالحب والمودة وحسن الرعاية و التربية، يقول رحمه الله ملخصا سنين العمر مع رفيقة دربه "لقد عشت مع زوجتي ثلاثين سنة كأسعد زوجين في الدنيا، وكافأتها على رضاها بفقري، فأسكنتها الغرف، وأذقتها الترف، وجعلتها تدوس الحرير والذهب، وأنجبت منها تسعا من الولد، استودعت ربي اثنين، وبقي لي سبع من الإناث والذكور، ثم فارقت الدنيا على غير انتظار، فبكيتها من أعماقي "[2]

المطلب الثالث: ملامح شخصية الغزالي[3].

لقد تضافرت للشيخ الغزالي صفات خلقية مباركة منها الصدق والإخلاص والإباء العدل والإنصاف، ومحاربة الذل والاستبداد والتواضع وإيثار الحق على غيره مهما كلف الأمر، واستقامة

---

[1] – محمد مجذوب، **علماء ومفكرين عرفتهم**، ج 1 طبعة 4 ص 266.

[2]- **محمد الغزالي قصة حياة**، مجلة إسلامية المعرفة ص 54.

[3]– طه جابر العلوان، **مجلة إسلامية المعرفة**، ،شيخنا محمد الغزالي وصفحات من حياته، ص 5– 6.

التفكير، وكراهية الظلم، وطلب إن التكوين العلمي والثقافي للشيخ واتساع اطلاعه على العلوم الإسلامية، وإن استقصاء ولو كان عابرا – لسيرته ومسيرته ومنطلقات تفكيره...تفرض علينا وضع جملة ركائز في شخصية الإمام قل أن تتوافر كلها، أو تجتمع بجملتها، في عالم معاصر.

الفرع الأول: ميزات في فكر الغزالي وشخصه.

يمكن لنا كدارسين لفكر محمد الغزالي أن نبسط ما نراه مهما في حصر خصال راسخة في سلوكياته وأخلاقه والتي لها دلالاتها على مستوى تكوين فكر الغزالي وبلورة ثقافته الإسلامية نذكر منها:

- الاجتهاد القائم على سعة الإسلام ومرونته، ومقاصد شريعته، وكليات مصادره، وغاياته العليا.
- السماحة والاعتدال، اللذان ينبهان بوضوح إلى الفهم الدقيق لوسطية الإسلام، والإدراك العميق، لقيمه العليا (التوحيد والعمران والتزكية) والفقه المستفيض في معيار الإسلام الأساس (العدل) الذي منه انبثق "الاعتدال" واشتقت " الوسطية." كما امتاز الغزالي بمحاربة التدين المغلوط، والتطرف الممقوت في فهم الدين، والرجوع به إلى اليسر والاعتدال، بعيدا عن غلو الغالين، وتفريط المفرطين، وهو توجه بدأه من قديم،

ولكنه ركز عليه في المرحلة الأخيرة، منذ اصطدم بالغلاة والمتطرفين والحرفيين أثناء عمله في مصر وخارجها.[1]

- الغيرة الصادقة على "الأمة القطب" التي انتمى إليها بعقله وقلبه ووجدانه فضلا عن دمه وجسده، غيرة صادقة على دينها وأرضها وعرضها وأبنائها وماضيها وتاريخها وحاضرها ومستقبلها ووحدتها.

[1] – يوسف القرضاوي، **الشيخ الغزالي كما عرفته**، ص 198.

- القدرة النقدية والطاقة العقلية والمعرفة المتنوعة الواسعة والذكاء الخارق اللماح والطاقة المتجددة المتطلعة إلى معرفة الجديد والمزيد في كل ما من شأنه أن يخدم هذه الأمة وقضاياها المتشعبة.
- الحب والوفاء لربه ولنبيه ودينه وأمته ورفاقه وتلامذته يساعده على ذلك قلب كبير نقي من الغل والحقد والحسد والبغضاء والكراهية، خالص للإيمان والحب والوفاء[1].

الفرع الثاني: عقل وخلق وإيمان

يجمع الغزالي بين العقل والقلب ويشيد بالعقل وينوه بالفكر والمنطق ويحمل على البلداء والمغفلين، الذين يحملون الدين وزر بلادتهم وغباوتهم ويسخر ممن يزعم أن أكثر أهل الجنة (البله)، في حين يجعل القرآن أهل الجنة هم (أولوا الألباب.(وبين الإسلام والعقل يقول الغزالي بنفسه " إن الدين الإسلامي يتجه إلى العقل البشري بكل ما لدى هذا العقل من مواهب وإمكانات ويقول له: ابحث عن الحق واتبعه، وارفض الظنون، والأحداث والتخامين، إذ لا يحق للإنسان أن يكون عبد وهم، أو صريع فكرة خاطئة، يقول له " ﴿لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسْرَاء : ٣٦] وقد تتبعت– يضيف الغزالي – نداءات القرآن الحكيم فوجدته يعول على أولي الألباب في القرآن الكريم كثيرا.

قال الله ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البَقَرَةِ : ٢٦٩]

[1] – يوسف القرضاوي، مجلة إسلامية المعرفة، **نظرات في ثرات الشيخ الغزالي**، ص 20.

وقال: ﴿فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عِمۡرَان : ١٩٠]

وقال: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾ [الرَّعۡد : ١٩]

وقال: " ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ١١١﴾ [يُوسُف : ١١١]

وقال: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ [إِبۡرَاهِيم : ٥٢].

وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص : ٢٩]

يعقب الشيخ الغزالي بعد سرده للآيات: "إننا نجد أنفسنا أمام دين يقيم الإيمان على دعائم أخرى غير ما ألف الناس إذ كثيرا ما تصوروا أن الإيمان هو التسليم الأعمى للغيب، أو هو نوع من الاستكانة لقوى ما وراء المادة، أو نوع من الكسل الفكري...هذا الدين حين يتحدث عن المعذبين في الجحيم يقول ﴿قَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ [المُلْك : ١٠] [1]

الشيخ الغزالي رجل قرآني، ينطلق من حقيقة أن المصدر الأول لتعليم الإسلام إنما هو القرآن، وأنه انتهى إليه الوحي الإلهي، ولا رجاء أن يكون للبشر كلمة سماوية بعده، لذا فهو المصدر الأول، الشبيه بالجذع الذي ترجع إليه فروع التشريع كلها فلا شيء يرقى –قداسة ودلالة– منزلة

[1]– نقلا عن موقع يوتيوب في محاضرة ألقاها الشيخ الغزالي تحمل عنوان ـ **الإسلام والعقل** ـ .

هذا الكتاب المصون والسفر المكنون وهو دستور الأمة، القواعد ،مجمع التشريع والحكم، ومائدة الله المنزلة على عباده ...

من هذه المنطلقات، كان الغزالي سواحا في رحاب القرآن، جوابا في آفاقه قراءة وتدبرا وتفسيرا[1]، فكان زاده الأوحد وسلاحه الأجود في إقامة الحجة على خصومه، ورد الباطل مندحرا إلى تخومه، وحينما رأى انحراف الأمة – حكاما ومحكومين – إنما سببه ابتعادها عن هذا الوحي، بأي شكل من أشكال البعد والهجر، فقد قال تعالى ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفُرْقَان : ٣٠] [2] أفضل شرح لدستور الشريعة (القرآن)

السنة عند محمد الغزالي

ووظيفتها مع القرآن معلومة واضحة، وقد قال في أحد كتبه " ليست هناك سنة تعارض حكما قرآنيا ما، بل إنه من المستحيل أن يوجد حديث يعارض أحكام القرآن الخاصة، أو قواعده العامة"[3]

ونرى أن الغزالي يؤكد على أن السنة هي زاد كل مسلم، وكل فقيه وكل محدث، كل واحد من هؤلاء يأخذ من هذه السنة، ما يحتاج إليه على قدر فهمه وفقهه، فمنهم من يأخذ منها بحظ وافر، ومنهم من يخرج منها بقدر ضئيل، بل إن منهم من لا يحسن الأخذ من هذه السنة، فيخرج منها ببضاعة مزجاة.

ونحن نقر أننا نجد في كتب الغزالي حشدا كبيرا من الأحاديث الشريفة، يسوق لها آيات القرآن العزيز لتكون نورا على نور، فيبين بها حقائق الإسلام، ويرد بها على أباطيل خصومه،

---

[1]– يوسف بلمهدي، **مرتكزات الفكر الدعوي عند الشيخ الغزالي**، من كتاب منهج الشيخ محمد الغزالي في التجديد والإصلاح ص100.

[2]_محمد الغزالي، **ليس من الإسلام**، دار القلم، ط1، 1999م ، ص29.

[3]–**المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

ويصور بها عدله ورحمته، ووقوفه مع الضعيف حتى يقوى، ومع المظلوم حتى ينتصر، ومع الجاهل حتى يتعلم، ومع الجائع حتى يطعم ومع الخائف حتى يأمن، ومع المستعبد حتى يتحرر[1].

الفرع الثالث: خصائص المسيرة الدعوية.

أولا: الشيخ الغزالي رجل دعوة بامتياز، مخلص لدعوته متجرد لها، حتى غدت الدعوة إلى الله جزء من كيانه أوهي بعض من شخصه، إذ لا هم له – رحمة الله عليه – إلا أن يرى أثر دعوته في عباد الله ماثلة، أو لنقل يرى نصر الله الذي وعد به المتقون...

وحين طال الانتظار تفطن الإمام إلى أن ثمة خلل ما ينبغي إصلاحه، أو ثمة انحراف أو زيغ وجب على الأمة تداركه.

ثانيا: فهم الواقع سمة بارزة في فكر الشيخ الغزالي، إذ لا يمكن عزل التشريع عن الحياة، ولا الخطاب عن المخاطب وهذا أحد شروط الاجتهاد، مع عدم مصادمة النصوص إرضاء للواقع، إذ كان حريصا على معرفة علوم كثيرة، حتى نظر بعمق إلى المجتمعات الإسلامية المعلولة فرتب أدواءها، وحارب الداء والدواء معا.

ويكاد يكون الغرض من جل مؤلفاته هو وجود قصور رهيب في الواقع الإسلامي وفي تصورات رجاله، وهو ما يبرر تناوله بالنقد والتمحيص والتوجيه، وربما يتضح ذلك من خلال عناوين كتبه أولا، وتفاصيل فهارسها ثانيا، والقراءة المتأنية لمحتوياتها ثالثا[2].

وفقه الواقع عند الغزالي كان عن طريق المعايشة والاطلاع، سواء كان واقع المسلمين أو واقع القوى المعادية لهم، الواقع المحلي والواقع الإقليمي والواقع الإسلامي، وحتى الواقع الدولي...هذا

---

[1]– **الشيخ الغزالي كما عرفته**، مصدر سابق، ص127 .

[2]– عمار جيدل، **دور الشيخ الغزالي في ترشيد الواقع الإسلامي**، منهج الشيخ في التجديد والإصلاح (أعمال الملتقى الوطني الأول) أفريل 2001م،ص 40.

الواقع كتاب مفتوح لدى الشيخ، يقرأ سطوره وما بين سطوره، ويتدبر أحداثه ويتعلم منها ويعلم، ويوظفها في نصرة دعوته وتحقيق مقاصدها.[1]

ويفصح محمد الغزالي بما هو قريب من هذا المعنى فيقول " قد رأيت بعد تجارب عدة، أنني لا أستطيع أن أجد بين الطبقات البائسة، الجو الملائم لغرس العقائد العظيمة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة.

إنه من العسير جدا أن تملأ قلب إنسان بالهدى، إذا كانت معدته خالية، أو تكسوه بلباس التقوى إذا كان بدنه عاريا، إنه يجب أن يؤمن على ضروراته التي تقيم أوده كانسان، ثم ينتظر بعدئذ، أن تستمسك في نفسه مبادئ الإيمان، كثيرا ما وجدتني أعالج وعظ الناس في بيئات صرعها الفقر والمرض والجهل، فكنت أحار ماذا أقول لهم، هل أقبح لهم الدنيا كما يظن أنه مفروض من علماء الدين؟ إن الدنيا لن تكون أقبح مما عليه في أعين هؤلاء التعساء.[2]

ثالثا: إن من مفاتيح شخصية الغزالي أنه من دعاة الحرية، بل هو من عشاقها، وهي من العناصر الإصلاحية في مساره الدعوي، وبالمقابل فهو عدو للاستبداد، أيا كانت صورته، ولا يقبله بحال، ولو تسربل باسم الدين، بل يرى أن الاستبداد باسم الدين أشد خطرا من غيره.[3] ومعلوم أن أولى كتب الغزالي كان في السياسة وهو كتاب " الإسلام والاستبداد السياسي" وهو مجموعة محاضرات ألقاها في معتقل الطور سنة 1949م. وتناول الموضوع في كتب عدة

---

[1]- محمد يونس، **تجربة الشيخ محمد الغزالي في تجديد الفكر الإسلامي** ص 164.

[2] – محمد الغزالي، **الإسلام والأوضاع الاقتصادية**، القاهرة، دار الريان للتراث، ط 8، عام 1987م، ص 61.

[3] _ **الشيخ الغزالي كما عرفته**، مصدر سابق، ص 212.

وبأساليب شتى، لأنه يمثل دعامة أساسية في فكره الإصلاحي والدعوي، وفي فقهه السياسي الذي يمكن إجماله في نقاط هامة[1] منها:

- الإسلام يملك نظاما إيديولوجيا متكاملا يحيط بكل جوانب الحياة المجتمعية بما فيها الحياة السياسية، وهذا النظام وحده النظام الصحيح الصالح للحياة الإنسانية الفاضلة.
- النظام الإسلامي المنشود لا يمكن أن ينتقل من مستوى الرؤى الإيديولوجية إلى أرض الواقع إلا إذا امتلك المسلمون القوة والسلطة اللازمتين، والقناة السلمية الوحيدة المتاحة لإجراء التغيير في النخبة الحاكمة هي الاحتكام للشعب عبر صناديق الاقتراع.
- يجب الإفادة من العملية السلمية بدلا من نسفها بحيث يصبح الحوار بين التيار الإسلامي باتجاهاته، والتنظيمات السياسية الأخرى حوارا وتنافسا تقليديين لأجل الوصول إلى مقاعد السلطة.
- المشاركة في العملية السياسية ليست غاية في حد ذاتها وإنما هي مجرد آلية يسعى عبرها مجموع المكلفين إلى تحقيق مقاصد الشرع من عدل ومساواة وحفظ المجتمع .
- الرقي والتطور في العالمين العربي والإسلامي، مرهون بمرونة الفكر السياسي الإسلامي، الذي يمكن تطويعه، بما يتيح الفرص لإعادة صياغة الكثير من المفاهيم ، والآليات التي تحكم نظام الدول.

[1] ـــ مفلاح بن عبد الله، **الدين والسياسة في خطاب محمد الغزالي**، دار الخلدونية، 2012، ص 196.

المبحث الثاني: منطلقات تكوين شخصية الغزالي

تعددت العوامل التي أثرت في شخصية محمد الغزالي عليه رحمة الله، منها البيئة التي نشأ فيها الاسرة والقرية وكذا دراسته الازهرية والكثير من التجارب التي ساهمت في بنائه الفكري والنفسي، وصياغة شخصيته الدعوية.

المطلب الأول: العوامل المؤثرة في تكوين شخصية محمد الغزالي

أولا : الدراسة الأزهرية

يقول محمد الغزالي: "لقد دخلت الأزهر وعمري عشر سنين، وقضيت فيه خمسة عشر عاما، لم أكن خلالها طالب علم يتفرغ ليتلقى دروسه، بل كنت مقاتلاً في حرب دائمة مع الدولة والمجتمع!"[1]

إلتحق الغزالي بالأزهر وهو في بداية عقده الثاني، ليبقى فيه خمس عشرة عاما تالية حتى تخرجه وحصوله على درجة الماجستير في الدعوة، وقد كان لتلك السنوات الأثر الإيجابي، فقد تعامل الشيخ مع معلمين وأساتذة كانوا مثالاً للخلق والتمكن العلمي معاً، فكانوا قدوة طيبة تركت أثرها في خلق الشيخ وفكره، يذكر منهم في مرحلة ما قبل الجامعة: الشيخ عبد العزيز بلال، والشيخ إبراهيم الغرباوي، والشيخ محمد الريان، وقد تأثر الغزالي بشيوخه هؤلاء في إخلاصهم في تعليم طلابهم، واتخاذ مهنتهم وسيلة لمرضاة الله، وقد روى الغزالي لمحمد المجذوب مثالاً لما تميز به معلموه هؤلاء من خشية الله، فقد كلفه شيخه الريان ذات يوم بإعراب جملة اعبدت الله؟! فأجاب الغزالي متأدبا مع الله: اسم الجلالة منصوب على التعظيم، ولم يقل: منصوب لأنه مفعول به، كما تقضي القواعد النحوية المقررة، فما تمالك الأستاذ نفسه من

[1] – **كفاح دين**، مصدر سابق، ص 174.

البكاء، وقد استحضر عظمة الله من كلمات تلميذه[1]، ليعطي الغزالي الشاب درسا في خشية الله واستحضار عظمته، حملته ذاكرته عقوداً من الزمن.

وفي المرحلة الجامعية، يذكر الغزالي على رأس أساتذته: الشيخ محمود شلتوت، والشيخ أبو زهرة[2]، وقد تأثر بهما تأثيراً كبيراً في آرائه الفقهية، كما تأثر بالشيخ شلتوت في موقفه من الشيعة الإمامية، وفتواه الشهيرة بجواز التعبد على المذهب الإمامي، وقد نمت بين الغزالي والشيخ أبو زهرة علاقة صداقة، توثقت بعد تخرج الغزالي واشتغاله بالدعوة، فتلازما حينا من الدهر، واشتهرا بدعابتهما، وميلهما للمزاح والتبسط مع الآخرين.

ويلخص الغزالي مرحلة دراسته في الأزهر فيقول "لقد دخلت الأزهر وعمري عشر سنين، وقضيت فيه خمسة عشر عاماً، لم أكن خلالها طالب علم يتفرغ ليتلقى دروسه، بل كنت مقاتلاً في حرب دائمة الدولة والمجتمع! كانت الدنيا متجهمة لي، الدنيا الرسمية والدنيا الشعبية. فأما الدنيا الرسمية، فإن قوانين الدولة كانت تحظر على أمثالي الالتحاق بالوظائف العامة، وتجعل المناصب، كبراها وصغراها، لأبناء التعليم المدني. والذي بقي لنا بعد ذلك عدة وظائف تافهة لا يكفل راتبها حياة دابة. فإذا تجاوزت الناحية الرسمية إلى الناحية الشعبية، فإن الفجوة التي حفرت بيننا وبين الناس كانت عميقة، ولا تسلني من حفرها: كان كثير من العامة يتعرض لنا بألفاظ السخرية والتهكم، ويرى التنذر بملابسنا، والتفكه بعمائمنا، مسلاة مستباحة. ولما كان أغلب القادرين الواجدين يرفض تعريض أبنائه لمستقبل أسود، ويفضل الاتجاه بهم إلى التعليم المدني، فإن

---

[1] - **علماء ومفكرين عرفتهم** ، مصدر سبق ذكره، ص 266 . 267.

[2] - محمد الغزالي، **تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل**، دار الشروق، ط 5.

التعليم الديني أصبح منتجع الطبقات الفقيرة . ولما كان الأزهري يمثل الدين ويمثل الفقر، فهو يجمع بين حالتين مزريتين، تضعان أمامه السدود، وتثقلان أطرافه بأنواع القيود"[1]

ثانيا: السجن والاعتقال

مر محمد الغزالي بتجربتي إعتقال، الأولى في عهد الملك فاروق والثانية في عهد جمال عبدالناصر، وقد قال عن تجربة اعتقاله الأولى عقب حل الجماعة في ديسمبر 1948م، "إنها كانت فرصة لمران أبناء الجماعة على الصبر وتحمل المشاق في سبيل الدعوة، وأنها رفعت طاقتهم على الاحتمال، وارتفعت بروحانياتهم لأعلى مستوى، فاستفادوا منها، وحين عادوا للعمل في عهد النحاس، عادوا في أفضل حالاتهم الإيمانية "[2]

وقد كاد يتعرض للاعتقال مرة أخرى في العهد الملكي، حين صدر كتابه «الإسلام والاستبداد السياسي»! ولكن القضاء برأه، وعن أثر تلك التجربة يقول : "وكان ذلك في أواخر الأربعينيات وكان هذا اليوم من أهم أيام حياتي وأعتبره نقطة انطلاق لي . بمجرد أن نزل الكتاب إلى الأسواق فوجئت بالحكومة كلها تهتز وتصدر قراراً بمصادرة الكتاب[3]، وأحسست أن القصر الملكي اهتز بشدة من هذا الكتاب، وقبض على وقدمت للمحاكمة بتهمة مهاجمة الحكومة وخرجت من هذه القضية بدون أن يثبت علي شيء"[4]

وكانت التجربة الثانية في عهد الثورة، وكان الاعتقال على خلفيات التحقيق مع سيد قطب، وربما كانت هذه الأشق والأصعب على نفس الشيخ، ففي المرة الأولى كان الغزالي مع إخوانه وزملائه في الجماعة، وكان قائداً لهم، فكان له أنيس ورفيق في سجنه، أما هذه المرة، فقد كان

---

[1] _ **كفاح دين**، مصدر سابق، ص 174.

[2] _ **علماء ومفكرين عرفتهم** ، مصدر سابق، ص 207.

[3] _ يقصد كتاب: **الإسلام والاستبداد السياسي**.

[4] _ مقدمة كتاب " **الإسلام والاستبداد السياسي**" ص 6 ـ 7.

خارج صفوف الجماعة، وكان على أعتاب عقده السادس، وكانت ظروف الاعتقال أشد، فاستعاض عن رفاقه بكتاب الله تدبراً وتلاوة، ليخرج من محنته هذه بتجربة وأفكار دعوية لم تراوده من قبل.

ثالثا: خارج مصر

سافر الغزالي بحكم وظيفته إلى عدد من الدول العربية والإسلامية، وقد ساعدته تلك السفرات على معرفة واقع العالمين العربي والإسلامي ، وأن يضع يده على مواطن الخلل في الفكر العربي والإسلامي الراهن، ويتأمل أسباب الخلل وسبل العلاج، كما ساعده السفر على اكتساب علاقات وصداقات، أعانته على نشر فكره الدعوي ومؤلفاته، وأن يصطنع التلاميذ في أرجاء العالم العربي. وقد بدأت أولى سفرات الشيخ في سنة 1952م، حين شغل وظيفة رئيس «التكية المصرية» بمكة، وفي الأعوام من 1968 إلى 1973م أمضى شهر رمضان في: الكويت، وقطر، والسودان، والمغرب، وقضى في السعودية السنوات بين (1974 - 1981م)، كما شارك في ملتقيات الفكر الإسلامي السنوية بالجزائر، بانتظام، منذ سنة 1980م، وعمل في قطر أستاذاً زائراً ما بين (1982 . 1985م)، وعاش بالجزائر بين (1985-1988)

كما أتيح له أن يزور بعض الدول الغربية، موفداً للدعوة والتعليم من جامعة الملك عبد العزيز بالسعودية، فزار إنجلترا وكندا والولايات المتحدة "[1]

[1] _محمد الغزالي، **مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف**، القاهرة، دار الشروق، 1997م ص 54.

المطلب الثاني: تأثير البيئة المحيطة على شخصية محمد الغزالي

أولا: الأسرة

يقول محمد الغزالي عن نفسه: "إن أبي ـ رحمه الله ـ كان رجلاً طيب القلب كبير الروح، وقد نذرني لخدمة الإسلام، ووقف حياته ونشاطه على إدخالي في الأزهر، وثابر–وهو المكافح الجلد– حتى نلت إجازتي منه" [1]

لقد كان من حظه أن ولد في أسرة متدينة تقدر العلم الشرعي، والوالد قرر أن ينذر ولده البكر للعلم وخدمة الدين، تحدوه في ذلك محبته لعلماء الإسلام، ورغبته في أن يرى ابنه واحداً منهم، خاصة بعد الرؤيا التي جاءه فيها أبو حامد الغزالي ، مبشراً بمجيء الإبن، وطالباً من الأب أن يطلق عليه اسمه، وقد عمل الأب على تحقيق أمله في أبنه ، بالحرص على تحفيظه القرآن، ثم إلحاقه بالأزهر ليرتقي في مراحله التعليمية، حتى أعلاها، وإن كان ذلك على حساب الموارد المادية المحدودة للأسرة، التي كبرت مع السنين، حتى ضمت ستة من الأبناء ،غير الابن الأكبر، وهكذا فقد كان للأسرة دور مهم في توجيه الابن، واختيار مستقبله العلمي والعملي، وقد كان الابن نجيباً، ومتوافقاً مع رغبة الأسرة، فلم يخيب رجاءها.

"وواضح أن الأب كان صاحب الدور الأكبر في ذلك التوجيه، كما يظهر في كلمات الغزالي الآنفة، كما نستنتج مما يروى عن نزعة الأب للتصوف، وتعهده لكتاب الله بالتلاوة، أن الابن قد ورث من أبيه عاطفته القوية تجاه الدين، ونزوعه للتصوف (بمفهوم تزكية النفس، وتنمية المشاعر

[1] ـ محمد الغزالي، **كفاح دين**، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط5. 2005 ص 175.

الإيمانية)، وتعلم منه تعهد القرآن بالتلاوة والتدبر، كما ورث منه سماحة الخلق، التي عرفها القريبون من الغزالي فيه"[1].

ثانيا: القرية[2]

إن حفظ القرآن والتنافس في دراسة العلوم الإسلامية كانا أثنائذ من طوابع تلك البيئة.

تأتي القرية في الترتيب الثاني كرافد في تكوين شيخنا، فهي تمثل البيئة التي قضى فيها سنوات تكوينه الأولى، إذ ولد فيها، وقضى فيها عقده الأول قبل أن يلتحق بدراسته في الإسكندرية، ويمكن لنا أن نلمس تأثير تلك البيئة في شخصية الغزالي في ضوء ما رواه الشيخ عن حياته، وفي ضوء كتاباته، وما أثر عنه من سمات ومعالم لشخصيته، وقد روى الغزالي في حواره مع محمد المجذوب، كيف كان حفظ القرآن والتنافس في دراسة العلوم الإسلامية من طابع البيئة التي تربى فيها، وقد اعتاد من كتبوا عنه، الإشارة إلى أن المركز الذي ولد فيه الغزالي (قرية إيتاي البارود) قد أخرج علماء عظاماً، مثل شيخ الأزهر السابق محمود شلتوت تولى المشيخة من (1958م إلى 1964م)، والشيخ إبراهيم حمروش (عين عام 1951م شيخاً للأزهر وأعفي منه عام 1952م)، للدلالة على الطابع العام لتلك البيئة، ويكفينا ما رواه عن قريته من تنافس في تحصيل العلوم الدينية، للدلالة على ذلك الطابع، فأخلاق أهل القرى وطباعهم تتفاوت، وإن غلب عليهم الالتزام بالشعائر الدينية، والحرص على تحفيظ أولادهم القرآن أو بعضه على الأقل، وكان من حظ الغزالي أن ولد ونشأ في قرية كهذه، ولا شك في أنها أثرت في مسيرته التعليمية، وزاد جو التنافس فيها من تحصيله العلمي، ولعل ما يروى عن أن والده كان يضيف له حصة من

[1]_ محمود عبده، **محمد الغزالي داعية النهضة الإسلامية**، ط 1 ، مكتبة مؤمن قريش ، بيروت 2009 ص36.

[2]_**المصدر نفسه** ص 41.

القرآن يحفظها زيادة عن حصة الكتاب، كان في إطار ذلك التنافس، وحرصا على تفوق الصغير على أترابه الذين يحفظون معه في الكتاب.

إنّنا نرى أثر تلك البيئة في كتابات الشيخ واضحاً، وقد أجاد الغزالي تصوير معاناة الفلاحين، والأجراء الزراعيين، وبدا على علم كبير بمشاكلهم وظروف حياتهم، تجلى ذلك في دعوته في كتبه الأولى لوضع حد للملكية الزراعية، وتحسين معيشة الفلاحين، وتوفير الرعاية الصحية لهم ولذويهم، والتعليم المجاني لأبنائهم.

ثالثا: حاضر العالم الإسلامي

يصف الشيخ محمد الغزالي الفترة التي عايشها وعايشتها أمة الإسلام و لا تزال إلى يوم الناس هذا ، مع اختلاف في بعض التفاصيل ، بألم قلب المؤمن الصادق الغيور على حال أمته ، فيقول: "وهذه الظروف التي تنشأ من منبعين رئيسيين :

- الإستعمار العالمي الذي اكتسح بتفوقه المدني والعسكري كل شبر من أرض الإسلام ، وحاول أن يغير معالمها جملة و تفصيلا لمصالحه الخاصة .
- والمنبع الآخر و هو الأخطر والأخبث يجيء من الأدواء التي استشرت في الكيان الإسلامي نفسه ، نتيجة فساد عام في أحواله المادية و الأدبية، العلمية والعملية، الفردية والاجتماعية، التربوية والسياسية " [1] ثم يعرج على ذكر أهم أسباب الانحطاط والتخلف وتيه غالبية الأقطار الإسلامية عن دينها ودنياها ، وفشلها في كل المجالات حتى أصبحت فريسة سهلة المنال للقوى العالمية فيقول:" والواقع أن الاستعمار العالمي انحدر إلى أقطار فقدت القدرة على الحياة الصحيحة، واسترق جماهير كان نسبها إلى دينها أبعد شيء

[1] ـ محمد الغزالي، **دستور الوحدة الثقافية**، دار الشروق ص05.

عن الصدق، وقطع أوصالا كانت ميتة أو شبه ميتة. كان قلب العالم الإسلامي مذهولا أو مشلولا، والروس يمزقون جناحه الشرقي في التركستان وسيبيريا، وكان قلب العالم الإسلامي مذهولا أو مشلولا، والأمريكان يشنون حرب إبادة على مسلمي الفليبين، ثم أطبق الظلام أرضه جمعاء واستفاقت عناصر المقاومة بعدما فقدت الأمة الكبيرة كل شيء تقريبا، وتوزعت جهود المقاومين على جبهات عديدة مضنية "[1]

إن ما ذكره محمد الغزالي في توصيفه لواقع العالم الإسلامي ليس بدعا من القول، أو تشاؤما منه على الأوضاع التي كانت تعيشها الأمة بقدر ما كان وصفا من طبيب صادق، خَبر أدواء الأمة، محاولا في الآن نفسه إعطاءها جرعات من الحقيقة البعيدة عن الزيف، والدواء الشافي من أسقامها على مرارته.

والتوصيف العام لحال الأمة الإسلامية خلال القرنين الأخيرين التاسع عشر والعشرين، في وضعها الاجتماعي والثقافي والسياسي، لا يختلف عليه اثنين من حالة التردي والانحطاط واحتلال غالبية أقطارها احتلالا مباشرا أو غير مباشر، وحتى بعد الاستقلال فإن التبعية السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية والفكرية للقوى العالمية، لم تنته بانتهاء الاستعمار العسكري أو الانتداب، وانقسمت الأقطار العربية والإسلامية في ولائها بين المعسكرين الشرقي بزعامة الإتحاد السوفياتي سابقا، أو الغربي بزعامة القوى الغربية الأوروبية وأمريكا.

جاء هذا الوضع نتيجة حتمية للثورة الصناعية الأوروبية والثورات التحررية التي عرفتها معظم دولها من الأنظمة الإقطاعية الاستبدادية ونتيجة للتطور المعرفي والتقني فيها، ومحاولاتها الخروج من عصور الظلام التي عرفتها، وفي المقابل التراجع وتوقف الإنتاج المعرفي والتخلف الذي عرفته

[1] ـ المصدر السابق ص06

الخلافة العثمانية في شتى المجالات وانتقال الدورة الحضارية من العالم الإسلامي الذي عرف آنذاك بالرجل المريض، إلى الغرب الذي شق طريقه نحو النهضة الصناعية والمعرفية.

إن حدوث الثورة الصناعية في إنجلترا وأوروبا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر قد أظهر الحاجة الأوروبية للأسواق التجارية والمواد الأولية والطرق البحرية من أجل تحقيق النجاحات لهذه الطفرة الصناعية، ثم إن خلل الوضع السياسي والعسكري للدولة العثمانية قد أسهم إلى حد كبير في أن تفكر الدول الاستعمارية الأوروبية في غزو الأراضي العثمانية وخاصة في الوطن العربي، ومحاولة فرض السيطرة والتحكم بمقدراتها السياسية وخيراتها الاقتصادية، وعجز إسطنبول عن مواجهتها فضلا عن ضعف البنية السياسية والعسكرية العثمانية وعدم قدرتها عن مواجهة هذه التحديات"[1] والنتيجة الحتمية لكل هذه الأحداث المتسارعة هي سقوط الخلافة العثمانية سنة 1924 م على يد مؤسس الدولة التركية العلمانية الحديثة كمال أتاتورك بدعم من القوى العالمية الكبرى في ذلك الوقت. ولم يمر سقوط الخلافة الإسلامية على عموم المسلمين وعلى نخب العالم الإسلامي من علماء وسياسين مرورا عابرا، بل كان له وقع كبير في النفوس، وتقسيم خطير في الخارطة الجغرافية والسياسية للعالم الإسلامي والعربي، إذ كانت لها على ضعفها السياسي وتراجعها في شتى المجالات رمزية معنوية وتاريخية، ومرجعية دلالية على وحدة الأمة وتماسكها ضد التفرق والانقسام، وقد سجل محمد الغزالي حسرته في غير موضع أبعاد هذه الحادثة في تاريخ الأمة فقال:" كان لسقوط الخلافة في أوائل هذا القرن دوي مسموع في القارات الخمس، وأحست القوى المعادية للإسلام أنها أحرزت نصرا لا مثيل له، منذ احتدت الخصومة

[1] _د.مفيد الزيدي **موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر العثماني** دار أسامة للنشر والتوزيع ص 267.

بينها وبين هذا الدين، وأخذت القوى المعادية للإسلام تعمل ضده وهي واثقة من موقفها، واستطاعت بتفوقها الثقافي والسياسي أن تنال أكبر فوز بأرخص ثمن."[1]

عاش العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرون كل هذه الأحداث والنكسات المتتالية بحسرة وألم، قامت بعدها جهود فردية وجماعية سياسية وثقافية كبيرة لمحو آثار الهزيمة النفسية والمادية، وتدارك ما يمكن تداركه، وكان محمد الغزالي أحد رجالات الإصلاح الذين وقفوا سدا منيعا في مواجهة التخلف والتبعية للقوى الغربية نصحا وتوجيها، ودعوة لليقظة والعمل على إرجاع قطار العالم الإسلامي إلى سكة الفعل الحضاري والفاعلية مع روح العصر دون انسلاخ ولا نكوص عن تعاليم الرسالة الخاتمة، وقيمها العالمية، مضافة جهوده إلى جهود المخلصين الذين عاصروه، كل على ثغر من الثغور الثقافية والسياسية والاجتماعية، في سلسلة مترابطة يكمل بعضها البعض، من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبدو ورشيد رضا وعبد الحميد بن باديس وحسن البنا، وغيرهم من رواد الإصلاح.

ومن خلال ما ذكرنا يمكن اعتبار محمد الغزالي من أبرز رجالات الدعوة الإسلامية المعاصرة، ومن أشهر العلماء المجددين للفكر الدعوي الإسلامي، في فترة من أشد الفترات التاريخية صراعا بين الإسلام من جهة، وبين الفكر العلماني الرأسمالي والفكر الاشتراكي من جهة أخرى، ترك تراثا وجيلا من المثقفين خدم رسالة الإسلام ومقاصدها، في شتى المجالات الفكرية والسياسية والاقتصادية .

[1]_ محمد الغزالي **الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر**، مكتبة وهبة ص 86.

المطلب الثالث: شخصيات في حياة محمد الغزالي

أعجب الغزالي بأبي حامد الغزالي وابن تيمية من السابقين، وبمحمد عبده ورشيد رضا من اللاحقين فأخذ يدرس أفكارهم العلمية والإصلاحية، وفي كتبه خلاصة انتحلها واستخلصها من السابقين والمعاصرين، ثم زاد عليها ما تيسر له، كما استفاد من كتابات وحلقات فطاحل الأزهر، أمثال عبد العظيم الزرقاني ومحمود شلتوت، وهكذا فإن مصادر فكر الغزالي متنوعة فتأثر بالمدرسة العقلية المعاصرة، وبالا شاعرة، وبمذهب السلف، لكنه لم يلتزم بمنهج طائفة معينة.[1]

كما مارس الغزالي الإصلاح عمليا مع حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين فتركت صحبته عظيم الأثر في نفسه، وفكره وسلوكه، قال الغزالي واصفا أستاذه البنا كانت لدى "حسن البنا" ثروة طائلة من علم النفس، وفن التربية وقواعد الاجتماع، وكان له بصر نافذ بطبائع الجماهير، وقيم الأفراد، وميزان المواهب.[2]

لقد جسد الغزالي في تأثره بهذا العلاقة مع رفيقه حسن البنا مقولة:" القرين بالقرين يفلح، ومقولة: المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل. ومن هذا المنطلق يبدو جليا تأثير القدوة في شخصية الفرد، أكان هذا القدوة أستاذا أو صديقا، وكثيرا ما نجد نماذج حول القدوة وتأثير القائد على الجماعة بل على الأمة جمعاء، عبر التاريخ وهو أسلوب تربوي غاية في الفعالية، وما محمد عليه الصلاة والسلام –استمالته لقلوب أصحابه، وغزوه لقلوبهم وعقولهم– إلا دليل على تأثير الصديق والقائد والقدوة، وذلك بما يحققه من تميز عنهم في نبل الخلق ،والعفة، ورشاد الرأي، والحكمة والطيبة والشجاعة وغيرها من مكارم الأخلاق .

---

[1] _ يوسف القرضاوي، **الشيخ الغزالي كما عرفته**، المصدر السابق ص 71.

[2] _ لطيفة حسي، **تربية المرأة، من منظور الشيخ محمد الغزالي**، مكتبة بستان المعرفة ، 2005 ص13.

إن هاته المرجعية العلمية التي كان لها بالغ الأثر في توجيه الحياة العلمية للغزالي دعمت مكتسباته وحبه للقرآن والسنة، كما أن تراكم المعرفة لديه وصقلها بمختلف سفرياته لمختلف بقاع العالم للمشاركة في الملتقيات العلمية، حيث تألق بعدما حاضر ونشر العلم عبرها، فلم يدخر جهدا خاصة بعد أدراك أهمية الخطابة والكتابة في تغيير المجتمع فاستقل كل طاقته لنشر الدعوة ومحاربة الأفكار الفاسدة، والمضللة ليزيح اللثام على العقل العربي، الذي صدأ من كثرة الجمود والخمول، فكان له الفضل والتميز بما قدم للأمة العربية والإسلامية من اجتهادات، كان القرآن والسنة المحمدية منطلقا ودافعا لها ومحركا ليستيقظ هذا العقل من جموده وسباته.

كان الغزالي مثابرا على الاستفادة المعرفية أينما حل وأرتحل، ولقد كانت فضاءات ملتقى الفكر الإسلامي بالبلدان العربية كالجزائر وغيرها، منابر للمحاكاة بمختلف علماء الأقطار، أثرت في شخصيته العلمية حيث نجده يقول عن الشيخ البشير الإبراهيمي: الشيخ البشير الإبراهيمي تعرفت عليه في أعقاب محاضرة ألقاها في المركز العام للإخوان المسلمين، وكانت لكلماته دوي بعيد المدى، وكان تمكنه في الأدب العربي بارزا في أسلوب الأداء، والحق أن الرجل رزق بيانا ساحرا، جذبنا الرجل بإيمانه العميق وحزنه الظاهر على حاضر المسلمين، ومن الخطأ تصور أن الشيخ الإبراهيمي كان خطيبا ثائرا وحسب، لقد كان فقيها ذكي الفكر بعيد النظر[1].

ونلحظ أن محمد الغزالي يتسم بالإنصاف والاعتراف لأهل الفضل ضمنيا، في كل الوقائع والأحداث التي مر بها في حياته، وهو يوحي للقارئ من خلال سرده لقصة حياته أن تميزه كان بفضل ما رسخ لديه وتأثر به من قراءة أو معايشة لمواقف المشايخ والعلماء على اختلاف مشاربهم كما استفاد الغزالي من شيوخ كثر، نذكر منهم الدكتور محمد أحمد الغمراوي والشيخ الأمين الخولي، والدكتور عبد الوهاب عزام، والأستاذ عبد الوهاب خلاف، والشيخ محمد لخضر

[1]- محمد الغزالي، **قصة حياة**، ص 136 ، 137.

حسين ،والدكتور محمد عبد الله ماضي والدكتور محمد يوسف موسى والشيخ المجاهد الغيور محمد الأودن وآخرون [1].

المبحث الثالث: الإنتاج الفكري لمحمد الغزالي

تنوع الإنتاج الفكري للشيخ محمد الغزالي بين الكتابة والتأليف والخطابة، كما ترك تراثا زاخرا من المحاضرات والمشاركة في مختلف الندوات والملتقيات، وكذا اللقاءات الصحفية والبرامج التلفزيونية عبر مسيرته الدعوية في مختلف الشؤون والقضايا، شكلت مجتمعة تراثه الفكري.

المطلب الأول: الآثار العلمية لمحمد الغزالي

أولا: الخطابة

تخرج الشيخ من كلية أصول الدين بالأزهر الشريف سنة 1941م، و دخل مسابقة بين خريجي الأزهر للإمامة، وكان له أن وظف إماما بمسجد عزبان بالعتبة الخضراء بمصر إلى مساجد أخرى بمصر، ذاع فيها صيت الداعية الموهوب والخطيب المفوه الذي يجمع حوله عقول المخاطبين وقلوبهم " إن خطبه دائما تخدم موضوعا علميا محددا، يوضح معالمه وعناصره، و يستدل له من القرآن الكريم الذي يستحضر آياته في كل موضوع كأنها مصنفة بين يديه، ومن السنة المطهرة التي قرأ الكثير منها فأحسن قراءته، والفهم له، والاحتجاج به، وهي دائما مرتبطة بالواقع، تقوم عوجه، وتعالج أمراضه، وتسدد مسيرته، في ضوء تعاليم الإسلام "[2]. ولم تكن خطب الشيخ ولا دروسه مثالية في مضامينها وموضوعاتها بعيدة عن واقع الناس ومشكلاتهم التي يعيشونها، بل كانت تنطلق من الواقع وتعود إليه توصيفا وعلاجا، بحضور نفسي ووعي اجتماعي وسياسي قل

[1] _مسعود فلوسي، **الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود**، مكتبة وهبة القاهرة، 2003، ص 41.
[2] _**الشيخ الغزالي كما عرفته**، المرجع نفسه، ص 70.

مثيله في أقران عصره، "الشيخ داعية وناقد اجتماعي بصير، ينفذ ببصيرته إلى ما وراء الظواهر والأعراض، ليكشف عن حقائق العلل والأمراض ولا يغريه الزيف و لا التهويل، الذي يغطي العيوب بتمويهات لا تخفى على اللبيب، كما لا تخفى حقيقة الداء على الطبيب"[1] .

وخلاصة القول في تراث الغزالي من عالم الخطابة والتوجيه أنها مدرسة في فهم الإسلام ومعالجة الأمراض الفكرية والاجتماعية و السياسية التي انتشرت في العالم العربي والإسلامي من خلال استيعاب نصوص الوحي كتابا وسنة ، ومقاصده الكبرى، وفهم دقيق للواقع الذي عاشته الدعوة الإسلامية خلال القرن العشرين " أنشأت هذه الخطب مدرسة إسلامية في فهم الإسلام وإفهامه، وهي مدرسة تقدم الدين من ينابيعه الصافية، موثقا بالأدلة، خالصا من الزوائد والشوائب، بعيدا عن التحريف والتزييف، لا تسكت عن حق ولا تتكلم بباطل ولا تبيع دينا بدنيا، ولا تعتمد الإثارة والتهييج في الموضوعات الحساسة، بل تعالج أدق القضايا بمبضع الجراح متبعا الكلمة والموعظة الحسنة "[2]

ثانيا: التأليف والكتابة

قاربت كتب الشيخ محمد الغزالي الستين مؤلفا ، يضاف إليها المقالات التي كتبها في مختلف المجلات الإسلامية العالمية ، تركزت كل كتاباته في التوجيه و الإصلاح على مختلف الجبهات و التحديات التي واجهت العالم العربي و الإسلامي ، قدم فيها مقاربات بين الدين الحق ، بالوعي والفهم لمقاصده وغاياته الكبرى، وبين الواقع الذي عايشه في مختلف مراحل حياته وحياة الدعوة الإسلامية في القرن العشرين، تميز قلم الشيخ بالعمق والشجاعة في كشف

[1]- **المرجع نفسه**، ص 70.

[2]- **المرجع نفسه**، ص 72.

الأمراض والعلل وتشخيصها، والدقة والصدق في توصيف العلاج، والطبيب لا يخون مرضاه ولا يكذبهم، لم يهادن فيما يحسبه حقا كائنا من كان، ولم يبع ضميره لسلطة ولا لمنصب أو مسؤولية طمع فيها، وواجه القريب قبل البعيد بالحق الذي يراه، غير متجاوز لأدب الإسلام وقيمه في الحوار والنقاش واستجلاء الحقائق من مضانها ، "والحق يقال أن الحديث عن مؤلفات الشيخ الغزالي لا تفي به العبارة العجلى، لأن فيها من الخصائص المنهجية ما يجعلها نسيج وحدها بين الكتب ، وهي بذلك تقتضي الوقوف على كل منها بالتحليل الطويل، وحسبنا في هذه المناسبة المحدودة أن نذكر القارئ بأسلوبها المميز الذي من المتعذر أن يختلط بغيره من أساليب الكتاب"[1] وفي نفس السياق يؤكد تلميذه العلامة يوسف القرضاوي ما تميز به شيخه الإمام الغزالي من جمال كلماته و قوتها في بيان الحق فيقول " ومن قرأ للغزالي أدرك أنه أمام كاتب من الطراز الأول و أن القلم في يده أشبه بالسيف في يد خالد بن الوليد أو صلاح الدين الأيوبي، فهو سيف الله المسلول على أعدائه، به يدافع، به يهاجم، وهو قوي في دفاعه، قوي في هجومه، دون أن يعتدي على أحد فإن الله لا يحب المعتدين "[2]

كانت مؤلفاته حصنا وسدا منيعا ضد الأفكار الوافدة من الشرق أو الغرب، دافع بها عن تميز نظرة الإسلام للحياة وللإنسان ولمختلف المجالات لأنه الرسالة الخاتمة لهداية الإنسانية فكتب: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، الإسلام والمناهج الاشتراكية، من هنا نعلم، الإسلام في وجه الزحف الأحمر، صيحة تحذير من دعاة التنصير، الغزو الفكري يمتد في فراغنا، الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة. و وقف ضد الأنظمة الاستبدادية التي قامت عقب استقلال الأقطار العربية من

---

[1] _ **علماء ومفكرين عرفتهم**، مصدر سابق، ج 1 طبعة 4 ص 83.

[2] _ **الشيخ الغزالي كما عرفته**، مصدر سبق ذكره ص73.

الاستعمار الغربي بمؤلفين: الإسلام والاستبداد السياسي، وكتاب حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي.

درس إنسانية محمد صلى الله عليه وسلم في تتبع سنن الله في الآفاق نحو النصر والتمكين، وبين معالم الرقي والكمال الأخلاقي في سيرته من خلال كتابه فقه السيرة.

أعاد للإيمان فعاليته في نفوس المؤمنين على نحو ما عاشه الرعيل الأول من الصحابة الكرام في محضن النبوة فكتب الجانب العاطفي من الإسلام، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، عقيدة المسلم.

أعاد للقرآن الكريم مكانته في التصور الإسلامي ومركزيته بين مصادر التشريع وأهميته في التربية النفسية والعقلية والخلقية للمسلم من خلال: كيف نتعامل مع القرآن الكريم، ونحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، المحاور الخمس للقرآن الكريم، نظرات في القرآن، جهاد الدعوة بين عجز الداخل و كيد الخارج.

وفي السنة النبوية وبيان مكانتها في التربية والتوجيه والتشريع بحسن الفهم، والوعي في توظيف النصوص النبوية حسب سياقها، كتب: من كنوز السنة، السنة النبوية بين أهل الفقه و أهل الحديث.

وكتب أخرى في مواضيع مختلفة عالجت قضايا راهنة عايشها العالم الإسلامي. ولقد تُرجمت الكثير من هذه المؤلفات القيمة إلى العديد من اللغات كالإنجليزية والتركية والفارسية والأوردية

والأندونيسية وغيرها. واجمالا يمكن حصر مؤلفات الشيخ محمد الغزالي التي جاوزت الستين مؤلفا، منها:[1]

- الإسلام والأوضاع الاقتصادية، الإسلام والمناهج الاشتراكية، الإسلام والاستبداد السياسي، الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، من هنا نعلم، تأملات في الدين والحياة، عقيدة المسلم، التعصب والتسامح، في موكب الدعوة، الظلام في الغرب، جدد حياتك، كيف نفهم الإسلام، نظرات في القرآن، مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة)،معركة المصحف. حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، هذا ديننا، حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، الجانب العاطفي في الإسلام، الإسلام في وجه الزخرف الأحمر، هموم داعية، مائة سؤال في الإسلام، مستقبل الإسلام خارج أرضه وكيف نفكر فيه، سر تأخر العرب، القومية العربية، الحق المر (ستة أجزاء)، نحو التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة.

ثالثا: الصحافة والإعلام :

وفي عالم الصحافة و الإعلام كان للشيخ اسهامات فاعلة في العديد من المجلات العلمية والتسجيلات التلفزيونية التي كان لها صدى كبير في نشر فكره وإيصال كلمته، لا تقل أهمية عن مؤلفاته وتراثه المعرفي الذي تركه.

[1] _عمر بطيشة، **الشيخ محمد الغزالي شاهد على العصر**، دار الفاروق، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2010، ص 13-15.

أ . المقالات: قام الأستاذ عبدالحميد حسانين حسن بجمع أغلب ما كتبه محمد الغزالي من مقالات دورية وغير دورية في مختلف المجلات في كتاب من ثلاث أجزاء تحت عنوان: "من مقالات الشيخ الغزالي "

ب . السمعي البصري :

- محاضرات من ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر
- برامج و دروس سمعية بصرية في تفسير القرآن و شرح الحديث النبوي الشريف أشهرها برنامج:"من أحاديث الأثنين " الذي كان يقدم على التلفزيون الجزائري، والمناظرة الشهيرة المعنونة ب "الإسلام و العلمانية" مثل فيها الشيخ محمد الغزالي و الدكتور يوسف القرضاوي الجانب الإسلامي والدكتور فؤاد زكرياء عن الجانب العلماني
- برنامج جدد حياتك على قناة "إقرأ"

المطلب الثاني: شهادات حول محمد الغزالي وفكره

شهد لفضل محمد الغزالي على جيل الصحوة و الدعوة الإسلامية المعاصرة كل من عرفه أو قرأ لتراثه الفكري والعلمي، أو كان له شرف الجلوس بين يدي محاضراته ودروسه، وسنأتي إلى ذكر بعض من شهادات علماء الأمة ومفكريها الكبار الذين قدروا الرجل حق قدره، وعرفوا مقامه وخدمته لدين الإسلام، وعلى سبيل المثال والبيان نذكر منها:

شهادة الدكتور يوسف القرضاوي رحمه الله:

لا يخفي يوسف القرضاوي في كل مناسبة شرف نهله من فكر الشيخ محمد الغزالي والإعجاب بفكر أستاذه في محاضراته أو كتاباته، حتى أنه أفرد له كتابا خاصا عنونه ب:"الشيخ

الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن "ترجم فيه لسيرة الرجل ومواقفه وبيان منهجه في الدعوة وبعض القضايا السياسية والفكرية التي آثارها كتابات الشيخ ومواقفه.

ومن الكلمات الجامعة التي اختصر بها مقام الشيخ ومكانته العلمية وقيمته الدعوية قوله:

"لقد ترك الشيخ الغزالي بصمات واضحة على العقل الإسلامي، لا يمحوها اختلاف الليل والنهار بما ألف من عشرات الكتب، وما أنشأ من مئات المقالات، وما أقام من ألاف الدروس و الخطب والمحاضرات .

عاش محمد الغزالي –رحمه الله– عمره كله محاربا للقوى المعادية للإسلام في الداخل والخارج، والتصدي لتياراتها، والعمل على هدم أوكارها، وهتك أستارها، وكشف عملائها وهو هنا مقاتل عنيد، لا يستسلم ولا يطأطئ ولا يلين يوما".[1]

ثم عدد الجبهات التي وقف عليها الشيخ محمد الغزالي في مسيرته الدعوية، والمعارك الفكرية ضد أعداء الرسالة الإسلامية داخل وخارج العالم الإسلامي من الاشتراكية إلى الرأسمالية والعلمانية وغيرها من المناهج المستوردة والتي يراد بها طمس معالم الإسلام عقيدة وشريعة وقيما فقال: "وقف في وجه الاستعمار وكشف عن حقيقته ودوافعه، وأنه أحقاد وأطماع، وقف في وجه الصهيونية، التي اغتصبت الأرض المقدسة وشردت الأهل، وخططت لهدم المسجد الأقصى و إقامة هيكل سليمان على أنقاضه.

- وقف في وجه التنصير، الذي يريد أن يسلخ المسلمين من عقيدتهم.
- وقف في وجه الشيوعية التي سماها الزحف الأحمر ونبه على خطرها من قديم.

[1]_ يوسف القرضاوي، مقدمة لكتاب **مئوية الإمام الغزالي**، الطبعة الأولى، 2018 المجلد 01 ،ص 4.

- وقف في وجه الحضارة المادية وإباحتها الجنسية، وعصبيتها العنصرية، ومحاولتها للسيطرة الإمبريالية، وإن لم ينكر ما فيها من عناصر إيجابية يمكن الاستفادة منها.
- وقف في وجه العلمانية اللادينية ، التي تؤمن ببعض الكتاب و تكفر ببعض ، تريد الإسلام عقيدة بلا شريعة ، و سلاما بلا جهاد ، ودينا بلا دولة، وإتباعا أعمى للغرب شبرا بشبر وذراعا بذراع "[1]

شهادة المفكر الإسلامي محمد عمارة

وكان ممن تأثر بفكره و نهل من منهجه في فهم رسالة الإسلام، وألف حول سيرته وفكره كتابا عنونه بـ: ـ الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري و المعارك الفكرية ـ سجل فيه شهادته حول الأعمال الفكرية للشيخ محمد الغزالي ومواقفه وفضله على الدعوة الإسلامية ومما جاء فيه:

"لم يكن الشيخ محمد الغزالي مجرد عقل مجتهد ومجدد، ولا مجرد داعية حامل لهموم الأمة، ومرابط بفروسية على ثغور الإسلام، على امتداد خمسين عاما ترك لنا فيها قرابة الستين كتابا، وذلك غير المقالات والخطب والمحاضرات والحوارات، التي ستبقى ديوانا للجهاد الفكري في سبيل النهضة والاستنارة والتجديد والتقدم، و جامعة للفكر الإسلامي، تتربى فيها الأجيال، لم يكن الشيخ الغزالي كل هذا فقط، وإنما كان مع ذلك قلبا نورانيا عاش في سناه عارفوه، الذين أسعدهم الله بالاقتراب منه، والأنس بهذا النور الذي كان يفيض من هذا القلب الكبير، لقد كان رحمه الله يعرف الإسلام فيقول عنه:-إنه قلب تقي وعقل ذكي- ولذلك كان واحدا من أعلام العلماء الذين عملوا على إنقاذ الشريعة الإسلامية من ذاك الفصام المنكر بين العقل والقلب، فجاءت

[1] _د.يوسف القرضاوي، مقدمة لكتاب **مئوية الإمام الغزالي** ، الطبعة الأولى، 2018 المجلد 01 ص 5.

مدرسة الإحياء والتجديد –التي يعتبر الشيخ أحد أعلامها– لتعيد الوفاق والاتفاق والتزامل والتكامل بين العقول المؤمنة، والقلوب الواعية "[1]

شهادة الفقيه علي محيي الدين القره داغي[2]

يصف العلامة الفقيه محيي الدين القره داغي الشيخ ومنهجه الذي سلكه في الدعوة إلى الله بأنه إمام الوسطية والاعتدال ، الذي دافع عن حمى الدين الإسلامي من جهل أبنائه وكيد أعدائه طيلة مسيرة حياته الدعوية ولم يهدأ له بال حتى لقي الله ومات على ما عاش عليه، ويقول في كلمة جامعة عن حياته وفكره.

"فإن شيخنا العلامة الإمام محمد الغزالي ظل مدافعا عن دينه في جلاله وجماله، واعتداله ووسطيته، وبذل عمره المبارك في خدمة عقيدته فخاض معارك ضد التدين المغشوش والظلم الاجتماعي، والامتيازات الطبقية، والفوارق الاقتصادية الفاحشة، وقضايا التطرف والإرهاب والغلو والإفراط والتفريط، موجها سهامه إلى كل من يريد النيل من عظمة الإسلام، وجماله وجلاله، محاربا في جبهات عدة يشتد ويحتد في نزاله الفكري، فكان في كلماته كالعاصفة أو كأنه الرعد القاصف، ويزأر ضد من يهاجم دينه كأنه الليث، حيث ينزل على الخصم مفندا رأيه وداحضا حجته، ومبطلا ما سحر به الناس، مستعملا الحكمة والبراهين العقلية، وملهبا المشاعر والعواطف ومفجرا البراكين ضد الظلمة والطغاة "[3]

ثم يلخص فكره ومنهجه الدعوي في نقاط مركزة ودقيقة نقتبس أهمها:

---

[1] _د محمد عمارة، **الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية**، الطبعة الأولى 2006 ص 6.

[2] _الأمين العام للاتحاد العالمي للعلماء المسلمين ونائب رئيس المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث .

[3] _ علي محيي الدين القرة داغي، **مقدمة لكتاب مئوية الإمام الغزالي**، الطبعة الأولى 2018 المجلد 01 ص 9.

- عنايته بتزكية الداخل و تقوية التقوى في النفوس.
- مقاومته للانحراف الفكري، والإفراط والتفريط، والتركيز على المنهج الوسط.
- مقاومته للاستبداد السياسي، ودعوته إلى الحرية المنضبطة وإصلاح النظام السياسي.
- محاربته للتدين المغشوش والتخلف والجهل والدعوة إلى التقدم والتحضر.
- مقاومته للغزو الفكري والثقافي ودعوته إلى التجديد في الفكر والثقافة.
- الدعوة لتحرير المرأة في ظل الفكر الإسلامي الصحيح بعيدا عن العادات والتقاليد الموروثة"[1].

شهادة الدكتور عماد الدين خليل[2] :

يصف عماد الدين خليل اول محطاته الفكرية مع الشيخ محمد الغزالي من خلال قرآته لكتابه "تاملات في الدين والحياة " فيقول " كان أول لقائي بفكر الشيخ الغزالي عبر كتابه القيم تاملات في الدين والحياة وهو كما يدل عليه عنوانه يسعى عبر مقالاته الخصبة إلى ربط الدين بالحياة بقدرته المدهشة على تغذية نسغها بثوابته ومرئياته.

لقد كانت قراءتي لهذا الكتاب الذي تتماشى كلماته مع أسلوب الشيخ المترع بالحيوية والنداوة بمثابة رحلة عذبة ممتعة في رحاب الفكر الإسلامي، الذي يعرف كيف يلتحم بالحياة، ويغذي صيرورتها المتمخضة دائما عن المزيد من التجارب والخبرات"[3] .

---

[1] _ **مئوية الإمام الغزالي**، الطبعة الأولى 2018 المجلد 01، ص 11.

[2] أديب مفكر ومؤرخ عراقي، ولد في الموصل سنة 1941م. حصل على شهادة بكالوريوس في الآداب، من جامعة بغداد، سنة 1962/م .ثم على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، من جامعة بغداد أيضًا،سنة1965/م .بعدها حصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، من جامعة عين شمس، سنة 1968 لهُ عدد من المؤلفات التاريخية والأدبية ولا سيما في المسرح والقصة والشعر، ولهُ دراسات نقدية عديدة.

[3] _ عماد الدين خليل ، **مئوية الإمام الغزالي** ، المجلد الأول ، دار المقاصد 2018 ص 40.

ويواصل الدكتور حديثه عن شغفه بأسلوب الشيخ وخطابه " إن خطاب الشيخ يتميز بحيوية الطرح، وبأسلوبه الرائع الذي يعتمد أروع ما في لغتنا العربية من معايير جمالية تضعه –والحق يقال– في مقدمة رواد الأدب الإسلامي المعاصر، بما أن هذا الاذب كما اتفق عليه نقاد الإسلامية هو التعبير عن التصور الإسلامي للحياة والوجود والمصير".[1]

وعن كتاب "جدد حياتك "يقول الدكتور "وتجيء المحطة التالية مع كتاب الشيخ الذي يحمل عنوان جدد حياتك فكأنه امتداد لسابه من حيث ارتباطه بشرايين الحياة، ومحاولة إعادة بنائها في ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكشوف العلماء والباحثين على مدار التاريخ"[2]

يؤكد الدكتور في هذا الصدد أهمية ربط الدين بالحياة، الفكرة التي رصد الشيخ حياته لأجلها، ردا على العلمانيين ودعاة فصل الذين عن الحياة فيقول: "الارتباط بالحياة ذلك هو الخيط الذي يشد هذا الكتاب إلى سابقه، وكلامها يحمل في عنوانه كلمة الحياة، إنما يأتيان بمثابة الرد على الملاحدة والعلمانيين الذين طالما سعوا إلى فك الارتباط بين الدين والحياة على امتدادها، وحصره في زويا المساجد والخانقاهات، وتحييده بالكلية عن أية ممارسة يراد منها إعادة صياغة الحياة وفق التعاليم القادمة من السماء"[3]

ويلخص قصة الكتاب والكاتب "جدد حياتك هو بإيجاز شديد مضاهات لكتاب المربي الأمريكي الشهير(ديل كارنيجي) في (دع القلق وابدأ الحياة) الذي يمثل حصيلة خبرة عمر بكاملها مع تجارب الناس المأزومين في الساحة الغربية الذين عايشوا الحضارة الغربية، وذاقوا من

---

[1] _ **مئوية الإمام الغزالي**، الطبعة الأولى 2018 المجلد 01 ص 40.

[2] _ **المرجع نفسه**، ص 41.

[3] _ **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

ويلات جوانبها السلبية التي مارست طحن آلاف الناس وملايينهم بالقلق والاكتئاب، والهم والغم بما أنها حضارة قطعت صلتها بالله سبحانه، وفق منظومة لا تكترث بالقيم الدينية والإنسانية، فقادت أبنائها إلى الطرق المسدودة وألجأتهم إلى مراجعة عيادات الأطباء النفسانيين علهم يجدون عندهم الدواء الشافي لما يعانونه من أزمات"[1]

الدكتور منير جمعة[2] :

كتب الدكتور منير جمعة مرثية حول محمد الغزالي رحمه الله، يذكر فيها فضله ومقامه في حياة الدعوة الإسلامية المعاصرة فقال:

يا فارس العلم هل في الفضل من أحد صار اسمه في العلا كالرأس في الجسد
إلاك يا قلعة لذنا بساحتها وأنت في قلبها في موقع الأسد
يا رأس قافلة التجديد يا هرما شادته كف العلا رمزا إلى الأبد
أبدعت مدرسة صارت مؤسسة وبات أعداؤها صرعي من النكد
أنت العميد بها تسمو فما احد ضاهاك في رفعة فيها من العمد
أنت العميد بها تحنو على زغب في العلم ما حاطهم ريش ولم يكد
وأنت رائدهم في العلم قائدهم كالأم ما فتئات تحنو على ولد
تؤوي إلى عشها من كان في ظما من كل قطر إلى قطر وجود يد
وكم إلى كم نثرت الحق في شمم فصار جدبهم في غاية الرغد

[1] _ **المرجع نفسه**، ص 41.

[2] _الشيخ الدكتور منير جمعة أحمد محمد (1967 القاهرة –) الأستاذ بكلية الأداب بجامعة المنوفية بمصر ورئيس لجنة الدعوة بالجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة، وعضو هيئة كبار علماء الجمعية الشرعية الستة ونائب رئيس اتحاد العلماء والدعاة بألمانيا وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين .

ها قد فشا ذكرهم في كل مكرمة وصار جمعهمو يسمو على العدد
أنت الغزالي جمع في تفرده بفقدك النار تكوي كل ذي كبد
لكن لي سلوة في إرث علمكمو فهو طبيب عيون الناس من رمد
وهل تغيب وقد ورثت كنزكموُ إمامنا القرضاوي رافع السند
وهل تبالي وأنت الشمس من فئة قد أشعلوا جهلهم في سائر البلد
خانوا شريعتهم من بعد ردتهم يا شؤم معتنق منهم ومعتقد
أهل الغواية لا دين ولا خلق قد الهوا شهوة الأفكار والجسد
تقدميون قالوا الغرب قبلتنا وأفسدوا بالهوى جيلا من الزبد
حادوا عن النهج مذ لاح السراب لهم وفي بحار الردى تاهوا بلا سند
هم ثلة الحقد لا تعبا بهم فهم كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد
وأنت رمح من العلياء قد بترت أنف الحداثة والتنوير والفند
إن يحسدوك على علم هديت له عودوا إلى الرشد أو موتوا من الكمد
أو يحسدوك على حب أحطت به حتى على الحب لا تخلو من الحسد[1]

والشهادات حول الشيخ وفكره ومنهجه الدعوي فوق الحصر، تخرج على يده الآلاف من الطلبة في شتى أقطار العالم الإسلامي، وقرأت له الجموع الغفيرة من الناس، وكتب عنه العلماء والدعاة والمفكرون، ودُرس فكره في الجامعات والمعاهد الإسلامية، كان رحمه الله ولا يزال شمعة مضيئة في مسار الفكر الإسلامي، ولبنة من لبناته، تصحيحا للأخطاء ونقدا للذات، ودفاعا عن رسالة الإسلام من مطاعن الأعداء، تجلت في شخصه جمالية الآية الكريمة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا

[1] ـ **المرجع نفسه**، ص 130.

مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ [فُصِّلَت : ٣٣ اقتداء واقتفاء بسيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام .

الفصل الثاني:

التجديد في الفكر والتصور.

إن وحدة التصور للعاملين في الحقل الدعوي ضرورة وحتمية لتقديم وعرض الخطاب الدعوي في قالبه الشرعي والواقعي الصحيح، ومن هنا نتبين أهمية وحدة التصور في القضايا الكبرى للخطاب الدعوي، على رأسها قضايا الإيمان والعقيدة، والاساليب الدعوية المناسبة لروح العصر المتفقة مع مقاصد الوحي في طرحها ودراستها، ولا يقل الامر أهمية في موضوع المرجعية بالنسبة للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في التفاعل الحضاري مع نصوصها فهما وعملا وتوجيها في شؤون الفرد والمجتمع. لذا نرى تقسيم مباحث الفصل على هذا النحو:

العقيدة الاسلامية و الفعالية الحضارية

محورية القران في الخطاب الدعوي

السنة النبوية في الخطاب الدعوي المعاصر

المبحث الأول:

العقيدة الإسلامية والفعالية الحضارية

إنما يزري بالإيمان أن يكون علاقة مفتعلة برب العالمين، لا تبعث على كمال ولا تصون عن نقص، تداري به هوانها بصورة العبادات المفروضة، ولا تحقق في صاحبها ولا فيما حوله خلقا عظيما، أو سلوكا ناضرا. ــــــــــــــــــــــــ محمد الغزالي

عقيدة المسلم ص132.

علم الكلام أو علم العقائد ركيزة أساسية بين المعارف الإسلامية، ولا عجب، فقد اهتمت الدعوة الإسلامية من بعثته صلى الله عليه وسلم الأولى بمحور العقيدة تخلية من عقائد الشرك والخرافة، وتحلية بركائز الإيمان وأركانه، فهي المنطلق المعرفي والتصوري للكون والإنسان والحياة.

في هذا المبحث عرض موجز لعلم العقيدة عبر التاريخ الإسلامي ودراسة في النشأة والتطور، ومحاولة استخلاص رؤية الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله– لهذا العلم والمحاذير التي نبه إليها، للإفادة من رؤيته في الخطاب الدعوي المعاصر في هذا الجانب.

المطلب الأول: علم الكلام النشأة والتطور

تلقى الجيل الأول للدعوة الإسلامية ركائز الإيمان وخصائص العقيدة الصحيحة السليمة من مصدرها المعين والأساس، القرآن الكريم على يد معلم البشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبولا وتسليما، لأن ذلك مقتضى التصديق والإيمان به رسولا من عند الله، ولم يقع منهم أو من أحدهم استشكال في قضايا العقيدة لبساطتها ويسرها وعقلانيتها، وكانوا ربما سألوه في بعض القضايا الشرعية العملية استرشادا واستيضاحا لا عنادا ومكابرة، وفي هذا بعض المعاني التربوية في التأدب مع الحضرة النبوية، وفيها أيضا بعض الرشد والوعي بمنهجية الوحي في بيان مسائل العقيدة.

يقول سيدنا عبد الله بن عباس"ما رأيت قوما خيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوه إلا عن ثلاث عشر مسألة حتى قبض، كلها في القرآن: يسألونك عن المحيض، يسألونك عن الشهر الحرام، يسألونك عن اليتامى، ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم"[1]

---

[1]ــ ابن القيم الجوزية، **إعلام الموقعين** دار ابن الجوزي، 71/1.

استمر الحال بين الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم على ما كانوا عليه من تلقي مسائل العقيدة بالقبول والتسليم، دون الخوض في القضايا الكلامية التي لا طائل منها، فالأصل في الإيمان كما تلقوه من الوحي قرآنا وسنة، هو التسليم والتفاعل الروحي والوجداني مع مقتضياته في تربية النفس والرقي الأخلاقي والقيمي، بما يتوافق مع العقل البشري وتطمئن إليه الفطرة الإنسانية السليمة وفي هذا يؤكد محمد الغزالي على يسر أصول الإيمان –العقائد– في الرسالة الخاتمة:" وجود الله من البداهات التي يدركها الإنسان بفطرته، ويهتدي إليها بطبيعته وليس من المسائل المعقدة، ولا من حقائق التفكير العويصة، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء، واقتراب المسافة جدا قد يعطل الرؤية ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد"[1]

وإلى نفس المعنى يشير عبد المجيد النجار:" لقد ظلت أجيال القرن الأول من المسلمين تتحمل العقيدة الإسلامية بأثر من التربية النبوية التي جعلتهم يستيقنون حقائقها، ويتصرفون بحسبها بصفة تلقائية دون حاجة إلى صياغة مرجع نظري كعلم متميز. ولم تنشأ هذه الصياغة النظرية في صفة علم مستقل إلا في أوائل القرن الثاني مع نشوء الفكر الاعتزالي"[2] وبهذا المعنى يتأكد للملاحظ أن ركائز الإيمان والعقائد في الإسلام و منهجية تقريرها كما في القرآن الكريم والهدي النبوي، غير المنهجية التي رسمها التاريخ الإسلامي المتراكم شكلا ومضمونا، بحسب سياقات التطور المعرفي والثقافي للحضارة الإسلامية، والاحتكاك بثقافات الحضارات السابقة في ذلك الوقت تأثيرا فيها وتأثرا بها، ما يستوجب قراءة تمحيص بين ثوابت المعرفة العقدية كما في نصوص الوحي وبين ما طرأ عليها من تراكمات تاريخية للحضارة الإسلامية، فالقراءة

[1] _ محمد الغزالي، **عقيدة المسلم**، دار الهناء ص 12.

[2] _عبدالمجيد النجار **فقه التدين** دار قرطبة الطبعة الثالثة ص 89.

الهادفة هي التي تساعدنا على التنقيب في طبقات العقائد المتأخرة للوصول إلى المعين الصافي والنهل من المورد الأول للدين وهو القرآن و السنة. "وبعد تمدد الإسلام خارج الجزيرة العربية، واستيعابه لمجتمعات وإثنيات متنوعة ـ في بلاد الشام والعراق وإيران وآسيا الوسطى حتى تخوم الصين، ومصر وشمال إفريقيا حتى الأندلس، واجهت المسلمين جملة من الآراء والأفكار التي تنتمي إلى الذاكرة التاريخية للملل والنحل المعروفة في هذه البلدان وما تمخض عن احتكاكها بعقيدة التوحيد ومواقف المسلمين ، فأصغى المسلمون القادمون من الجزيرة العربية إلى أسئلة وإشكالات لم يسمعوا بها من قبل، مثل: حقيقة الإيمان، ومنزلة صاحب الكبيرة، والقضاء والقدر، وطبيعة الصفات الإلهية وغير ذلك، فولدت في سياق الجدل العقائدي جملة من مفاهيم تصوغ رؤى مختلفة حيال تلك الاستفهامات والإشكالات، تتلون بشيء من رواسب البيئة المحلية والثقافات الخاصة لتلك الشعوب"[1]، وتشكلت من هذا الاحتكاك المعرفي مع الأمم الجديدة التي دخلت الإسلام، إشكالات لاهوتية وتيارات فكرية عقدية بحجج وبراهين عقلية ونقلية، تدافع بها كل فرقة عن توجهاتها وتصوراتها "وبمرور الأيام تبلورت مواقف وآراء، تتشكل كل طائفة منها في منظومة عقائدية، فأضحت تمثل اتجاهات عقائدية متعددة، تعمل على التبشير بآرائها وتسعى لاستقطاب الأتباع والمؤازرين."[2]

كما لا يمكن إغفال عامل الصراع السياسي، وقضايا المجتمع الثقافية والاقتصادية، و دورها الكبير في رسم التصورات المعرفية في الكثير من القضايا العقدية والفقهية، "كانت السياسة وراء ولادة الكثير من الأسئلة والمعتقدات والآراء الكلامية وتفاعلاتها في الحياة الإسلامية، مثل ولادة أسئلة الخوارج حول الحاكمية بعد معركة صفين، وولادة القول بالجبر،

---

[1] ـعبدالجبار الرفاعي، **علم الكلام الجديد**،الطبعة الأولى، دار التنوير للنشر والتوزيع ص8

[2] ـ **المصدر نفسه** الصفحة نفسها.

والقول بالقدر في العصر الأموي، مضافا إلى أن العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، التي كانت سائدة في المجتمعات الإسلامية آنذاك، تحكمت أيضا في نشأة علم الكلام وتطوره، وأمدت عقل المتكلم بعناصر وأدوات خاصة، هي تعبير عن تلك البيئة، ولذلك تجلت البيئة الخاصة للمتكلم وأطرها المعرفية في تراث الكلام الإسلامي "[1]

ويمكن إضافة سبب أساسي في تطور علم الكلام الإسلامي وهو الاحتكاك بثقافة شعوب الفتح الإسلامي الفارسية والمصرية و اليونانية، ما أثر فيها وتأثر بها في نفس الوقت "كما تغذى علم الكلام في فترة لاحقة بمفاهيم ومقولات المنطق والفلسفة، التي تدفقت من مراكز الترجمة، خاصة في العصر العباسي بعد أن انفتح المسلمون على الميراث الثقافي للحضارة اليونانية، ومدرسة الإسكندرية والهند وبلاد فارس، واستهواهم المنطق الأرسطي، وإلهيات أفلوطين، فاخترقت مقولاتها مباحث علم الكلام، حتى باتت قواعد المنطق الأرسطي هي المعايير النهائية للتفكير والبحث والجدل الكلامي "[2].

وإلى مثل هذه الملاحظات ذهب محمد الغزالي في التنبيه إلى تأثر علم الكلام الإسلامي بالثقافات القديمة من ناحية الشكل والجوهر "على أننا إذا تغاضينا عن الشكل، وتعرضنا للجوهر بالنقد والتمحيص، لا نلبث أن ندرك أن هذا الجانب الإلهي من الثقافة الإسلامية طغت عليه الفلسفات الغربية التي نقلها السريان عن اليونان وغيرهم، فإذا بعلوم العقيدة تتحول عن مجراها العتيق، وإذا بكتب التوحيد تزدحم باصطلاحات الفلاسفة وطرائق

[1] ـ **المصدر نفسه، ص** 10.

[2] ـ المصدر نفسه، ص 8- 9 .

تفكيرهم، ويبدو أن الأسلاف الباحثين في هذه الناحية من الإسلام قد فتنهم الإعجاب بما نقله إليهم التراجمة من ثمرات العقل اليوناني"[1]

انطلاقا من هذا التحليل التاريخي لتطور المعرفة الكلامية في الفكر الإسلامي، يمكن فهم الملابسات التاريخية والثقافية التي تمكننا من الفصل بين أصول العقائد الواردة في الكتاب والسنة، وبين الفروع والإضافات والأساليب الناشئة من تفاعل العقل مع النص في سياقات بيئية مختلفة من جهة وبين التفاعل الحضاري للثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات من جهة أخرى، نميز من خلالها بين الثابت والمتغير في المسائل الكلامية، ونتعرف على الأسس القرآنية في منهجية بناء الإيمان في النفس البشرية.

المطلب الثاني: معالم منهجية في علم العقيدة عند محمد الغزالي

دائما ما يعرض الشيخ محمد الغزالي لملاحظات حول علم العقيدة والأساليب والمناهج المتبعة في تناول مسائل العقيدة عبر التاريخ الإسلامي إلى العصر الحديث وفيما يلي عرض لبعض هذه الملاحظات.

أولا / موقفه من علم الكلام والفلسفة:

يتفق محمد الغزالي مع غالبية علماء العصر في النظر إلى التراث العقدي، ويعتبره من الأسباب التي كان لها دور في تراجع الحضارة الإسلامية.

لقد انقضى العصر الأول وجمهور المسلمين تشغلهم خدمة الإسلام عن الخوض في الجدل حول مسائل العقدية إلا أنه وبخاصة بعد ترجمة الفلسفة اليونانية أصبح أسلوب تدريس العقيدة غريبا عن المنهج الذي رسمه القرآن فصيغت الناحية الإلهية منها في قوالب من منطق أرسطو،

[1]ــ **عقيدة المسلم**،مصدر سابق، ص 8.

وانكمشت الناحية الإضافية فذبلت ثم اختفت، "كل هذا جعل موضوع العقيدة أقرب إلى العنوان الذي اصطلح الأقدمون على تسمية علمها به أي الكلام!! وكأن الأقدار أجرت هذا الاصطلاح على ألسنة القوم ليكون رمزا سافرا على ما آل إليه تدريس العقائد وإرساء دعائمها في القلوب!! لقد صار الأمر كله كلاما في كلام أو أحلاما يتنقل في أوديتها النيام"[1]

وتميز منهج المتكلمين كما يصفه الغزالي بطغيان الجدل والتعصب للرأي، كان للسياسة دور كبير في تغذيته، ويرى أن كتب الكلام قد فشلت في إيصال العقيدة وأداء رسالتها شكلا وموضوعا. فيقول: " فمن ناحية الشكل لا معنى البتة لعرض علم ما في توزيع مضطرب بين متن، وشرح، وحاشية، وتقرير. وفي لغة ركيكة اللفظ سقيمة الأداء لغة تصور سقوط البلاغة العربية ... على أننا إذا تغاضينا عن الشكل وتعرضنا للجوهر بالنقد والتمحيص لا نلبث أن ندرك أن هذا الجانب الإلهي من الثقافة الإسلامية طغت عليه الفلسفات الغربية التي نقلها السريان عن اليونان وغيرهم."[2]

من إيجابيات هذه الإنفتاح الثقافي في رأي الغزالي دلالتها على مدى الحرية التي أتاحها الإسلام لأتباعه، وأن الدائرة التي يعمل فيها العقل الإسلامي تسع العالم أجمع وليست مغلقة على عصبية جنسية أو فكرة محلية"[3]

والملاحظ هنا حدة موقفه من علم الكلام وسببه النقاشات الجدلية التي أصبحت تثار بين العامة في مسائل لا نجني من وراء الخوض فيها بمنهج المتكلمين إلا التفرق: مثل الخوض في حقيقة الاستواء، يسجل موقفه في هذا الصدد بتحسر قائلا: "وقد خامرني الأسى – من بضع سنين – وأنا المح بين العوام بقايا الانحرافات الذهنية في تصور العقائد، وتلقي معارفها. فقد

---

[1] _ محمد الغزالي **كيف نفهم الإسلام**، ص.147.

[2] _محمد الغزالي، **عقيدة المسلم**، ص.7– 8.

[3] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها .

اشتبك بعض البوابين والبقالين في أحد مجالس العلم حول تفسير استواء الرحمن على عرشه! وبذلت جهدي في إطفاء هذا الحوار السخيف وطالبت الحاضرين ألا يقفوا عند هذه الآيات وأشباهها وقفة استقصاء وعمق فذاك ما لا طائل تحته"[1].

يرى الغزالي أن آراء المتكلمين ترتب عنها سلبيات كثيرة كانت من عوامل تقهقرنا، فإذا نوقشت مسألة: ارتباط الإيمان بالعمل استفاد المجتمع من هذا الخلاف ترك العمل وتبرير ذلك بأدلة القدماء فسيطر الفكر الإرجائي على واقعنا، وإذا نوقشت مسألة الفعل الإنساني، ترجح لدى العامة أن الإنسان مجبور لا حول له ولا قوة، فتسقط الهمة وتخور العزائم، وإذا تجادل العلماء: هل للمسلم حق الالتجاء دون وساطة الصالحين من الأحياء والمقبورين ترجع لدى المسلم عدم الاستغناء عنهم وبذلك خلق علم الكلام مشاكل عاشها القدماء ولا تزال تنخر في أمتنا إلى يومنا هذا.

لقد اختصر الوحي أمام العقل البشري جهودا كبيرة وأعطاه حلولا فيما يتعلق بما وراء المادة، أثبت التاريخ فشل العقل في الوصول إلى جزء منها يستحق الاطمئنان.

والدليل على ذلك الجهود الضنية التي بذلها الفلاسفة وما أوصلتهم إلى نتائج مستقرة.

يقول: "إن الفلسفة جهد عقلي مضن، بيد أن حصاد هذا الجهد لا يغرس الطمأنينة وما يخلص الدين إلا إذا ابتعد عنها."[2]

ولأجل ذلك وجب على المسلمين الرجوع إلى منهج القرآن في الأخذ بأصول العقائد والإيمان.

[1]ـ **كيف نفهم الإسلام**، ص.148.

[2]ـ **المصدر نفسه** ص.131

ثانيا موقفه من التصوف:

بنى الإسلام الحياة الروحية للإنسان على أساس الصلة القوية بالله والتي تنعكس على الحياة فتجعل الإنسان عبدا لله – تبارك وتعالى– في حركاته وسكناته، متحررا في توحيده لخالقه من كل الشهوات والشبهات.

يذهب محمد الغزالي إلى أن التصوف كان له دور في التربية والترقية الروحية، عجز عن أدائه الفقه وعلم العقيدة يقول: "وناحية الوجدان في العبادة ظفرت، من المتصوفة القدامى بعناية رائعة فقد لونوا الأفئدة بعواطف حارة في علاقتها بالله، وأمدوها بفيض من الأشواق النبيلة جعل أداء الطاعات المفروضة كسماع الموسيقى المشتهاة[1]."

ويطرح مجموعة من الأسئلة من شأن الإجابة عنها أن تحقق للإنسان الارتقاء الروحي، ويرى أنه ما أجاب عليها غير المتصوفة، ومنها:

كيف نربي في القلوب الإحساس بجلال الله والخشوع لعظمته؟

كيف نجعل اليقين ينزل من السطح ليشتبك بالأعماق؟

كيف نحول المعرفة بالله إلى مذاق حلو يطبع النفوس على الرقة ويصفي السرائر من كدرها؟

كيف نجعل المرء مشتاقا إلى ربه، فهو ببواعث من أشواقه يطيعه ويسارع إلى مرضاته.. وكيف نجعله هيابا لذاته، فهو بدوافع القلق ينفر من معصيته ويفزع من مساخطه..

كيف يشهد المرء ربه في مجال السموات والأرض، ويشهد أسماءه الحسنى فيما يقع من حركة وسكون على امتداد الزمان والمكان؟

يحاول الغزالي في تجربته الإيمانية الإجابة على هذه الأسئلة فيقول:" إنني لست متصوفا، وما أحب أن أنتسب إلى فرقة من فرق المسلمين، بيد أن الإنصاف يدفعني إلى القول بأن هذا

[1] ــ **ليس من الإسلام**، مصدر سابق، ص.215

الجانب المهم من الثقافة الإسلامية اللازمة لم يلق العناية المستحقة لدى جمهرة الفقهاء والمتكلمين، وأن المتصوفة برغم شطحاتهم، وغلطاتهم هم الذين أفاضوا في هذا الحديث، إن فقهاءنا كتبوا المجلدات في غسل الأطراف، ما كان يعيبهم أن يتناولوا هذا الجانب وأن يضبطوه بأدلتهم الفقهية.

إن المتكلمين الذين عقدوا الفصول الخطيرة في الشؤون الإلهية المعنية ما كان يعيبهم أن يجيبوا الناس في الله ويرفعوهم إلى حضرته بأسلوب علمي محكم. لقد كان ذلك – والله – أجدى على الإسلام وأهله، من بحوثهم العميقة في الذات والصفات"[1]

ثم يشير إلى أنه أحسن صلته بالله كثيرا على إثر كلمات قرأها لبعض العلماء المنتسبين لهذا العلم كالغزالي وابن عطاء الله السكندري، وهو يرى وجوب وجود علم يقوم على رفع الإنسان إلى مقام الإحسان، علم يعالج العلل العقلية والنفسية التي تحجب المرء عن ربه، وتلصقه بالتراب، أو التي تهتم بأشكال العبادات ولا ترتبط بمعناها وحكمتها ولا تهم التسمية التي يسمى بها هذا العلم، يقول:" ولرجال التصوف باع طويل في هذا المضمار، وعندما نضع جانبا الخرافات التي روجوها، نجدهم أفلحوا في تكوين أجيال على قدر ملحوظ من دمائة الخلق، وحسن السيرة، وتقوى الله وعلى قدر ملحوظ من إعزاز الإسلام، والدفاع عنه، والاستشهاد في سبيله وإن كانت عواطفهم تلك لم يصحبها بصر نافذ إلى الوسائل الصحيحة والخطوات الراشدة[2]."

---

[1] ــ محمد الغزالي، **ركائز الإيمان**، ص.103.

[2] ــ **محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام**، مصدر سابق، ص160.161 .

ثالثا: منهجية محمد الغزالي في تناول مسائل العقيدة

رسم محمد الغزالي منهجه في تناول مباحث العقيدة، التي قرر من خلالها العودة بهذا العلم إلى أصوله الأولى، في القرآن الكريم والصحيح من السنة النبوية المطهرة، استفادة من تراث الحضارة الإسلامية، ومحاولة منه تقديمه وعرضه بما يتناسب مع الحاجات العصرية للإنسانية عامة، وللمسلمين خاصة، من خلال مقدمته لكتاب عقيدة المسلم فيقول:" هذه بحوث في العقيدة، دفعتني إلى كتابتها قلة الرسائل التي تعنى بهذا اللون من علوم الدين. وتعرضه في أسلوب يتفق مع حاجة المسلمين المعاصرين، وقد رأيت أن أسوق الأصول العلمية لعقيدة المسلم، في نسق يخالف ما ألف الناس قراءته من هذه الأصول في مظانها من ثقافتنا الدينية لا لأني سآتي بجديد في هذا الميدان. بل نزولا على منطق التجارب، وانتفاعا بما اكتنف جوانب التاريخ الإسلامي من أحداث، وتوخيا للسير في هدى النصوص المجردة من الكتاب والسنة ."[1]

كما سجل ملاحظات مهمة حول هذا العلم وطريقة تناوله والمسائل التي خاض فيها العلماء قديما وحديثا والآثار المترتبة عليها في عرض هذا الجانب المهم من الإسلام:

الملاحظة الأولى : تحول علم العقيدة من الجانب التفاعلي بين عقل الإنسان وقلبه وبين أحاسيسه وفكره إلى الجانب النظري البحت، تماما كالمسائل الرياضية العقلية الجافة، البعيدة عن روح الإيمان كما رسمه القرآن الكريم وبينته سنة رسوله الكريم ، يقول إسماعيل الفاروقي في هذا السياق:" عندما درس العلماء مبحث التوحيد في علوم العقيدة الإسلامية انصرف الكثير من جهدهم واهتمامهم إلى المسائل كلامية مجردة تفرعت فيها آراء المتكلمين فرقا ومذاهب شتى، حتى فقدت قيمتها العلمية في حياة المؤمن في حين أن منهج عرض التوحيد في القرآن

[1] _**عقيدة المسلم**، مصدر سابق، ص 6.

كان يتصل اتصالا مباشرا بحياة الإنسان المؤمن في صلته بالله سبحانه في خوالج نفسه وأشواقه ونوازعه."[1]

أكد محمد الغزالي ملاحظته الأولى حول علم العقيدة نفس المعنى بوصفه لعلم الكلام بأنه:" نظري بحت، ينظم المقدمات ويستخلص النتائج، كما تصنع ذلك الآلات الحاسبة في عصرنا هذا، أو الموازين التي تضبط أثقال الأجسام، ثم تسجل الرقم وتقذف به للطالبين. كذلك سارت الاستدلالات في هذا العلم الخطير، فتكلمت عن لله سبحانه وتعالى، وعن صفاته الكريمة، وانتهت إلى حقائق جيدة، يستريح إليها العقل الحصيف. بيد أن الإسلام في تكوينه للعقيدة يخاطب القلب والعقل، ويستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظه للقوى الذهنية."[2]

ولا شك أن الجفاف العاطفي في طرح مسائل العقيدة على هذا النحو كان له مزالق على الفكر الإسلامي، وأثر في تكوين شخصية الفرد المسلم، من البعد عن الجانب الروحي وأثره في التربية والسلوك، إلى الجفاف النظري، والترف العقلي، وإثارة الصراعات والفتن، البعيد عن المنهج القرآني في صياغة المعارف العقائدية، وتأصيلها في نفس الفرد، والتأسيس عليها في بناء المجتمع.

"وقد كنت أرقب عن كثب ما تخلفه دروس التوحيد من كتبه المقررة، فما كنت أجد فارقا يذكر لدى السامعين بينها وبين شروح المعادلات الجبرية مثلا. كلاهما ترويض للعقل، مبتوت الصلة بالفؤاد، فكأن الطالب يذكر طائفة من الأدلة على الوجود الدائم –الواجب

---

[1] ـــإسماعيل راجي الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية** ، ترجمة عبدالواحد لؤلؤة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1998م،ص 98.

[2] ـــ **عقيدة المسلم**، مصدر سابق، ص3.

الوجود– ولا يستشعر في قرارة نفسه عظمة الخالق المتعال، أو يختلج في بدنه عرق من الرغبة أو الرهبة نحو من سواه وألهمه فجوره وتقواه. أفهكذا تدرس العقيدة ..؟"[1]

وعقد مقارنة بسيطة بين طريقة مختلف المدارس الإسلامية في تقديم مباحث العقيدة وبين ما قدمته المدرسة الصوفية، ترشدنا إلى الفصام الذي وقع في التاريخ الإسلامي، بين هذين العلمين المهمين في تكوين شخصية الفرد المسلم. وهذا الفصام كان له الأثر السلبي في حقول المعرفة الإسلامية، كأن هناك تناقض بين ما جمع القرآن بينهما من خطاب العقل والقلب معا.

"وقد فزع العامة إلى علوم التصوف يستكملون ما عز عليهم إدراكه في علم الكلام، ولكن التصوف ميدان كثير المزالق، وشطحات السائرين فيه أكثر من سدادهم. ولا شك أن هذا العلم أنعش عاطفة الحب الإلهي، وربط قلوب الناس ربطا رقيقا ببديع السموات والأرض، إلا أن مخاطر الشغل به تجعلنا نتوجس منه. وقد حاولت في أثناء الكتابة عن عقيدة المسلم أن أرطب جفاف التفكير العقلي برشحات من المشاعر الحية، ولم أتكلف لذلك إلا أن أجعل نصوص الكتاب والسنة نصب عيني."[2]

وهو التصور الذي يتقاطع مع المنهج القرآني في بسط مسائل الاعتقاد، من الجمع بين المنهج العقلي والمنهج الروحي العاطفي، يبرهن تارة بالدليل والحجة، وتارة أخرى يتوجه لفطرة الإنسان التي فطره الله عليها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفِطَار : ٦ - ٨]

---

[1] _**المصدر السابق** ص 4

[2] _المصدر السابق ص 4

"ومسألة التوحيد في الإسلام ليست مسالة عقيدة عقلية ساكنة، تقع في هامش معتقدات الإنسان، بل إنها عقيدة متحركة دافعة ورافعة، لها من التجليات العملية ما يضع للإنسان مبادئ تتصل بكل مجالات الحياة الإجتماعية والسياسية والاقتصادية والفنية والتربوية وغيرها، في حياة الانسان المسلم وفي نظم المجتمع المسلم، وعلاقة المجتمع المسلم بالمجتمعات الأخرى"[1]

فالأصل في المعارف الإيمانية أو العقائدية، أنها تخاطب روح الإنسان قبل عقله، وتتناغم في سلوكه وأخلاقه لتحرك فيه مكامن الخير في الفطرة الإنسانية السوية.

الملاحظة الثانية: البيئة التاريخية وأثرها في تشكل المعرفة العقائدية.

يؤكد محمد الغزالي على الدور الذي لعبته السياسية في صياغة شتى المعارف والعلوم، والدراسة الموضوعية لأي علم تقتضي الإلمام بواقع التاريخ السياسي والاجتماعي، لفهم ملابسات التدوين في الحقول المعرفية المختلفة،" وللظروف التي نشأ فيها علم الكلام أثر سيء في سرد حقائقه وصوغ دقائقه، فإن جحيم السياسة، وتطاحن الأحزاب المختلفة، أرسل شواظا من الأحكام الإسلامية، لا نزال إلى اليوم نشقى بها، برغم القرون الطويلة التي مرت عليها. ومن الغفلة أن نحسب تكوين العقيدة يتم في مجلس مناظرة، تتصيد فيها النصوص وينشد فيها الغلب، ويلعب فيها بالألفاظ، ويستغل منطق أرسطو في المخاتلة وإيقاع الخصم أمام العامة"[2]

[1] _ فتحي حسن الملكاوي ، **منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية** ، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، سنة 2020 م ، ص 230

[2] _ محمد الغزالي،**عقيدة المسلم** ، دار نهضة مصر للطباعة، الطبعة الرابعة،2005، ص10.

وإلى نفس المعنى ذهب أستاذ الحضارة مالك بن نبي، في معرض حديثه عن علاقة السياسة بعالم الأفكار وصناعة الإنسان سلبا وإيجابا، ودورها في هدم البناء الروحي والأخلاقي لأي حضارة من الحضارات، إن هي انحرفت عن مجالاتها وتداخلت في صناعة الرأي بالإكراه ومنطق القوة " وكذلك كان شأن المسلم، فقد بعث الدين فيه روحا محركا للحضارة، فلم يلبث بعد مرحلة قضاها في الخلافات والحروب أن عاد إلى حيث هو الآن، إنسانا بدائيا. ولو أردنا أن نسمي هذه المرحلة الخالية من الروح والعقل والخاتمة لكل حضارة، لأطلقنا عليها بلا تردد اسم المرحلة السياسية بالمعنى السطحي لكلمة سياسة."[1]

يعرض محمد الغزالي بعدها بعض الأمثلة عن الصراعات المذهبية في محاولة لفهم سبب الخلاف بينها، هل له علاقة بجوهر الدين؟، أم أن الأمر لا يعدو كونه خلاف لفظي يمكن الجمع فيه بين مختلف المذاهب العقدية، وفك رموز الخلاف في المحافل العلمية المتخصصة بعيدا عن إذكاء مشاحنات طائفية بين عوام الناس، لا تخدم دينهم ولا تصح بها دنياهم.

"فاختلاف الجهمية والمعتزلة نشأ ـ في أصله ـ عن التعبير بأن العبد خالق لفعله، بدل التعبير بأنه فاعل لفعله، وعن تصور الاستقلال التام في الإرادة البشرية. وهذه العقيدة ـ خطأ كانت أو صوابا ـ صالحة لتكون موضع مناقشة علمية يستطيع فيها الطرفان مناقضة بعضهما بعضا ونقده، ولكن المسألة لم تقف عند هذا الحد. فقالت القدرية: إن عدم القول بعقيدتنا يعني إسناد الظلم إلى الله في عذاب الآخرة. وقال معارضوهم إنكم تنكرون عموم القدر الإرادة الإلهية ..وهذا كفر "[2]

[1] _ مالك بن نبي، **شروط النهضة**، دار الفكر والفن، الطبعة العاشرة، ص 59.

[2] – **عقيدة المسلم**، ممصدر سابق، ص 5.

وعلى هذا النحو تم صياغة الكثير من مسائل العقيدة، بعضها خلافات لفظية يمكن تجاوزها بمنطق مقاصدي وتحرير علمي رصين، وبعضها كان خدمة لسلطة سياسة لا علاقة له بروح الدين، ولا أساس عقلي أو منطقي له.

الملاحظة الثالثة: وذكر فيها الجانب الشكلي واللغوي الذي تم فيه عرض علم العقيدة، بين المتون والحواشي وشروحها " إذا كان علم التوحيد على النحو الذي و صفنا، فإن كتبه التي تشيع بيننا الآن فشلت في أداء رسالتها شكلا ومضمونا، فمن ناحية الشكل لا معنى البتة لعرض علم ما في توزيع مضطرب بين متن شرح وحاشية وتقرير، وفي لغة ركيكة اللفظ، سقيمة الأداء، لغة تصور سقوط البلاغة العربية على عهد الحكم التركي"[1]

إن تطور الأدب المعاصر شعرا ونثرا ورواية، يحتم على العاملين في الحقل الدعوي، المشتغلين بالمعرفة الإسلامية تطوير أساليب الكتابة في الحقول المعرفية الإسلامية خاصة علم الكلام، بما يسمح له أن يلج عالم الجمال الأدبي في صياغة أصول الإيمان، و حسن عرضها بين الناس بما يليق بمقام التوحيد و الدعوة إلى الإيمان بالله عز وجل.

"وتطور الأدب في عصرنا هذا لا ينكر، وقد بلغ من تمكن المؤلفين والمتأدبين في اللغة أن تناولوا الموضوعات التافهة فأخرجوها في ألبسة زاهية، ووجهوا ألوف القراء بسحر بيانهم إلى ما يريدون. فهل يبقى الكلام في العقائد وحدها حكرا على هذا النمط الرزي من الحواشي والمتون ..؟"[2]

---

[1] _**المصدر السابق**، ص 7.

[2] _**المصدر نفسه**، ص7.

ويضيف الغزالي ملاحظة مهمة تعليقا على كتب العقائد، وخلوها من السند القرآني في أغلبها فيقول مستغربا:"من العجيب أنك تقرأ في أمهات الكتب الكلامية، وتطوي الصفحات الطوال، فلا تكاد تعثر على آية أو حديث، إلا اقتباسات يسيرة تبدو كالزهرات المنفردة في الأرض السبخة "[1]وفي هذا تأكيد على هجر وإهمال مقاصد و أساليب الوحي، قرآنا وسنة، في هذا الميدان المؤسس للتصور والمعرفة العقائدية في الإسلام.

ينطلق محمد الغزالي في عرضه للعقيدة الإسلامية من قناعة قوية بأن العقل البشري عاجز عن إدراك ما وراء المادة، وأن مجال تحركه هو عالم الشهادة فيقول: "التقعر في دراسة ما وراء المادة مرض أصاب المسلمين، ولوى مسيرتهم العلمية ليا شائنا، والمعروف أن الآيات المحكمة هي أم الكتاب، ومناط التكاليف الاعتقادية والعملية، وأنه بحسب المسلمين في عالم الخلق والسلوك، وعالم العقيدة والعبادة، وعالم القضاء والتشريع أن يعتمدوا على هذه الآيات المحكمة وحدها... أما ما تشابه في الحديث عن ذات الله وصفاته فلا مجال للعقل في بحثه ..إن العقل البشري أعجز من أن يفقه حقيقة الروح بين جنبيه، بل أعجز من أن يفقه تحول الأغذية في جسده إلى طاقة وخلايا، فكيف يريد أن يعرف كنه الألوهية، واتصال الذات بالصفات؟"[2]

لأجل ذلك تجنب الغزالي الخوض في مسائل علم الكلام إلا بالقدر الذي يخدم الواقع، "ونحن لا نهتم بتحديد الحق في هذه الإجابات قدر ما تهتم بالإبانة عن أن هذه البحوث كلها لغو من القول، وأن المسلمين انكبوا عليها يوم اضطربت سياستهم الشرعية وقلت أنصبتهم من العمل النافع لأنفسهم من العالمين."[3]

ويقصد بهذه البحوث:

[1] _ **المصدر السابق**، ص 8.

[2] _محمد الغزالي، **الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر**، ص.62-61.

[3] _ محمد الغزالي، **ليس من الإسلام**، ص.176.

هل الوجود عين الموجود أم الذات، صفة خارجية؟

هل القرآن كلام الله قديم أم حادث؟

هل رؤية الله ممكنة أم مستحيلة؟

هل صفات المعاني هي الذات، أم هي لا هي ولا غيرها؟

هل تعاد الأجسام بعد البعث بأعيانها أم أشباهها؟

يعتبر الغزالي كل تلك الجهود انطلاقا للأمة بغير قوامها، وإلى غير وجهتها، والذي ركز عليه هو نقد بعض هذه الآراء التي لازالت تعيش إلى وقتنا الحاضر وتشل انطلاقة الأمة إلى هدفها.

إن أفضل منهج لعرض العقيدة الإسلامية في نظره هو منهج السلف. يقول:" وأنا إجمالا أمضي مع مذهب السلف بطبعي، وإن كنت أرفض نزعة التكفير."[1]

ويقول:" إنه من فضل الله على سلفنا الأول أنه لم يتقعر في بحوث ما وراء المادة، و لم يحاول استكناه الغيبيات، بل كان جيلا مستقيم الفطرة سوي النظرة وأحسن علاقته بالله في العبادة الخاشعة وأحسن علاقته بالناس، فيما التزامه من خلق حسن وعدالة مطلقة، وقد أعانه ذلك على إبلاغ رسالة الإسلام، فشرق وغرب، وتألق وتأنق واندكت أمام عزماته الصعاب والعقبات."[2]

ويرى أنهم لو انشغلوا بالجدل العقيم حول مسائل ما وراء المادة لبقي الإسلام منحصرا في شبه الجزيرة العربية.

---

[1] ـمحمد الغزالي: **المحاور الخمسة للقرآن الكريم**، ص 18.

[2] ـمحمد الغزالي، **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**، ص.104.

والسلفية في فكر محمد الغزالي ليست فرقة من الناس تسكن جزيرة العرب. تحيا على نحو اجتماعي معين وتلبس لباسا خاصا، "إن السلفية نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون، وتعمق ولاءها لكتاب الله، وسنة رسوله، وتحشد جهود المسلمين المادية والأدبية لإعلاء كلمة الله دون نظر إلى لون أو عرق، وفهمها الإسلام وعملها له يرتفع إلى مستوى عمومه، وخلوده، وتجاوبه مع الفطرة، وقيامه على العقل"[1].

فالسلفية في نظر الشيخ هي الانتماء بعقل نظيف ذكي إلى كتاب الله وسنة رسوله.

نبذ التعصب والفرقة: دعا محمد الغزالي إلى نبذ التعصب للرأي، وكان كثيرا ما يشير إلى أن الاختلافات التي كانت بين العلماء أغلبها يرجع إلى اللفظ ولا يستحق ما ثار حوله من غبار.

فيقول: " إن التعصب الأعمى مرفوض! وعند التدبر، نجد أمرا لابد من إبرازه، إن السلف والخلف جميعا يسبحون بحمد ربهم ويقدسون له، ويرجون رحمته ويخافون عذابه، إنهم جميعا يؤمنون بوجوده وأنه الحي القيوم، وأنه ليس كمثله شيء، وأن ما ينسبه إليه اليهود والنصارى من تجسد أو تعدد أو مظاهر بشرية خطأ محض.! وعبارات السلف والخلف، تتجه كلها إلى تلك الغاية، وقد تضطرب أساليب الأداء، وإذا لم يكن الخلاف لفظيا فهو قريب من الخلاف اللفظي"[2].

وفي كتابه – تراثنا الفكري بين الشرع والعقل – يقول:"وقد أمعنت النظر في الخلاف القديم بين فكر السلف والخلف فوجدته أدنى إلى الخلاف اللفظي، إذ الإجماع منعقد على توحيد الله وتحميده وتمجيده، ونفي أي شائبة عن ذاته الأقدس وتوجد اليوم عصابة من المتعالمين تريد أن تسعر النار، وأن تصب الزيت في الفرن الذي خمد لتعيد اشتعاله.. وتقع هذه المحاولات المجنونة في سنوات عجاف، يأكل فيها المسلم رغيفه من علم الغرب وعمله، والمضحك المبكي أن

---

[1] _المصدر نفسه، ص.107.

[2] – **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**، مصدر سابق، ص.107

هؤلاء المتعالمين يصنعون المعارك على قضايا الغيوب، وهم يتسولون فتات المعارف الأرضية ممن غلبوهم على أرضهم، وانفردوا بزمام الحضارة وحدهم إنهم يقاتلون لإثبات أن الله خلق آدم على صورته، فإذا غلغلت البصر في شئونهم وجدت أن انتسابهم لآدم هو من ناحية الجسد!

أما من ناحية أن الله علم آدم الأسماء كلها، فالقوم يسمعون عن غزو الفضاء، وتسخير الذرة، فلا يعرفون قبيلا من دبير، وإنما ينادون من مكان بعيد!! إن الصحوة الإسلامية منتهية إلى الفشل يقينا إذا بقي لهؤلاء الناس صوت يسمع."[1]

كما حذر الغزالي من التكفير ووجوب التعاون فيما اتفق عليه والعذر فيما اختلف فيه.

يقول: "والعلاج الفذ أن نتعاون فيما اتفقنا عليه، وهو كثير لا حصر له، وان يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، وهو قليل لا يتحمل المط والضغن. أما أن أعتنق مذهبا ما في الأصول أو الفروع ثم أتعصب له، وأتحامل على الآخرين فذلك ليس من الدين، وهو عرقلة لسير الأمة الإسلامية بل هو إخماد لأنفاسها، وإرهاق لروحها كما أنبأنا التاريخ."[2]

الاهتمام بالآثار التربوية للعقيدة:

اهتم محمد الغزالي ببيان الآثار التربوية للعقيدة ولا نكاد نترك عنصرا من العناصر التي يبحثها إلا ونجد فيها كما هائلا من الآثار التي تنتج عنها في حياة الإنسان المؤمن (الحديث عن الميلاد الذي يحدثه الإيمان للإنسان عموما، الآثار التربوية لمعرفة معاني الأسماء الحسنى. وقد كان في ذلك متأثرا بأبي حامد الغزالي .

التركيز على البعد الحضاري: ولأننا نعيش أزمة حضارية متعددة الجوانب، نلاحظ أن كل أعمال الغزالي موجهة للإنعاش الحضاري للأمة الإسلامية وإعادة إحياء تفاعل الإنسان المؤمن مع الحياة بالإيمان النقي النظيف الذي يصبغ كل مظاهر الحياة.

---

[1] ـ محمد الغزالي، **مشكلات في طريق الدعوة الإسلامية**، ص.120

[2] ـ محمد الغزالي، **دفاع عن العقيدة والشريعة**، ص.211،220

المطلب الثالث: التوحيد منظومة خلاص الإنسانية

إن إدراك أهمية وخطورة مباحث التوحيد يحتم على المشتغلين بالدعوة والمعارف الإسلامية، الحذر في عرضها على الناس، والتعمق في دراستها بما يؤسس لحسن فهمها وتوظيفها وفق مقاصد الشريعة الإسلامية، ووفق ما يقتضيه تغير الزمان والمكان وتطور الإنسان. واليوم في عصر المادية يقف الإيمان وجها لوجه أمام موجات الإلحاد والتفوق المعرفي للحضارة الإنسانية، ما يطرح تحديات معرفية جديدة على العقل الإنساني، يبحث من خلالها عن إجابات شافية للأسئلة الخالدة والحارقة المطروحة أمام ضمير الإنسان، التي قد يوجد في الفكر والفلسفة و علوم المادة بعض الإجابات المسكنة لها.

لكن يبقى الدين هو الموجه والمجيب الأكثر تعبيرا عن الحق والهدى، و المتفاعل الأساس مع الفطرة البشرية، "نعم في الفلسفة والآداب والمعارف و الفنون محاولات لتفسير معنى الحياة، وشيء من إجابات سؤال الموت، وأسئلة ميتافيزيقة أخرى، لكن الدين هو مصدر التفسير الأخصب والأثرى لمعنى الحياة والموت، وغير ذلك من الأسئلة الميتافيزيقية، وكل أسئلة المبدأ والمصير والخلود."[1]

إن التخاطب بمثل هذا المستوى الإيماني والرقي بلغته وتصوراته، وحده الكفيل بتحقيق التناغم والتفاعل بين الوحي وبين الإنسان، في أسمى صور الاستجابة لنداء الفطرة في النفس البشرية، بعيدا عن الصراعات الأيديولوجية التاريخية التي شابت حقل المعرفة الإسلامية نتيجة التراكم الزمني، والعودة إلى الخطاب القرآني في ندائه لعقل وقلب الإنسان في منتهى النقاء

[1]_عبد الجبار الرفاعي ، **الظمأ الانطولوجي**، ص15.

الروحي، والصفاء النفسي، فهو المصدر الخالد زمانا ومكانا في أسلوبه ومضمونه والقادر على مواكبة التحديات الحضارية.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨]

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فُصِّلَت : ٥٣]

"ذلك أن الدين خاصة، هو: ما يروي الظمأ للمقدس، و يشبع الحاجة للخلود، بوصف الكائن البشري ينزع للكمال، و هو في توق أبدي للخلود، ولا يشبع الشغف بالكمال والخلود سوى الحق تعالى، وهو ما يحدد الدين السبل للوصول إليه"[1]

فحاجة النفس للدين كحاجة البدن للغذاء والهواء، فطرة الله التي فطر الناس عليها، وظمأ الإنسان الوجودي للكمال والخلود لا يرويه إلا الوصال بالعالم السماوي،"كذلك يفسر لنا الدين ألغاز هذا العالم، الذي تسوده الألغاز، وكل ما هو غير مفهوم يجعله الدين مفهوما، وما لا معنى له يجترح له الدين معنى. ليس بوسع الإنسان أن يعيش في عالم كله مجاهيل وألغاز غامضة، عالم مبهم غريب مظلم، عالم لا يعرف عنه شيئا، ذلك سيقوده إلى الخوف والرعب، وربما إلى الجنون "[2]

فالإنسان بلا دين غريب في هذا الوجود الموحش لا يعرف مصدر نشأته ولا الغاية من وجوده، والدين هو الموجه لحيرة الإنسان الوجودية، وهو الذي يرسم له خارطة النجاة وطريق الهدى.

[1] _عبد الجبار الرفاعي **الظمأ الأنطولوجي** ص16.

[2] _المرجع نفسه، ص 16.

المطلب الرابع: علم الكلام في فكر محمد الغزالي

عدا كتاب عقيدة المسلم، لم يؤلف محمد الغزالي كتابا خاصا بعلم العقيدة، غير أنه أشار إلى ملاحظات حول هذا العلم، مبثوثة في مختلف مؤلفاته الأخرى، نركز في هذا المطلب على كتابين مهمين، كتاب كيف نفهم الإسلام، وكتاب عقيدة المسلم، لأنهما الأكثر اهتماما من ناحية المضمون بموضوعات العقيدة الإسلامية.

الفرع الاول :قضايا العقيدة، قراءة في كتاب "كيف نفهم الإسلام".

في هذا المؤلف أكد محمد الغزالي على أن العقيدة الإسلامية ناحية إلهية وأخرى إنسانية.

الناحية الإلهية تقوم على حق الله -تبارك وتعالى- في أن يعرف على وجه صحيح.

فمادام واحدا، فلماذا تفتري له شريكا؟

وإذا كان قد أحاط بكل شيء علما، فكيف نظن بعض أحوالنا يخفى عليه؟

وإذا كان يؤوي المستجير به، فلماذا نهجر كنفه الرحب إلى غير كنف؟

ومادام المصير إليه حتما، فلماذا نجحد لقاءه أو نستهين بهذا اللقاء؟

ومادام قد أمر ونهي، وقضى وحكم، فكيف يجحد أمره ونهيه وقضاؤه وحكمه، ويلتمس بدلا عن ذلك العوض الخبيث، فيما تصنع الشياطين للناس؟[1]

الناحية الإنسانية: وتقوم على رفع مستوى الإنسان حتى يكون أهلا لأداء الوظيفة التي نيطت به في الوجود. على أساس تتفق مع شرف نسبه الإلهي وأصل خلقته[2].

يقول: "ولقد كان جديرا بالمسلمين أن يفكروا في الكون وينتهزوا فرصة حياتهم على الأرض، ليعرفوا عظمة رب العالمين، بدراسة خواص المادة، والقوانين السارية بين شتى العناصر إن

---

[1] ــمحمد الغزالي، **كيف نفهم الإسلام**، ص. 103-102.

[2] ــ**المصدر نفسه** الصفحة نفسها.

الله لا يعرف بدراسة ذاته، فهذا مستحيل، وإنما يعرف بدراسة ملكوته الضخم واستجلاء الآيات الدالة عليه هنا وهناك – لا بأسلوب شعري هائم، ولكن بأسلوب علمي صارم"[1]

وفي موضع أخر يقول:" إننا لن نعرف الله المعرفة الصحيحة إلا إذا درسنا العالم الذي خلقه وأودع في تضاعيف هذا الخلق دلائل عظمته ومعاني أسمائه الحسنى، والإيمان الذي دعا إليه القرآن هو ثمرة الدراسة الواعية للكون الكبير، وما انبث في جوانبه من أحياء.

إن العقل السليم إذا تجرد من التعصب، لا يمكنه أن ينكر وجود الله– تبارك وتعالى – حتى وإن كان غير مهتد بـالوحي، لأن الله – أودع فيه القدرة على ذلك، وبث في العالم ما يرشده إلى معرفته – سبحانه وتعال– فما بالك إذا كان هذا العقل مهتديا بوحيه.

وفي حديثه عن ذلك يستدل محمد الغزالي برأي بعض علماء الغرب في الإقرار بوجود الخالق انطلاقا من تأملهم في الكون.

فهذا[2] سبنسر يقول: "إننا مضطرون إلى الاعتراف بأن الحادثات مظاهر قدرة مطلقة متعالية عن الإدراك، وأن الأديان كانت أول من قبل هذه الحقيقة العلوية، ولقنها، ولكنها نشرت أول الأمر ممزوجة بالأباطيل."[3]

ويقول "كلفن": "يتعذر على الإنسان أن يتصور بداية الحياة أو استمرارها دون أن تكون هنالك قوة خالقة مسيطرة وإني لأعتقد من صميم نفسي أن بعض العلماء في أبحاثهم الفلسفية عن الحيوان قد أغضوا إغضاء عظيما مفرطا عما في نظام هذا الكون من حجة دامغة، فإن لدينا فيما حولنا براهين قوية قاطعة على وجود نظام مدبر وخير، وهي براهين تدلنا بواسطة الطبيعة

---

[1] _محمد الغزالي، **الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر**، ص.65-64.

[2] _ النقول المعزوة لأولئك العلماء وردت في كتاب "**الدين والعلم**" للمشير أحمد عزت باشا، مع تعليقات يسيرة له.

[3] _**محمد الغزالي، عقيدة المسلم**، مصدر سابق ص 21.

على ما فيها من أثر إرادة حرة، وتعلمنا أن الأشياء (الحية) تعتمد على خالق واحد أحدي أبدي. "[1]

وبعده يقول "انشتاين": "إن جوهر الشعور الديني في صميمه هو أن نعلم بأن ذلك الذي لا سبيل لمعرفة كنه ذاته، موجود حقا، ويتجلى بأسمى آيات الحكمة وأبهى أنوار الجمال، وإنني لا أستطيع أن أتصور عالما حقا لا يدرك أن المبادئ الصحيحة لعالم الموجود مبنية على حكمة، تجعلها مفهومة عند العقل، فالعلم بلا إيمان، يمشي مشية الأعرج، والإيمان بلا علم يتلمس تلمس الأعمى[2].

مـادام الله واحدا، فلماذا نفتري له الشريك؟ وهجر كنفه إلى غير كنف؟

وحين يتحدث الغزالي عن وحدانية الله تبارك وتعالى يسوق الآيات القرآنية التي تغني عن الكلام الكثير، وباستقراء ما توهمه الناس شركاء الله في ألوهيته، لا يوجد أحد من هؤلاء الشركاء المزعومين ترشحه حالته ليكون في هذا الوجود شيئا طائلا.

يقول تبارك وتعالى:﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١﴾ [المُؤۡمِنُون : ٩١]

ويقول ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾ [الأَنبِيَاء : ٢٢]

[1]ـ **المصدر نفسه**، ص 21-22.

[2]ـ **المصدر نفسه**، ص 22.

وعلى ضوء هذه الآيات يتساءل الغزالي:" إن كان هذا الإله موجودا مع الله، فما موقفه منه؟ بل – أولا – ما هي منزلته منه؟ إن كان دونه منزلة ومكانة، فليس بإله، وإن كان أعلى منه فهو أحق بالألوهية، وإن كان مثله، فما هي الحدود والفواصل بين عمليهما واختصاصيهما؟"[1]

ويعرض دعاوي المنحرفين عن الحقيقة كفرعون، والنمرود، والنصارى. وكلنا يعرف رد القرآن على هذه الأقوال، كما عرض المقارنات التي أتى بها القرآن الكريم، والتي توصل كل ذي عقل سليم إلى أن الله إله واحد لا شريك له. وفي الإقرار بوحدانيته تحقيق لعزة وتكريم الإنسان.

ومنها قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ [الأَعْرَاف : ١٩٤]

ويقول ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فَاطِر : ١٤]

ويقول ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يُوسُف : ٣٩]

ويقول ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩﴾ [الزُّمَر : ٢٩]

هذه النصوص تصون الإنسان من الوقوع في دنس الشرك، والواقع العملي ينطق بوحدانية الله –تبارك وتعالى– وما الآخر المزعوم إلا خيالات للعقول المريضة.[2]

[1] _**عقيدة المسلم**، مصدر سبق ذكره، ص57– 56.

[2] _ **عقيدة المسلم**، ص.50

فاليقين بوحدانية الله تبارك وتعالى يغني الإنسان المؤمن عن اللجوء إلى غيره. وقد حارب الشيخ مظاهر الانحراف العقدي، وذلك بالرجوع إلى نصوص القرآن. والدعوة إلى إخلاص التوحيد من خلال الإلتزام بقيمه وتعاليمه التي نبه إليها في سوره وآياته الكريمة.

وفي فكر محمد الغزالي يرتبط العلم بالدين، وذلك في تفسيره للآيات التي تحدثت عن البعث ومنها قوله تبارك و تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس : 78-81]

"ثم لفت القرآن نظرنا إلى حقيقة علمية في عناصر الكون إننا نتنفس فنأخذ من الهواء (الأوكسيجين ثم نرده كربونا) وينتفس النبات فيأخذ الكربون، ويرسل (الأوكسيجين) ويتراكم غاز الكربون الذي يأخذه النبات، ويتجمد في كيانه، جذوعا وأغصانا وأوراقا لا تلبث أن تكون حطبا محترقا."[1]

والمتدبر في آي الذكر الحكيم يلاحظ أن أغلب الآيات التي تحدثت عن مراحل خلق الإنسان، وردت في موطن الاستدلال على حدوث البعث. وفي ذلك إثبات أن الذي خلق الإنسان أول مرة قادر على رجعه مرة أخرى. وأن هذه الآيات فيها دلالة قوية على صدق الرسالة، لأن هذه النتائج العلمية لم يتوصل إليها العلماء إلا حديثا.

[1] ــمحمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، ص.40.

ففي تفسير قوله – تبارك وتعالى ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨﴾ [الطَّارِق : ٥ - ٨]

" تفاصيل الخلق الإنساني مشروحة في علم الأحياء، وقد عرفت بعض علماء الغرب، الخبراء في علم الأجنة أعلنوا إسلامهم للدقة التي تحدث بها القرآن عن أطوار الخلق ومراحله،ولا يعرف هذا في كتاب سابق لكن الإنسان كفور، وأيا ما كان الأمر فهو عائد لحساب مر"[1]

﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾ [الطَّارِق : ٩ - ١٠

أثبت القرآن الكريم لمنكري البعث الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها إلا من معاند مكابر، وأقام أدلته على ذلك على أساس العقل والمشاهدة الحسية، فإذا أنكر الإنسان ما يقدمه له عقله من إضاءات أكدتها له مشاهدته الحسية، فما يبقى أمامه إلا الإيمان والاستعداد للحياة الأبدية، فإذا تمادى في إنكاره وجهله، حشره الله سبحانه يوم القيامة أعمى.

"إن الإيمان يزيد وينقص، وآثاره في النفس والحياة تمتد وتنكمش، والزيادة والنقصان ليسا في أصل المفهوم العقلي وإنما في كمه وكيفه. والإيمان في بعض الناس قد يتحول إلى حياة تصبغ الشعور والفكر وتهيمن على الحركات والسكنات، وتجعل صاحبها في نهار دائم من الأنس بالله وألف عظمته، ومن ثم لا يتفاضل المسلمون في أصل عقيدة التوحيد، وإنما يتفاضلون فيما يبلغه التوحيد في نفوسهم من أبعاد وآماد. ومن الجور أن نسوي بين العميق والضحل والمتين والضعيف، وأقدار المؤمنين عند الله وحظوظهم من مثوبته تتبع درجات إيمانهم. واكتمال الإيمان يوصل إليه بعد جهاد طويل ورياضة متصلة"[2]

[1]- المصدر نفسه، ص207.

[2]–محمد العزالي: **ركائز الإيمان بين العقل والقلب**، ص.122.

الفرع الثاني : قضايا العقيدة من خلال كتابه عقيدة المسلم[1]

حاول محمد الغزالي عرض المعارف العقدية من خلال "كتابه عقيدة المسلم"، وتقديمها بأسلوب مبسط، جمعت بين منهجية الوحي، والمنطق العقلي، يجيب من خلالها على التحديات المعاصرة في عالم الفكر والفلسفة، وفيما يلي ذكر لبعض مسائل العقيدة التي وردت في هذا الكتاب:

أولا: التوحيد حقيقة الكون

توحدت رسالة الأنبياء في غاية سامية، وهدف مشترك جامع، هو تعريف الخلق بخالقهم، ووصل الأرض بالسماء، والدعوة إلى الإيمان والبعد عن الشرك ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشُّورَى : ١٣]

من الواضح الظاهر أن التحديات التي واجهت دعوات الأنبياء والرسل. عليهم الصلاة و السلام . لا تزال قائمة في عصرنا، وفي كل العصور، تغيرت بعض ملامحها وأشكالها، لكنها واحدة في جوهرها ومضمونها، الإيمان في مواجهة الإلحاد، الحق في مواجهة الباطل، التوحيد في مواجهة الشرك والكفر بالله.

وحقيقة الإيمان المغروسة في فطرة الإنسان من البداهات الواضحة، وليست من العلوم الفيزيائية أو الرياضية النظرية المعقدة.

---

[1] _المصدر نفسه ص 13-14.

"وجود الله تعالى من البداهات التي يدركها الإنسان بفطرته، ويهتدي إليها بطبيعته، وليس من مسائل العلوم المعقدة، ولا من حقائق التفكير العويصة، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء، واقتراب المسافة جدا قد يعطل الرؤية، ما أختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد "[1]

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم : ١٠] "فهذا التساند، وهذا التعاون، وهذا التجاوب، وهذا التعانق، وهذا التسخير، وهذا الانتظام، الجاري في هذا الكون، يشهد شهادة قاطعة، أن مدبرا واحدا هو الذي يديره، ومربيا أحدا يسوق الجميع في الكون، زد عليه فإن الحكمة العامة الظاهرة بداهة في خلق الأشياء البديعة، كل ذلك ختم عظيم للتوحيد له من الظهور و الوضوح ما يفهمه كل من لم تنطفئ جذوة عقله، ويراه كل من لم يعم بصره."[2]

والمشكلة الأساس في إنسان الحضارة المعاصرة، أن المادية طغت على عقله وقلبه وكيانه، فعلى دعاة الهدى البحث في الأنفس والآفاق عن سنن هداية الإنسان إلى معالم الحق والخير فيه، للعودة به إلى طريق الله هداية وإرشادا، بلغة عصره، لغة العلم والمعرفة، لغة القلب والوجدان، لا الخوض في صراعات فكرية تاريخية تجاوزها الزمن." وقد اقترنت حضارة الغرب التي تسود العالم اليوم بنزوع حاد إلى المماراة في وجود الله، والنظرة إلى الأديان . جملة . نظرة تنقص، أو قبولها كمسكنات اجتماعية لأنصارها والعاطفين عليها.

[1] ـ**عقيدة المسلم**، مصدر سبق ذكره، ص 12.

[2] ـسعيد النورسي، **حقيقة التوحيد من كليات رسائل النور**، دار سوزلر للنشر ص 53 . 54.

ولا شك أن المحنة التي يعانيها العالم الآن أزمة روحية، منشؤها الكفر بالمثل العليا التي جاء بها الدين من الحق، والإنصاف، والتسامح، والإخاء"[1]

ثانيا: التوحيد فطرة إنسانية

من المقطوع به عقلا ومنطقا أن الأشياء لا تحدث من تلقاء نفسها، ولا تسير كيفما اتفق، من غير موجد أو محرك لها، فلكل حركة محرك، ولكل حادث سبب علمه الإنسان أو جهله، وصل الإنسان إلى حقيقته علميا أو لم يصل، ولهذا نجد القرآن الكريم يوجه الإنسان إلى آفاق الكون، وما يدور حوله من معجزات الكون، وبديع صنع الله في خلقه ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ [الغَاشِيَة : ١٧ - ٢٠]

والعلم المادي الحديث يصور بدقة هذا النظام المتناهي في الإبداع الذي وجه القرآن نظر الإنسان فيه والتدبر في جزئياته الدقيقة،"كان العلم يقدم لي صورة عن الكون بالغة الإحكام و الانضباط...كل شيء، من ورقة الشجر، إلى جناح الفراشة إلى ذرة الرمل فيها تناسق ونظام، وجمال الكون مبني وفق هندسة وقوانين دقيقة. وكل شيء يتحرك بحساب: من الذرة المتناهية في الصغر، إلى الفلك العظيم، إلى الشمس و كواكبها، إلى المجرة الهائلة التي تحوي أكثر من ألف مليون شمس إلى السماء المترامية التي يقول لنا الفلك إن فيها أكثر من الف مليون مجرة."[2]

---

[1]- **عقيدة المسلم**، مصدر سبق ذكره، ص12.

[2]- مصطفى محمود، **رحلتي من الشك إلى الإيمان**، ص 8-9.

يستنكر القرآن على الإنسان ذهوله عن التدبر في حقائق الكون، وعن أصل نشأته الأولى ﴿خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [الطُّور : ٣٥ - ٣٦]

ثالثا: دليل العناية

إن البيت المرتب ترتيبا دقيقا، متقن التنظيم في كل زاوية من غرفة مهيأة للطعام وأخرى لاستقبال الضيوف، وأخرى للنوم، لا تدع مجالا للشك في أن ما وراء هذا النظام عقل مدبر، ويد عاملة نشيطة، والكون بآفاقه الرحبة، ونظمه الكيميائية والفيزيائية متناهية الدقة في تصميمها وأنماط عملها، كلها دلالات واضحة ترشد الإنسان إلى جلالة المبدع لصنعها، القائم على نظامها.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢﴾ [الفُرْقَان : ٦١ - ٦٢]

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣﴾ [الجَاثِيَة : ١٢ - ١٣]

رابعا: دليل الحركة

انتظام الكون بكل مجراته وكواكبه السيارة، والتزام كل منها بمداره ومساره وسرعته، فلا انحراف عن المدار المحدد لها، ولا تزيغ ولا تصطدم ولا تداخل يقع بينها " ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس : ٣٨ - ٤٠] من الذي هيمن على نظامها، وأشرف على مدارها ؟ بل من الذي أمسك بأجرامها الهائلة، ودفعها تجري بهذه القوة الفائقة؟ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فَاطِر : ٤١] فالقوة الخفية الناظمة و المدبرة في هذا الكون هي قوة الله "إن الله هو القوة الباطنة في الكون التي تنظمه في منظومات جميلة من أحياء وجمادات وأراض وسموات. وهو الحركة التي كشفها العلم في الذرة وفي الأفلاك هو الحيوية الخالقة الباطنة في كل شيء "[1]

خامسا: دليل الحدوث

إن عناصر الكون الذي نعيش فيه لها بدايات معروفة، يقدر لها علماء الجيولوجيا أعمارا محددة، مهما طالت، فقد كانت من قبل صفرا، وتفجير الذرة في العصر الحديث هدم الظن القائل بقدم العالم وأزليته.

[1] _**المصدر نفسه**، ص 9.

إنه إذا وقعت حادثة لم يظهر فاعلها قيل: إن الفاعل مجهول. ولم يقل أحد قط: إنه ليس لها فاعل. فكيف يراد من العقلاء أن يقطعوا الصلة بين العلم وربه؟

إننا لم نكن شيئا فكنا ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ①﴾ [الإِنسَان : ١] فمن أوجدنا وكوننا ؟؟ ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ⑨١﴾ [الأَنْعَام : ٩١

هذه بعض الإشارات المنهجية لفكر محمد الغزالي في عرض العقيدة الإسلامية من خلال كتابه عقيدة المسلم، فقد كان مهتما بتنقية التراث الفكري العقدي مما شابه من انحراف، متوخيا بذلك إصلاح أوضاع المسلمين لا التحامل على اتجاه من الاتجاهات، محترما لكل من اجتهد مبتغيا إيصال الحق وإن أخطأ في ذلك.

عمل فيه على احياء المنهج القرآني الذي يخاطب الكينونة البشرية كلها مرتقيا بها إلى أن تكون أهلا لعبادة الله سبحانه بتحريرها من جميع مظاهر الانحراف العقدي، موجها لها إلى الهيمنة على الكون بإحياء المنهج التجريبي الذي نما وترعرع في أحضان المسلمين الذين فهموا الخطاب القرآني فهما صحيحا، فحققوا بذلك الارتقاء المعرفي والارتقاء الإستخلافي.

حاول الشيخ في كتاباته الإلمام بمقاصد العقيدة الإسلامية، فعاش مدافعا عن القيم التي يغرسها الإيمان مؤكدا أننا لن نستعيد رفعتنا إلا بها. "لكي نصل إلى مستوى عال للتربية المنشودة، يجب أن نصون أولا العقائد ونستبقي لها قداستها، فإن الإيمان بالله واليوم الآخر والطمأنينة المطلقة إلى ما جاء عن الله ورسوله أسس مكينة للتربية الكاملة، بل إن أنواع السلوك ترتبط بالعقيدة كما ترتبط العربات بالقاطرة الدافعة [1]

[1]_**كيف نفهم الإسلام**، مصدر سبق ذكره، ص16.

إن العقيدة المبنية على أسس سليمة مهتدية بالقرآن والسنة، المدركة لحدود العقل، هي التي تجعل الإنسان مرتبطا بعرى وثيقة تصل حياته بآخرته، ولذلك وجب الحرص على عدم ترك الفرصة لغيرها من العقائد تنمو وتمتد وسط فراغنا الروحي، وأزمتنا المنهجية في تناول وعرض قضايا الإيمان والعقيدة.

المبحث الثاني: محورية القرآن الكريم في الخطاب الدعوي

والأمية العقلية هذه، تسود الأمة في حال التقليد، والغياب الحضاري، والعجز عن تدبر القرآن، والتعامل مع الأحداث، واتخاذ المواقف، واكتشاف سنن الله في الأنفس والآفاق، وحسن تسخيرها، ومعرفة كيفية التعامل معها، والنفاذ من منطوق النص وظاهره إلى مقصده ومرماه. ـــــــــــــــــــ محمد الغزالي

كيف نتعامل مع القرآن ص14

من المسلّم به مركزية القرآن الكريم، ومحوريته بين مصادر التشريع الإسلامي، وأنه الأساس الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية، ومحرك العقل العربي والإنساني في صياغة المنظومة الفكرية والعقدية والأخلاقية والتشريعية التي عرفها الفكر الإسلامي مسيرة أربعة عشر قرنا من الزمان، وليس مبالغة قولنا: أن الحياة والحضارة الإسلامية ليست سوى الوجه الآخر للتفسير القرآني "وتطور العلوم الإسلامية جميعها إنما يبحث عنه في هذا النطاق: في نطاق القرآن نشأت، وفيه ترعرت، وفيه تطورت وواجهت علوم الأمم ـ تؤيدها أو تنكرها ـ في ضوئه"[1]

فأمة العرب قبل القرآن كانت غارقة في الجهل العلمي والأمية الحضارية، لا صلة لها بالمعرفة ولا بالعلوم، كما كان الشأن في بلادي فارس والروم، يصدق فيهم قول الحق سبحانه ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجُمُعَة:٢]

"يبدو لكل متتبع للتاريخ ما كانت عليه الامم قبل الإلام من جهل، وما وصلت إليه من الانحطاط في معارفهم وأخلاقهم، فكانت الهمجية سائدة عليهم، والغارات متواصلة فيما بينهم، والقلوب متجهة إلى النهب والغنيمة ، والخطى مسرعة إلى إصلاء نيران الحروب والمعارك وكان للعرب القسم الوافر من خرافات العقيدة، ووحشية السلوك، فلا دين يجمعهم، ولا نظام يربطهم"[2]، فجاء النص القرآني موجها العقول بوجوب التدبر والتفكر في الأنفس والآفاق، وداعيا إلى وجوب السير و السياحة في ملكوت السموات والأرض بحثا عن معالم الحق و الهدى، وطلبا للمعرفة و العلم. "سياحة منضبطة هادفة ليست للمتعة الفردية، ولا

[1] ــ علي سامي النشار **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، دار المعرف بمصر ط 5 1981 م ، ج1 ، ص295 .

[2] ــأحمد محمد النمر، **الخطاب القرآني**، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، الطبعة الأولى 2003 م ، ص 53 .

لقضاء الوقت بعيدا عن العمل ومتاعبه فقط، بل هي سياحة تفكر وتدبر وعبادة لله تعالى، و استكشاف لتجليات قدرته وحكمته و عزته ...وفيها تحريض على البحث العلمي القائم على الملاحظة التي تؤدي إلى استكشاف قوانين الخلق"[1]

وعلى توجيهات القرآن سار الرعيل الأول قراءة في الكون والآفاق، مهتدين بنور العلم و المعرفة المنتشر بين الأمم قبلهم، عملوا على الأخذ بأحسنها و أكملها لخدمة الرسالة السماوية الخاتمة ، و تحقيق شروط النهضة و معالم الشهود الحضاري ، و دخلت بهذا الوعي الجديد في دورة الحضارة الإنسانية بعد أن كانت خارج سياقها، فما دخل القرن الثاني إلا و الأمة الإسلامية في طليعة الامم من التقدم المعرفي و العلمي "ومع مرور الزمن تبدأ الحركة الثقافية بالظهور المتسارع في ساحة المجتمع الإسلامي، و أصبح في سنوات مخاضها منهمكة بتحويل ذلك الخطاب القرآني إلى واقع متجسد على الأرض، بالمزاوجة الشرعية والعقلية بين الثقافات المحيطة بالمجتمع المسلم وبين الثقافة الإسلامية الحديثة العهد وبالتعامل مع المعرفة بغض النظر عن مصدرها المخالف ما لم تختلف مع الثقافة القرآنية "[2].

فجهود محمد الغزالي كانت تهدف بالأساس إلى إعادة محورية القرآن الكريم في الفكر الإسلامي، و بعث دوره الحضاري في الراهن المعاصر" استدعاء القرآن العظيم للساحة الثقافية الإسلامية، وإنهاء حالة الهجر والفصام بينه وبين العقل المسلم، وجعله المصدر الأول والأهم للمسلم المعاصر، كما كان عند السلف، يرجع إليه ليستقي منه العلم والمعرفة الدقيقة السليمة في نظرته إلى الإنسان والحياة والوجود، في الفطرة الإنسانية والاجتماعية، في قضايا الفرد

[1]ـــ مأمون فريز جرار، **مع القرآن دراسات و نظرات**، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط 1 ، 2014م ، ص 61 .

[2]ـــ أحمد محمد النمر ، **الخطاب القرآني** ، ص 51

والأسرة والمجتمع، والعلاقات العامة."[1] فصلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان، تقتضى تفاعل العقل المسلم معه تدبرا و فهما و استيعابا، في محاولة تنزيل النص المقدس على الوقائع المتغيرة والأحداث المستجدة، اقتداء بالسلف الصالح في تاريخ الحضارة الإسلامية، في تعاملهم وتفاعلهم مع نصوص الوحي، ما يفسر ثراء المكتبة الإسلامية بكتب التفسير وتنوع مناهج التفسير وتعددها، كلها مقاربات ودراسات في فهم القرآن الكريم وتفاعلا مع آياته ، قصد تنزيلها على اختلاف الوقائع والأحداث.

والحاجة إلى تجديد المعارف القرآنية، وتجديد الصلة والتدبر في نصوص ومعاني القرآن الكريم في الراهن المعاصر ضرورة شرعية، و حتمية تاريخية لا مناص عنها، لتحقيق التكامل بين الوحي وبين المنتج المعرفي البشري، والإفادة منه في مختلف المجالات والتخصصات الاجتماعية والإنسانية، وفق شروط وأسس علمية تصل الماضي بالحاضر والتراث بالحديث دون قطيعة معرفية." لقد استمد العلماء معارف مختلفة من القرآن الكريم و استندوا إليه بأفهامهم، وعالجوه بطرائق مفهومية شتى، وذلك تبعا لحالات التطور الفكري في سياق التاريخ البشري ، فالذي يقرأ القرآن في إطار وحدته الكلية غير الذي يقرؤه قراءة انتقائية، تسلخ الآيات عن سياقها الكلي، كما أن الذي ينظر إليه قصصا وتشريعا وترغيبا وترهيبا، غير الذي ينظر إليه جامعا شاملا خالدا مجردا عن حدود الزمان والمكان، يغطي الوجود الكوني وحركته باعتبار أن القرآن هو المعادل الموضوعي في الوعي للكون وحركته وعلاقاته، وعبر استمرارية و تغيرات الزمان والمكان." [2]

---

[1] ـ محمد الغزالي ، **كيف نتعامل مع القرآن الكريم** ، الطبعة الاولى، دار الانتفاضة للنشر، مصر ص 5.

[2] ـمحمد الغزالي ،**كيف نتعامل مع القرآن**، ص 8 .

إن استدعاء القرآن لعلاج القضايا المعاصرة يستوجب تطوير وتجديد منهجية التعامل معه وإعادة مركزية النص القرآني في الفكر الإسلامي بوصفه مصدرا للعلوم الاجتماعية والإنسانية والثقافة والحضارة.

المطلب الأول: القرآن الكريم فهما وتنزيلا.

عن الإمام أحمد رحمه الله، قال: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال: "وذاك عند ذهاب العلم، قلنا يا رسول الله، كيف يذهب العلم ونحن قرأنا القرآن و نقرئه أبناءنا، وأبناؤنا يقرئون أبناءهم؟ فقال: ثكلتك أمك يا بن لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل في المدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى بين أيديهم التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيهما بشيء ؟"[1]

إن حفظ القرآن الكريم من التحريف اللفظي الذي عرفته الكتب السابقة، ضمنه الله للأمة الإسلامية ببقاء النص القرآني الكريم محفوظا في الصدور والسطور، لا يعتريه تحريف ولا يطاله تغيير، خالد خلود رسالة الإسلام ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجْر : ٩] وحفظ القرآن لفظا ومتنا لا يعني بالضرورة جمود نصوصه على معنى واحد أو تفسير واحد، فالقرآن ميسر لمختلف المستويات والفهوم، لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي أسراره، يتفاعل مع المتغيرات الزمانية والمكانية، يقرأه المسلم البسيط في فهمه وعلمه، فيستقي منه ما شاء الله له من العبر والحكم، ويقرأه العالم فيكشف له الله من الأسرار و الحكم و الأحكام ما شاء الله له أن يكشف، فالقرآن الكريم فيه المحكم الواضح البين، وفيه المتشابه الذي ترك الله فيه لعقل الإنسان وفكره حرية الفهم والتدبر وفق ضوابط ومناهج يعرفها الراسخون من العلم.

[1]ــ **سنن ابن ماجة**، كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، ح 4048.

بالعودة لواقع المسلمين اليوم في علاقتهم مع القرآن الكريم التي يغلب عليها الهجر والعقوق، يصدق فينا قول الله عز وجل ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البَقَرَةِ : ٧٨] ، أي لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة وترتيلا، وهذه العلل التي حذر منها القرآن الكريم عن سلوكات الأمم السابقة في تعاملها مع الكتب المنزلة عليهم، لم ترد في صيغة القصة العابرة، أو ذكر بعض التفاصيل التاريخية الماضية وفقط، بل جاءت في سياق التحذير من الوقوع في خطيئتهم، وأخذ العبرة والعضة من تعامل الأمم السابقة مع الأنبياء والمرسلين ومع الكتب السماوية المنزلة عليهم .

"والأمية العقلية هذه، تسود الأمة في حال التقليد، والغياب الحضاري، والعجز عن تدبر القرآن، والتعامل مع الأحداث، واتخاذ المواقف، واكتشاف سنن الله في الأنفس والآفاق، وحسن تسخيرها، ومعرفة كيفية التعامل معها، والنفاذ من منطوق النص وظاهره إلى مقصده ومرماه"[1]

فالمشكلة اليوم: هي في منهج تعامل المسلمين مع القرآن الكريم، من التدبر في معانيه وفهم مقاصده وغاياته الكبرى، إلى التلاوة السطحية المجردة عن الوعي، المغيبة للعقل والقلب، تغلب عليها الاهتمام بالحرف على حساب المعنى، والتركيز على القضايا الفرعية لبعض الأحكام الشرعية، وإهمال القضايا الكبرى في مجال السياسية والمجتمع والنفس والمشكلات الحضارية، أصبح القرآن من خلالها لا يستدعى إلا في حالات الاحتضار والموت، أو في زيارة المقابر في قراءات لا تتجاوز الشفاه، يصدق فينا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "سيخرج في آخر

[1] ـ **كيف نتعامل مع القرآن**، مصدر سابق ص 14.

الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .."[1]

وإلى نفس المعنى أكد مالك بن نبي على وجوب تطوير فعالية العقل المسلم في تعامله مع نصوص القرآن حسب التطور الإنساني في شتى حقول المعرفة الإنسانية:" إذ أنه بقدر ما تتطور معارفنا حول الطبيعة والنفس الإنسانية، وكلما اكتسبنا سببا جديدا يحملنا على أن نرى الأشياء من زاوية مختلفة، فإن ذلك يدعونا إلى أن نضع المشكلات حين ندرسها بما يتفق و هذا الجديد مع واقع العلم. والمسألة القرآنية لا ينبغي لها أن تخرج عن هذه القاعدة."[2]

إن اتساع المعرفة وتنوعها، وتعدد المصادر المعرفية، بالنسبة للمفسر أو المشتغل بالدعوة، المتفاعل مع نصوص القرآن الكريم، تفتح أمامه آفاقا جديدة ورحبة لفهم القرآن الكريم بشكل متجدد، يرى من خلالها أسرار الكتاب الخالد في النفس والآفاق، في الحِكم والأحكام ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [فُصِّلَت : ٥٣]

فالقرآن الكريم تعهد الله عز وجل بحفظه من التحريف الحرفي، و ترك لعقل المسلم بعدها واسع النظر في فهمه واستيعاب نصوصه بما يتناسب مع التطور الإنساني، استيعاب تحفظ فيه الأصول والمقاصد الكبرى التي رسمها، ومرونة في التفاصيل الحياتية للإنسان، وهذا ما يعكس خلود الرسالة الخاتمة وصلاحيتها لكل زمان ومكان. لذا ينصب الجهد الذي على

[1] ـ **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، ح1769.

[2] ـ مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، دار الفكر، دمشق سوريا ،سنة 2000، ص10-11.

الدعاة بذله اليوم في التعامل مع القرآن الكريم، هو محاولة الفهم المتجدد في تنزيل النص على الواقع والابتعاد عن التقليد والتكرار بغير وعي لمن سبق من سلف علماء الأمة السابقين.

"والجهود فيما نرى اليوم يجب أن تنصب على منهج الفهم، وإعادة فحص واختبار المناهج القائمة التي أورثتنا ما نحن عليه، والتحرر من تقديس الأبنية الفكرية الاجتهادية السابقة التي انحدرت إلينا من موروثات الآباء والأجداد والمناخ الثقافي الذي يحيط بنا منذ الطفولة، ويتسرب إلى عقولنا فيشكلها بطريقة التفاعل الاجتماعي"[1]

وبلا شك أن التقليد لاجتهادات السابقين مع حفظ جهودهم واجتهاداتهم لعصرهم وزمانهم، عطل على اللاحقين ملكة العقل والتدبر في أسرار القرآن الكريم، وفوت على الأمة فرصة الاستفادة والإفادة من نصوص القرآن الكريم في مختلف المجالات.

"الأمر الذي أدى إلى انكماش الفكر والرؤية القرآنية في واقع حياتنا، وتحول القرآن من مراكز الحضارة وصناعة الحياة، إلى الركود والتحنط في بطون التاريخ التي تشكلت في عصور التخلف والتقليد والتي حالت دون إدراك أبعاد النص القرآني، والقدرة على تعديته للزمان والمكان"[2]

إن سبب ترك الاجتهاد في تجديد الفهم لنصوص الوحي، هو التوهم بأن ما قدمه السابقون في فهمهم واجتهادهم هو نهاية الاجتهاد والفهم، وأنه ليس في الإمكان أفضل مما كان، وأنه ما ترك الأولون للآخرين من شيء يجتهدون فيه، بالإضافة للتوجس والخوف من الخروج عن مسار فهم السلف أو الخوف من الخطأ، على الرغم من الدعوات المتكررة في القرآن الكريم بضرورة بذل الوسع لاستيعاب نصوص الوحي، وإعمال الفكر في آيات القرآن الكريم تدبرا وفهما،

[1] _ **كيف نتعامل مع القرآن** ،مصدر سابق ص 16.

[2]_ **المصدر نفسه**، ص 17.

واجتهادا في التفسير والتحليل، وأن المجتهد في كل الأحوال له أجر عند ربه مصيبا كان أو مخطئا."إن الدعوة إلى محاصرة العقل، والحجر عليه، وقصر الفهم والإدراك والتدبر على فهوم السابقين، هو الذي ساهم بقدر كبير في الانصراف عن تدبر معاني القرآن، وأقام الحواجز النفسية المخيفة التي حالت دون النظر، وأبقى الأقفال على القلوب، وصار القرآن تناغيم، وترانيم. وبدل أن يكون الميراث الثقافي وسيلة تسهل الفهم، وتغني الرؤية، وتعين على التدبر، أصبح عائقا دون هذا كله.."[1]

انسحبت بهذا الخلل في الرؤية والفهم، قدسية القرآن الكريم إلى تقديس أقوال العلماء وفهومهم، وهذه مشكلة أخرى من مشكلات العقل المسلم والفكر الإسلامي التي يجب إعادة النظر فيها، وإزاحة عقباتها من طريق خطاب الدعوة الإسلامية المعاصرة، وفتح الآفاق أمام العقل فهما وتدبرا في القرآن الكريم. "فالمشكلة المستعصية في اختلاط قداسة النص ببشرية التفسير والاجتهاد لذلك النص، وإدراك مرماه، حيث عد رأي الشيخ أو المتبوع في تفسير نص ما أو فهمه، هو الأمر الوحيد، والممكن، والمحتمل، والأكمل لمدلول النص، وصار أي رأي أو احتمال آخر، خروجا عن الإجماع، أو نوعا من الابتداع."[2]

إن قداسة الوحي لا تنسحب بالضرورة إلى المفسر المجتهد مهما علا شأنه، وتبقى اجتهادا محكوما عليه بالبشرية، والظرفية الزمانية المكانية التي يؤخذ منها ويرد، ولا عصمة إلا لله ورسوله .

---

[1] _**المصدر نفسه**، ص 19.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص 19.

المطلب الثاني: الوعي المعرفي في قراءة الوحي

تعددت مناهج دراسة وتفسير القرآن الكريم من مدرسة إلى أخرى على حسب المجال والتخصص الذي اهتمت به كل مدرسة وتبعا للخلفية المعرفية للمفسر، فمن المدرسة الأصولية ودقة ضبطها في مسائل التشريع والأحكام، إلى مدرسة التربية والتزكية في مجال بحثها عن الأخلاق والآداب، واستحضار جلال وهيبة الله، إلى المنهج الفلسفي ودوره في الدفاع الفكري عن الرسالة الإسلامية أمام تحديات الفلسفة اليونانية والشبهات التي واجهت الفكر الإسلامي حينها ."هناك مدارس في التفسير، متعددة في فهم القرآن، تشكل في مجموعها طرائق السلف ومسالكهم في التناول والفهم، ولقد جاءت هذه المدارس في ضوء تحقيق أهداف بلاغية لغوية أو فقهية أو كلامية أو صوفية، أو فلسفية تربوية. كيف يمكن الإفادة منها والتعامل معها اليوم"[1]

فالحضارة الإسلامية، والمعارف التي تشكلت عبر تاريخها في مختلف العلوم والمجالات، وخاصة المتعلقة بكتاب الله فهما وتفسيرا، أحكاما وتشريعات، كانت ولازالت تتطور من عصر لآخر، وهذا شأن جميع العلوم والتخصصات العلمية أو الإنسانية أو الاجتماعية، كل واحد منها يعرف يوما بعد يوم زيادة في التخصص وتعمقا في الفرعيات، وأيا كان فعلى المتخصص في الفروع أن لا يغفل عن الأصول، والمتفرع في الجزئيات أن لا يتيه عن الكليات، والمتشابه ظني الدلالة من نصوص الوحي يرد إلى المحكم قطعي الدلالة "والنظرة الشاملة الآن بدأت تفرض نفسها على الثقافة الإنسانية، وفي الوقت نفسه وسعت شعب التخصصات على أساس خدمة النظرة الإنسانية العامة .. في الطب مثلا تجد طبيبا متخصصا في العيون، وآخر في القلوب، وثالث في الأنف والأذن والحنجرة، فالشيء الواحد بدأ يتفرع إلى تخصصات، لكن الأساس كله:

---

[1]ـ **المصدر نفسه**، ص 36.

لابد من دراسة الإنسان من قبل ومن بعد، لأنه لا معنى للتخصص قبل الشموليات، فالتخصص هو: معرفة جزء من كل، لكن هذا الجزء لا ينظر إليه مبتورا و منفصلا عن موضوعه "[1]

انتهى محمد الغزالي بعد تدبر وتأمل في القرآن الكريم، إلى أن معانيه تدور حول خمسة محاور أساسية تكاد تستوعب معطيات الوحي بكل شموليته واتساعه.

والمتأمل في هذه المقاصد التي رسمها الشيخ الغزالي على أنها القضايا الكبرى التي نزل النص القرآني على تأكيدها، وبيان أهميتها، يجد أنها تحمل أبعاد حضارية كبرى، وكان يرى أنها كفيلة بتغيير أوضاع الأمة إذا ما تم تفعيلها، بتحقيق وحدة التصور حول القضايا الإنسانية أولا، ثم القضايا الإسلامية ثانيا، ضمن إطار مرجعي قرآني جامع، وذلك من خلال إعادة القرآن الكريم إلى مركز الدائرة في ثقافة المسلم المعاصر ليستعيد عافيته ويسترد القرآن دوره في إنارة الحياة الإنسانية، واستجابته المتجددة العطاء، كما استجاب لما كان من حالات تاريخية سابقة، ولا يزال مستمرا باتجاه المستقبل قادرا على العطاء الروحي والمعرفي الدائم "إنه كتاب الحياة المفعمة بالحركة المتجددة على الدهر، ولكنها الحياة القائمة على الحق، الدارجة على الصراط المستقيم"[2]

وأهم هذه الأبعاد التي ارتكز عليها محمد الغزالي في مدارسته مع القرآن الكريم: البعد الإيماني، البعد العملي، البعد السنني، البعد التربوي، بالإضافة للبعد العمراني الذي يحقق للامة الشهود الحضاري، ويعيد تفعيل نصوص الوحي الخالد في مضامين الحياة الإنسانية.

---

[1] ــ طه جابر العلواني ، **مقدمة كتاب كيف نتعامل مع القرآن لمحمد الغزالي** ، ص 38.

[2] ــمحمد الغزالي، **المحاور الخمسة في القرآن**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة طبعة 6 ـ 2005 ص 7.

الفرع الأول: المقاصد القرآنية النشأة و المفهوم.

صحيح أن المقاصد كعلم قائم بذاته في العلوم والمعارف الإسلامية، تطور كغيره من العلوم و المعارف الأخرى عبر التاريخ الإسلامي، لكن في جوهر العلم والعمل به ظل حاضرا طيلة مسار الحضارة الإسلامية، ويمكن التأكيد بأن هذا العلم واكب الدعوة الإسلامية من مهدها الأول، لم ينفصل عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من بعده، ولا عن العصور التي تلتهم من اجتهادات الفقهاء والعلماء العاملين في شتى حقول المعرفة الإسلامية، إذ كان فقههم فقها مقاصديا يولي بالغ عنايته لحِكم الشريعة وعللها، وعليه بنو اجتهاداتهم، على قاعدة أن لكل حكم من أحكام الشريعة مقصد وغاية، يمكن فهمه على سبيل الإجمال إن غابت في عصورهم التفاصيل الدقيقة، "فمقاصد الشريعة ومعرفتها ومراعاتها ليست شيئا اكتشفه اللاحقون أو ابتكره المتأخرون، بل هو من صميم الدين من أول يوم ومن أول فهم "[1]

وأشار إلى هذا الرأي، الإمام الشاطبي في موافقاته، تأكيدا على أن علم المقاصد ليس بدعة طارئة في التاريخ الإسلامي بقدر ما هو خاصية من خصائصه، عليه ارتكزت كل أحكام الشريعة، وإليه ترد كل أصول الدين وفروعه، " فإنه بحمد الله أمرٌ قررته الآيات و الأخبار، وشد معاقده السلف الأخيار، ورسم معالمه العلماء الأحبار، وشيد أركانه أنظار النظار، وإذا وضح السبيل لم يجب الإنكار، ووجب قبول ما حواه، والاعتبار بصحة ما أبداه والإقرار"[2]

---

[1] _احمد الريسوني، **البحث في مقاصد الشريعة نشأته و تطوره و مستقبله**، ندوة مقاصد الشريعة عند المذاهب الإسلامية، لندن 2005. ص32.

[2] _ ابراهيم بن موسى الشاطبي ، **الموافقات** ، دار ابن عفان القاهرة ، ط 1 ،1997م ، ج 1ص25.

فالأصل في علم المقاصد أنه ومنذ عصر النبوة، والبداية الأولى لدعوة الإسلام كان ولا يزال حاضرا متفاعلا مع أحكام الدين والشريعة الإسلامية، وعليه مدارها، لإبراز الغايات الكبرى التي جاءت لتحقيقها، وهو العلم الذي يتم من خلاله إبراز علل الأحكام، وإثبات معاني العدل والرحمة والحكمة و المصلحة التي تتضمنها " في تسلسل عجيب، جعل بعضها يدخل في بعض، حتى اجتمعت حِكمها في الكليات الخمس المشهورة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، ثم رتبوا هذه الكليات الخمس حسب الأهمية، بحيث تقدم الأهم عند تعارضها، فيضحى بالمال لحفظ العرض، وكل ما قِبَلَه، ويضحى بالنفس لحفظ الدين، ولا يجوز أن يضحى بالدين لحفظ المال."[1]

وقد أسهم الكثير من علماء الأمة عبر التاريخ الإسلامي الطويل في خدمة هذا العلم وتطوره، ولعل أشهرهم إمام الحرمين الجويني[2]، والإمام أبو حامد الغزالي[3]، والإمام العز بن عبد السلام[4]، والإمام الشاطبي[5]، والعلامة ابن عاشور[1]، وغيرهم ممن خدموا هذا الحقل المعرفي

[1] ــ محمود احمد الزين ، **القرآن إعجاز تشريعي متجدد** ، دار البحوث للدراسات الإسلامية ، 2004 ، ص 35

[2] ــيعتبر كتاب "**البرهان في أصول الفقه** " للإمام عبدا لله الجويني (ت 487هـ) انطلاقة لنظريات المقاصد ، و محطة بارزة في مسيرة علم الأصول و علم المقاصد ، و ريادة الإمام الجويني في موضوع المقاصد تتجلى في كثرة ذكره لها و تنبيهه عليها ، فقد استعمل لفظ المقاصد و المقصود و القصد ، في كتاب البرهان و عبر عنها أيضا بلفظ الغرض و الأغراض .

[3] ــأبو حامد الغزالي (ت 505هـ) : هو تلميذ الإمام الجويني الذي تميزت كتاباته في المقاصد بالوضوح ، و استقرت على يده المقاصد الخمسة بأسمائها المعروفة اليوم ، حفظ الدين و النفس و العقل و النسل و المال ، و أشهر كتبه في هذا الفن " **شفاء العليل** " و كتاب " **المستصفى** "

[4] ــ الإمام العز بن عبدا لسلام (ت 660 هـ) : اشتهر بكتابه الفريد " **قواعد الأحكام في مصالح الأنام** " الذي يعتبر إضافة كبيرة في علم المقاصد ، و هو كتاب في الموازنة و الترجيح بين المصالح و المفاسد و جعل فيه المصلحة هي مقصود الشرع .

[5] ــ إبراهيم من موسى الشاطبي (ت 790هـ) : و إليه يرجع الفضل في تطور علم المقاصد ، و تقرير قواعده بشكل واضح و في الغالب لا تذكر مقاصد الشريعة إلا مقرونة باسمه ، و قد اشتهر بكتابه " **الموافقات** " ربط فيه اصول الفقه

المهم في رسم التصور الإسلامي الكلي، المرتبط بالأهداف والغايات الكبرى لمختلف القضايا الشرعية والأخلاقية والحياتية بشكل عام.

وتفرع عن علم المقاصد علم فرعي آخر يهتم بالمقاصد القرآنية، لم تتشكل كل معالمه و أبعاده بعد، لكن الدراسات حوله تزداد يوما بعد يوم، لأهميته وقيمته المعرفية، عرفه البعض فقال: " مقاصد القرآن هي: مجموع المعاني والحِكم والغايات العليا المنثورة في ثنايا السور والآيات والفواصل والأجزاء والأحزاب القرآنية التي تشكل مراد الله ـ عز و جل ـ من إنزاله القرآن الكريم على المكلفين في الدارين"[2] وعرفه آخر بأنه "القضايا الأساسية و المحاور الكبرى التي دارت عليها سور القرآن و آياته ، تعريفا برسالة الإسلام ، و تحقيقا لمنهجه في هداية البشر "[3]

وذكر الإمام الشاطبي أهمية النظر ابتداء في المقاصد القرآنية لأن القرآن هو المصدر الأول للمعرفة، وإليه تعود الأصول والغايات التي يهدف الدين لتحقيقها في حياة الناس، فقال " فمن فهم مراد الله تعالى من كلامه لم يتجرأ عليه بالتحايل تبديلا وتغييرا، وكذلك من وقف مع مجرد الظاهر غير ملتفت إلى المقاصد، فإنه يكون قد قصر في فهم مراد الله، وكذا ما

بأسرار التشريع فكان له اتجاه مستقل في تقرير أصول الفقه ، أضاف من خلالها ثورة من القواعد المقاصدية جمع بها مسائل هذا العلم ، و أصل قواعده و حقق مباحثه .

[1] _محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393 هـ) : شكل كتابه " **الموافقات** " بداية الاهتمام بعلم المقاصد في العصر الحديث و كان بمثابة الولادة الثانية للشاطبي ، و أخذ علم المقاصد بعده حيزا كبيرا من اهتمام العلماء و الباحثين من خلال الحديث عن مقاصد الشريعة و حكمتها و أهدافها و أهميتها في صياغة الفقه الإسلامي الحديث الذي يستجيب لمتطلبات العصر و تحدياته .

[2] _ محمد المنتار، **الإدراك المقاصدي محدد من محددات تدبر القرآن الكريم**، ص 7.

[3] _ ثامر مفتاح، **مقاصد القرآن الكريم عند الشيخ ابن عاشور** ، مجلة كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية جامعة قطر، العدد 29 ،2011، ص 24.

ابتدعه المشبهة والمعطلة في آيات الصفات، يعود إلى هذا الخلل في فهم مقاصد القرآن، ومراد الله من خطابه"[1]

لأجل هذا تساءل الشيخ الغزالي عن إمكانية تعميم المنهج الأصولي في استنباط الأحكام الفرعية، لإدراك المقاصد الكلية، والغايات الكبرى التي تنتظم شؤون الحياة، من خلال القراءة الواعية والكلية للنصوص القرآنية.

"فمثلا هل يمكن اعتماد منهج علماء الأصول في النظر والاستنباط ؟ ومباحث دلالات الألفاظ، كمنهج شامل يمكن تعميمه على إدراك الأبعاد المتعددة في الخطاب القرآني، التي تستوعب كلمة الفقه للآيات بالمعنى الشامل مثل: الفقه الدستوري، والإداري، واكتشاف سنن التسخير، والتعرف على شروط نهوض الأمم وسقوطها وتحديد أبعاد الاعتبار بأحوال الأمم السابقة، وقوانينه، وتحديد علل التدين، وبيان أسبابه النفسية، والاجتماعية، وما يمكن أن تحقق من مقاصد ومغزى في القصص القرآني "[2]

وللقرآن الكريم نسق في عرض مختلف المواضيع وربطها بأهداف وغايات، لا يحس معها المتدبر في معانيها وهو ينتقل من آية لأخرى بتفكك في وحدة المضمون، أو انقطاع في ترابط المعاني، بل هناك نسيج وثيق بين السور والآيات، كلها تخدم الغايات والمقاصد الكبرى للشريعة الإسلامية الخالدة.

[1] ــ إبراهيم بن موسى الشاطبي، **الاعتصام**، مكتبة التوحيد القاهرة ، ج 2، ص 24.
[2] ــ **كيف نتعامل مع القرآن**، مصدر سابق ، ص15.

الفرع الثاني: أهمية المقاصد القرآنية في الخطاب الدعوي .

المتتبع لفكر الشيخ الغزالي من خلال كتبه وتراثه العلمي، يلحظ مدى اهتمامه بالمقاصد القرآنية الكلية، ولعل من أهم أسباب بروز الاتجاه المقاصدي عنده، فقهه العميق بواقع الأمة الإسلامية، وانخراطه في هموم مجتمعاتها بمختلف أبعادها الفكرية والسياسية والاجتماعية، ومن ثم تميزت فلسفة المقاصد القرآنية في فكره ببعدها الكوني والشمولي، وارتبطت بمنهجه في الدعوة والتغير و البناء الحضاري، فمقاصد القرآن عنده مرتبطة أشد الارتباط بكيان الأمة ومصير الإنسانية أكثر من ارتباطها بالفرد الذي هو محل اهتمام مقاصد الشريعة، على أهميتهما معا" فمقاصد القرآن أعم ومقاصد الشريعة أخص، لأن مقاصد الشريعة مرتبطة بالفرد الواحد، ودائرة في نطاقه باعتبار فردية التبعة، ومسؤولية التكليف، ولكن الحديث عن مقاصد القرآن متعلق باعتبار الإنسان الخليفة، والإنسان الجماعة، والإنسان الدولة "[1] وربط الفرد فكرا وروحا برؤية إنسانية كونية، أساسها القرآن الكريم، لبنة مهمة لروح الحضارة الإسلامية المعاصرة وفلسفتها، في مواجهة فلسفة الأنا الغربية، منزوعة القيم والأخلاق، والتي تدعي "نهاية التاريخ "[2] والرقي الإنساني عند أفكارها وفلسفتها التي تقدمها كنموذج للبشرية .

---

[1] ـ زياد خليل محمد ، **مقاصد القرآن في فكر النورسي** ، حولية كلية الشريعة و القانون و الدراسات الإسلامية ، جامعة قطر ع 21 سنة 2003م ص 353 .

[2] ـ **نهاية التاريخ والإنسان الأخير**: هو كتابٌ فَلسَفيٌّ اِجْتماعيٌّ، من تأليف العَالِم والفيلسوف السياسي الأميركي – فرانسيس فوكوياما– نشر سنة 1992م ، وأُطْروحَتهُ الأساسيَّة أن الديمقراطيَّة الليبراليَّة بقِيَمها عن الحرية ، الفردية ، المساواة، السيادة الشعبية، ومبادئ الليبرالية الاقتصادية، تُشَكِّلُ مرحلة نهاية التطور الأيديولوجي للإنسان وبالتالي عولمة الديمقراطية الليبرالية كصيغةٍ نهائيةٍ للحكمة البشرية .

ومن هذا المنطلق يمكن معرفة ضرورة الاهتمام بالمقاصد القرآنية في اجتهادات علماء الإسلام ودعاته المعاصرين، لتنزيل القيم الإسلامية وتطبيقاتها في الواقع الإنساني الحديث، وصياغتها بلغة العصر ومفاهيمه، بتناول الموضوعات التي شغلت الساحة الفكرية الإنسانية، كالحديث عن حقوق الإنسان، والحرية، والعدل، وقضايا المرأة وغيرها من القضايا في مختلف المجالات ذات الأهمية التي تخدم المجتمعات والأفراد على حد سواء، وكل ما له صلة ببناء الحضارة والعمران وخدمة الإنسان .

فالخطاب القرآني لم يقتصر على القضايا التعبدية والفقهية الفرعية فقط، بقدر ما كان شاملا لكل ما يسمو بحياة الإنسان في هذه الوجود "ما ورد في القرآن من الألفاظ والمعاني لم يأت عبثا ولم يقتصر على ترشيد حياة الفرد الإنساني وصلاحه في الدنيا والآخرة و حسب، وإنما كان بالإضافة إلى ذلك يعالج قضايا الحرية والعدل في حياة المجتمع والأمة، ويستهدف بناء الحضارة والعمران وحفظ نظام العالم "[1]

وما يتعرض له المسلمون اليوم من ضغوط داخلية وخارجية، تهدد خصوصيتهم الحضارية وتضغط عليهم من النظام العالمي محنة، يمكن استثمارها كمنحة لمراجعة تراثنا، والأفكار التي حجبت عنا الرؤية العالمية لمعاني القرآن الكريم، وحقائق الإسلام الكبرى، بإعادة صياغة رؤية مقاصدية قرآنية، تحقق شعار صلاحية الإسلام وخلوده لكل زمان ومكان.

"بحيث يكون القرآن الكريم ومقاصده ومفاهيمه الأساسية المحكمة هي الحكم في قبول ما سوى القران الكريم من النصوص والاجتهادات والتأويلات، ونسد بذلك ـ على أساس من

[1] **_مجلة إسلامية المعرفة**، هيئة التحرير ، عدد 89، 2017، ص 05.

روح الشريعة ـ كل باب يتأتى منه الخلط والتشويه، والانحراف عن مقاصد القرآن الكريم ورؤيته الكونية، ويكون مشجبا للخرافة والشعوذة والتلوث الفكري والثقافي"[1]

زيادة على ذلك فإن مراعاة المقاصد القرآنية تضيف على تفسير النص القرآني حيوية وفعالية، فبمقدار معرفة المفسر بالمقاصد يكون إدراكه للغايات الكبرى من الخلق والوجود، وتنزيله لآياته على الواقع المعاش، واستنباطه للحكم والأحكام، وهدي القرآن في التعامل مع النفس البشرية كما أنها تعصمه:" من شطط التأويل، وزيغ الفهم، وانسداد الأفق، ولذلك جاء النعي على أقوام أعرضوا عن التدبر، فإذا هم في غفلة عن الأسرار وشغل عن المقاصد ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [مُحَمَّد : ٢٤]"[2]

والمقصد القرآني يمكن أن يكون حلا للأزمة المعرفية التي يعيشها العقل المسلم في تعامله مع نصوص القرآن أو نصوص السنة النبوية المطهرة أو تراث الحضارة الإسلامية بصفة عامة، عن طريق بناء منهجية ورؤية جديدة، تهتم بالكليات وتلحق بها الجزئيات، تراعي الأصول دون تفريط، وتهتم بالفروع دون إفراط. "إن المقاصد القرآنية العليا الحاكمة سوف تخرج الفقيه من دائرة النظر الجزئي إلى دائرة النظر الكلي والفقه الأكبر، وذلك يعطيها من المرونة والسعة ما يجعلها قادرة على استيعاب أية مستجدات، وتحقيق مصالح البشرية، وسد الذرائع بوجه المفاسد، التي ترزخ كثير من الشعوب تحتها وتبرز خصائص الشريعة القرآنية، وتؤصل لفقه قرآني نبوي سليم يستوعب مشكلات الأقليات والأكثريات معا بإذن الله"[3]، وبهذا نتبين

---

[1] _عبدالحميد أبو سليمان ، **حوارات منهجية في قضايا نقد متن الحديث الشريف** ، مجلة اسلامية المعرفة ، عدد 39 ، سنة 2005 م ، ص 251، 252

[2] _محمد المنتار، **الإدراك المقاصدي محدد من محددات تدبر القرآن** ، المؤتمر العالمي لتدبر القرآن الكريم، الدوحة 2013 م ، ص 02

[3] __زينب العلواني ، **مراجعات في تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين** ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ص 46.

الأهمية المعرفية والحضارية للمقاصد القرآنية، في تشكيل وبناء التصور الكوني للقيم والرؤية الإسلامية للحياة.

المطلب الثالث: المقاصد القرآنية أساس الخطاب الدعوي المعاصر

الفرع الأول: القرآن الكريم رؤية مقاصدية

رؤية القرآن شاملة تعكس الأبعاد الكبرى للرسالة الإسلامية، وتضع أمام المؤمن بها والمتشبع بقيمها قاموسا من القيم والأخلاق يغرف منها، ويستنير بضوئها طرق الخير ودروب النجاة. وهذه الرؤية لم ينقطع عن الأجيال خيرها ولا توقف عطاؤها للإنسانية " كل جيل استطاع من خلال كسبه العلمي أن يقرأ هذه الآيات فيدرك فيها أبعادا لم يدرها من سبقه، ونخشى إذا قلنا مع من يقول بأن القرآن أُدرك كله في جيل معين فقط، أن نحاصر القرآن و نلغي وجوده"[1]، فالفهم الصحيح العميق لأسرار القرآن يتوقف إلى حد بعيد على إدراك مقاصده، إذ لا يمكن فهم الدين فهما صحيحا بعيدا عنه، والقراءات الجزئية والحرفية للنص القرآني عجزت عبر تاريخنا الطويل عن الكشف عن هذه الأبعاد والكليات والغايات القرآنية.

وأغلب الاجتهادات الإسلامية المعاصرة تؤكد على أهمية المقاصد القرآنية، وتُجمع على أن هذا الأمر تقتضيه طبيعة الدين، والرسالة الخاتمة التي تطرح نفسها وحيا معصوما يقدم للإنسان في كل زمان ومكان منظومة متكاملة من القيم و التشريعات التي تستوعب ما يطرأ على حياة البشر من تغييرات، وما يعتريها من حاجات متجددة، وتكفل له التوجيه الشرعي لكل جهوده ومساعيه، شرط بذل الوسع في الفهم والوعي بكلياتها، والتزام المنهج الأمثل في المقاربة بين النص ومقاصده والوقائع المتغيرة، فالأصل في النص القرآني أنه روح تحررية تقدمية،

---

[1] ــ **كيف نتعامل مع القرآن**، مصدر سابق، ص 206.

ترفض السكون والسلبية، وتحارب الجمود، وتدعوا إلى بناء الحضارة والانفتاح على الكسب الإنساني في شتى مجالات الحياة.

إن القرآن الكريم هو الأساس الأول، والركيزة المتينة لبناء خطاب إسلامي ودعوي معاصر، ينضبط به بين طرفي نقيض: انحلال عن قيمه وتعاليمه، أو تطرف ومغالاة في فهمه وتطبيقه.

يقول ابن عاشور:" بهذا نستدل على أن إصلاح التفكير من أهم ما قصدته الشريعة في إقامة نظام الاجتماع من طريق صلاح الأفراد، و بهذا نفهم وجه اهتمام القرآن باستدعاء العقول للنظر والتذكر و التعقل والعلم و الاعتبار، وأن ذلك جرى على هذا المقصد فأنبأنا الاستقراء عن اهتمامه به والإفصاح عنه"[1] .

فالعقل في القرآن مستهدف بالبناء والتنمية من خلال استثارته، والدعوة لإعماله وفق ضوابط مقاصدية، بهدف ترشيده وترسيخ جملة من المبادئ والقيم الحية التي تنهض به، و تجعله في سلم الإرتقاء الحضاري والإنساني.

يقول أحمد الريسوني:" إن من تزكية الإنسان تزكية عقله، بتنميته وترشيده وتشغيله. وهذا ما فعله الشرع، حيث عمل على تحرير العقول وإطلاقها من قيودها، ورفع عنها ما كان يعطلها من أوهام وخرافات وطعمها بقيمه وأحكامه ثم ترك لها المجال واسعا لتعمل وتتزكى وهذا وجه آخر من وجوه حفظ العقل، فحفظ الشريعة للعقل ليس منحصرا في تحريم المسكرات والمعاقبة عليها، فكم من عقول ضائعة وهي لم تر ولم تعرف مسكرا قط ولكن أسكرها الجهل والخمول، والتعطيل، والتقليد، وعلى هذا فإن إعمال العقل وفسح المجال له،

[1]ــ محمد الطاهر بن عاشور، **أصول النظام الإجتماعي**، دار النفائس ، عمان، ط 1 ، 2001م، ص90.

ليس فحسب مساعدا على تقدير المصالح وحفظها، بل هو مصلحة من المصالح الضرورية، لأن في حفظه إعمالا له."[1]

والخطاب الدعوي لا يمكن تنميته إلا عن طريق تغذية العقل بالفكر الصالح النافع، من خلال جملة من المبادئ والقيم المقومة للسلوك الانساني وفي مقدمة هذه الروافد المغذية للعقل هو الدرس المقاصدي الذي يخص ترقية الخطاب الدعوي، والسمو بمستوى الحوار الداخلي بين المسلمين، والخارجي بينهم وبين غيرهم.

إن المطالع لكتب الغزالي وإنتاجه الفكري لا يفوته اهتمامه البالغ بمقاصد القرآن، والآمال الكبيرة التي يعلقها عليها، والمشاريع المستقبلية التي يرجوا أن يسهم علم مقاصد القرآن في إنجاحها لتوسيع آفاق النظر ومدارك الإبصار في الكون والإنسان "لابد من قراءة القرآن قراءة متدبرة واعية تفهم الجملة فهما دقيقا، ويبذل كل امرئ ما يستطيع لوعي معناها، وإدراك مقاصدها، فإن عز عليه سأل أهل الذكر."[2]

الفرع الثاني : المقاصد القرآنية ضرورة حضارية

تُجمع الاجتهادات الإسلامية المعاصر على أهمية المقاصد القرآنية من أنها ضرورة تقتضيها طبيعة الدين والرسالة الخاتمة، التي تطرح نفسها وحيا معصوما يُقدم للإنسان منظومة متكاملة من القيم والتشريعات التي تستوعب كل ما يطرأ على حياة البشر من تغيرات، وما يعتريها من حاجات متجددة وفق منهج يلتزم المجتهد بضوابطه في مقاربة هذه المقاصد مع واقع الإنسانية المعاصر.

---

[1] ــ احمد الريسوني ، **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي** ، ص 258.

[2] ــ**كيف نتعامل مع القرآن**، مصدر سابق، ص 26.

وينطلق محمد الغزالي من هذه الدعامة لإثبات أن الدرس المقاصدي مطلب شرعي من كون النص القرآني نصا مفتوحا، متجدد العطاء قادرا على تقديم رؤية شاملة تعكس الأبعاد الكبرى للرسالة الإسلامية، والفهم الصحيح والعميق لأسرار القرآن إنما يتوقف على مدى إدراك هذه المقاصد.

ويعيب الغزالي اعتماد بعض المدارس الإسلامية قراءتها الجزئية الموضعية للقرآن الكريم، واستغراقهم في إيضاح جانب منه، وإهمال جوانب كثير لها أهميتها ودورها الحاسم في صياغة وترشيد التصور الإسلامي، مشيرا إلى أن هذه القراءة الجزئية قد جعلت الخطاب الإسلامي عاجزا عن التفاعل الإيجابي مع المتغيرات، نتيجة ضمور التصور الشامل فيقول "والنظرة الجزئية التي سادت الفكر الإسلامي نشأ عنها ما يشبه الجسم المشلول في بعض أطرافه، أو في بعض أجهزته مع بقاء الأجهزة الأخرى حية... إنه لا يستطيع أن يؤدي وظيفة ما دام الشلل أو الخطر قد جمد بعض الأجهزة أو بعض الأعضاء"[1]

كما أكد على ضرورة الانتقال من الاهتمام بالشكل إلى الاهتمام بالمضامين، من التركيز على القراءة والتغني بالقرآن إلى المعاني والأسرار والحكم والغايات فيقول:" وجدنا الامة الإسلامية عندما هجرت كتابها، أو على الأقل أخذت تقرأه على أنه تراتيل دينية، فإنها فقدت صلتها بالكون... وكنا نعتبر الخطأ الكبير فقط ألا يمد القارئ المد اللازم خمس أو ست حركات، أو لا يغن الغنة، أو لا يخفي الإخفاء، وكل ذلك يمكن أن يكون وسائل لحماية الأداء القرآني ليكون محلا للنظر والتدبير، أما وعي المعاني وإدراك الأحكام، من خلال تشرب معاني القرآن فقد اختفى من نفوسنا"[2]

[1] _ **المصدر نفسه** ، ص 72.

[2] _**كيف نتعامل مع القرآن**، مصدر سابق ،ص 29.

وعلى هذا الأساس دعا محمد الغزالي صراحة إلى العودة المباشرة إلى النص القرآني وتجاوز القراءات التاريخية الحرفية والمذهبية، التي أُسر النص القرآني ضمن إطارها، واكتست طابع القداسة والعصمة، وشكلت حُجبا وحواجز كثيفة حالت بين المسلمين وبين التفاعل الحي مع نصوصه مما أفقده القدرة على العطاء المتجدد " فالعودة إلى النص تعني فيما تعني التحرر من كل النصوص البشرية، والإقرار بعدم إلزاميتها وسحب القداسة عنها دون أن يعني ذلك إسقاط أهميتها المعرفية"[1]

كما دعا إلى تبني النظرة الكلية والرؤية الشمولية للنص القرآني، من خلال محاولة فهمه في إطاره الواسع وأبعاده الحقيقية المتحررة من القراءات التاريخية، فالعودة للقرآن تفتح الآفاق أمام العقل المسلم ليمارس نشاطه الطبيعي بالاحتكاك المباشر بالنصوص المعصومة، ما يرفع عن كاهله الضغط الذي فرضته عليه التراكمات التراثية، لتربطه مباشرة بالنص القرآني يستلهم منه معاني جديدة دون الحاجة لوساطات السابقين.

المطلب الرابع: المقاصد القرآنية في فكر الغزالي

خلص محمد الغزالي في الكثير من كتبه وأبحاثه إلى أن الأزمة الحضارية التي تعيشها الأمة، إنما جاءت نتيجة انحراف منهجيتها في التعامل مع نصوص الوحي، التي غلبت عليها النظرة التجزيئية والبعد عن الرؤية التكاملية والرشد العقلي في تحليل الأزمات، وتشخيص الأمراض السياسية والاجتماعية، تراكم من خلالها الاهتمام بالقضايا الفرعية الجزئية على حساب الكليات والقضايا المصيرية.

---

[1]ــ محمد عمارة، **إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر**، مركز دراسات العالم الإسلامي ، ط 1 1991م، ص 212.

كانت محاولات الغزلي دائبة وحثيثة في إعادة بعث روح القرآن في عقول ونفوس المؤمنين، للارتقاء بهم إلى مستوى الشهود الحضاري كما كان الحال في البدايات الأولى للدعوة الإسلامية زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، والجيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم، إذ كان القرآن الكريم الدافع الأول، والمحرك الفعال الذي انتقل بهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام ومن ضيق الأفق الحضاري، إلى رحاب الشهادة على الناس، "الأمة التي نزل عليها القرآن فأعاد صياغتها، هي المعجزة التي تشهد للنبي عليه الصلاة والسلام بأنه أحسن بناء الأجيال، وأحسن تربية الأمم، و أحسن صياغة جيل قدم الحضارة القرآنية للخلق، فنحن نرى أن العرب عندما قرأوا القرآن، تحولوا تلقائيا إلى أمة تعرف الشورى وتكره الاستبداد، إلى أمة يسودها العدل الاجتماعي، ولا يعرف فيها نظام الطبقات، إلى أمة تكره التفرقة العنصرية وتكره أخلاق الكبرياء والترفع على الشعوب"[1]

وقد لخص الدور الحضاري والتاريخي للقرآن الكريم رد ربعي ابن عامر على قائد الفرس لما سأله ما الذي جاء بكم؟ فقال: " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى سعة الإسلام"

إذ كانوا بالقرآن فتحا على العالم، وهداية للإنسانية." إنهم فتح جديد للعالم، وحضارة جديدة أنعشت الإنسانية ورفعت مكانتها، لأن الأمة الإسلامية كانت في مستوى القرآن الكريم، والحضارة إنما جاءت ثمرة لبناء القرآن للإنسان. لذلك بدأت تختفي الآثار النفسية والفكرية لآداب الفرس، ولفلسفة الروم، لأن القران جاء بجديد: حول الكلام والتوجيه من

---

[1] ـمحمد الغزالي ، **كيف نتعامل مع القرآن** ، ص 30.

تجريدات ذهنية نظرية جدلية إلى منطق ملاحظة واستقراء، ومنطق وعي الكون واحترامه، و التعرف على سننه ومشروعية التعامل معه لعمارة الأرض وبناء الحضارة "[1]

فالتوجيه القرآني بلا شك كان له بالغ الأثر في نفوس المؤمنين وعقولهم، تغير من خلاله منظورهم للكون والحياة وارتقى بهم من الأمية والتخلف إلى عالم المعرفة والعلم، ونقلهم من البداوة العقلية إلى المدنية والحضارة، ورشحهم للصدارة بين الأمم، وسمح لهم بصياغة قيم جديدة يسير عليها العالم، أعادوا من خلالها النظام والأخلاق للحياة الإنسانية، على أساس الحق و العدل والخير للإنسانية جمعاء.

الفرع الأول: المحور والمقصد نظرة حول المصطلح

فضل محمد الغزالي إطلاق مصطلح المحاور على مصطلح المقاصد، لبيان الغايات الكبرى التي يدور عليها النص القرآني، ربما لأنه استشعر أن مصطلح المحور أعمق وأكثر دلالة على الغرض من المقصد "غير أن طه جابر العلواني يرى أن المقاصد أبلغ في التعبير عن الغاية من هذا العلم من مصطلح المحاور، الذي يدل على الموضوعات الأساسية التي دارت عليها آيات الخطاب القرآني حولها، أما المقاصد عنده فهي التي تمثل غايات القرآن الأساسية التي لا يمكن الإخلال بها "[2]

وظف الغزالي مصطلح المحاور في كتابه –المحاور الخمسة للقرآن الكريم– وأطلقه على بقية فصول الكتاب بصيغة المفرد: المحور الاول، المحور الثاني ..، وورد أيضا في كتابه –كيف

[1] ـ **كيف نتعامل مع القرآن** ، مصدرسابق ص 30

[2] ـ ماهر حسين حصوة ، "**مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة و العمران** "، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 79، 2017، ص 162 .

نتعامل مع القرآن– في صفحات عديدة[1]، وقد سبقه سيد قطب إلى هذا المصطلح في تفسيره للقرآن، على الرغم من شهرة مصطلح المقاصد إلا أنه يأتي عند الغزالي في مرتبة ثانية، ربما لأنه استشعر أن مصطلح المحور أعمق وأكثر دلالة على الغرض من المقصد لما بينهما من فرق في المعنى، فليس المحور في دلالته على أنه مدار الشيء و مركزه كالمقصد في دلالته على أنه الهدف و الغاية، وهذا لا يعني انه يقلل من قيمة المصطلح، فهو مبثوث في كتاباته منها على وجه الخصوص كتابه .كيف نتعامل مع القرآن [2]

حيث وظف الغزالي أيضا مصطلح الأبعاد في معالجة موضوع المقاصد، والذي يقصد به امتدادات الأشياء في اتساعها وعمقها وعلو شأنها. وهو يقصد بالأبعاد القرآنية القضايا الكبرى ذات الاهمية القصوى التي تتمحور حولها أساسيات الوجود الإنساني. و قد ورد هذا المصطلح أيضا في مختلف كتاباته [3].

كذلك أورد مصطلحات عديدة في سياق ذكر المقاصد القرآنية، تأكيدا على الأهمية وزيادة في البيان، لكنها لا ترقى إلى درجة المصطلح، بل هي مجموعة من المترادفات جاءت داعمة للفكرة الأساسية كأن يقول مثلا:" مدركا لأبعاده ومقاصده" [4]

واستعمل مصطلحات: الأهداف والمرامي والمغازي والغايات والآفاق. كلها لخدمة معنى واحد هو المحور والمقصد.

الفرع الثاني: أهمية التفسير المقاصدي في خطاب الدعوة المعاصر

---

[1] _منها على سبيل المثال لا الحصر: 42- 46- 62- 86.

[2] _ **كيف نتعامل مع القرآن**، مصدرسابق ص 30– 39- 41 - 45 -81 .

[3] _ المصدر نفسه، ص 35- 41-44-45 .

[4] _ **المصدر نفسه**، ص 41.

الحديث عن التفسير المقاصدي وبيان أهميته، ليس ترفا علميا، بل هو ضرورة شرعية، وحتمية واقعية في ظل عالم مضطرب، تتسارع فيه الوقائع والأحداث، و تتسابق فيه المصالح وتزداد المشكلات على نحو غير مسبوق، يوجب علينا ضرورة التأمل والأخذ بمقاصد القرآن في فهم النصوص تجاه هذا العالم المتغير، ورصد معالمه وآفاقه في ضبط الخطاب الدعوي بين الإفراط والتفريط تحقيقا لوسطية المنهج القرآني الحامل في طياته الأبعاد الحضارية والإنسانية ، وهذا ليس من باب التكلف والتعسف، بل حقيقة قائمة في البنية القرآنية أصالة.

إن الاتجاه المقاصدي في بناء الخطاب الدعوي المعاصر لايقصد منه تجاوز النصوص الشرعية، ولا يضعها في مقابل بعض المصالح والمنافع، و إنما يعتمد المصالح المعتبرة والمقاصد الشرعية المرعية في تفسير النص الشرعي قرآنا وسنة " يستلهم الحكم والمصالح التي جاءت النصوص لغاياتها مسترشدا بما عرف من عادة الشرع في الأحكام مستعينا بروح الشريعة وعللها المنصوصة وأحكامها المستنبطة، فإذا ما توصل إلى الحكمة وتعرف على تلك المصلحة فسر النص في ضوئها وحدد نطاق تطبيقها ومجال إعماله على أساسها"[1]

وعليه فإن التفسير المقاصدي لنصوص القرآن الكريم ينبغي أن يكون وفق ضوابط وشروط، حتى لا نحمل النص على غير مقصده ومعناه، ولاشك أن تراثنا يزخر بنماذج من علماء التفسير الأجلاء الذين كان لهم إسهام في هذا الاتجاه.

[1] ــ يوسف محمد البدوي، **مقاصد الشريعة عند بن تيمية** ، دار النفائس ابن تيمية، ص 116

المبحث الثالث:

السنة النبوية في الخطاب الدعوي المعاصر

فإنك أمام كثرة المرويات وتعدد معانيها لا ترى بدا من تنسيقها وترتيبها، ووضع كل حديث بإزاء ما يوافق من أحوال، وهذا الذي ذكرناه في فهم السنة وصلتها بالكتاب، لم نأت بجديد فيه، إنما هو علم الأئمة الأولين، وإدراكهم الصحيح لحقائق هذا الدين.ـــــــــــــــــــــــــ محمد الغزالي

ليس من الإسلام ص 34.

حظيت السنة النبوية منذ عهد الصحابة وعبر التاريخ الإسلامي، بعناية كبيرة من علماء الأمة محدثين وفقهاء سندا ومتنا، وكان من أثر تلك الجهود علوم كثيرة حوت مناهجهم وقواعدهم وآراءهم، كعلم المصطلح، وعلم العلل، وعلم الأصول.

ومع تلك الجهود الكبيرة المبذولة في خدمة السنة رواية ودراية، إلا أن ثمة اختلافا بين المشتغلين بالسنة النبوية والفقه في مدى حجية تلك المناهج وصدقية نتائجها في تحقيق نسبة الأحاديث إلى النبي عليه السلام هل يسلّم بها كلها مثلما يقبل القرآن، أو تترك كلها، أم هناك تفصيل في المسألة وتزداد أهمية الموضوع في عصرنا، لما نرى من أثر للأحاديث النبوية في توجيه أفكار الناس باعتبارهم مسلمين والتحكم في واقعهم في أكثر من مجال عقيدة وفقها ومعاملات وسياسة.

وفي هذا المبحث محاولة لرصد الضوابط العامة التي من شأنها وضع السنة النبوية موضعها الصحيح في خطاب الدعوة الإسلامية المعاصر، وتحديد كيفية الاستنباط والنظر في نصوص السنة وتتبع منهج الشيخ محمد الغزالي في عرضه للسنة النبوية المطهرة.

المطلب الأول: مفهوم السنة النبوية أقسامها وحجيتها

الفرع الاول : مفهوم السنة النبوية وأقسامها

أولاً: مفهوم السنة.

السنة لغة: الطريقة، سواء أكانت حسنة أم سيئة، ومن ذلك ما جاء في الحديث الصحيح: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل به"[1]

وفي الاصطلاح عرفها علماء الأصول بقولهم "ما صدر عن النبي غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير"[2]

وعند المحدثين: السنة ما نقل عن النبي: من قول أو فعل أو تقرير أو وصف". ويريدون بالوصف ما ورد عن الصحابة من وصف الرسول: سواء كان وصفا خَلقيا أو خلقيا.[3]

والأصوليون لم يدخلوا هذا النوع في السنة، لأنهم يتكلمون عن السنة التي هي دليل يستدل به ويتأسى بالرسول صلى الله عليه وسلم فيه، ولا شك أن صفات الرسول التي ليست من فعله لا يمكن أن تكون دليلا على الوجوب أو الاستحباب ولا يتعلق بها حكم .

ووردت السنة عند العلماء على معاني أخرى، فهي تطلق على المستحب والمندوب، وتطلق في مقابل البدعة فيقال هذا صاحب سنة وذاك صاحب بدعة ولها إطلاقات أخرى.

ثانياً: أقسام السنة.

تنقسم السنة على اعتبارين: اعتبار ورودها، واعتبار صحتها.

---

[1] ــ أخرجه مسلم ، **كتاب الزكاة** ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ، رقم 1017.

[2] ــ محمد بن علي الشوكاني **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول** ، تحقيق أحمد عزو عناية دار الكتاب العربي، ط 1، 1999، ص95

[3] ــ عبدالله الجديع، **تحرير علوم الحديث** ــ ، ط1 ، ص 9

فعلى اعتبار ورودها تنقسم السنة النبوية إلى:

أ- **السنة القولية**: وهي ما صدر عن النبي: من قول غير القرآن، مثل قوله : «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار[1].

ب- السنة الفعلية: وهي ما صدر عن النبي: من فعل مثل ما نقل من صفة وضوئه وصفة صلاته، والترك مع قيام الداعي بمثابة الفعل. وأفعال الرسول، على أنواع لكل واحد منها دلالته، ويمكن اختصارها على النحو التالي:

منها الأفعال الجبلية وهي التي فعلها النبي ، بمقتضى بشريته مما يحتاجه البشر عادة من حركة أو سكون أو نوم أو أكل أو شرب، مثل ما نقل عن الرسول : في طريقة مشيه وأكله القثاء بالرطب ولبسه الجبة الشامية ونحو ذلك.

فهذا النوع يفيد الإباحة عند الجمهور ولا يتعلق به امر ولا نهي؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم فعله من غير قصد إلى القربة به ومن غير قصد إلى اختصاصه دون غيره في الغالب، بل فعله لكونه الأرفق به، فليفعل كل مكلف ما يناسبه .

ومنها الأفعال التي قام الدليل على كونها خصوصية له كزواجه بأكثر من أربع مجتمعات، فهذا لا خلاف في عدم جواز التأسي به فيه، وأما ما ثبت وجوبه عليه وحده دون الأمة فالاقتداء به فيه مندوب كقيام الليل والأضحية ونحو ذلك.

ومنها ما فعله بيانا لمجمل أو امتثالا للأمر الوارد في الكتاب أو في السنة القولية كصلاته وصيامه وحجه بعد نزول الآيات الواردة في قوله: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[2]، وقوله: "لتأخذوا عني مناسككم"[3]

[1] _البخاري، **كتاب العلم** ، باب من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم 107.

[2] _ رواه البخاري ، **كتاب الآذان** ، باب الآذان للمسافر ، رقم 631 .

[3] _ رواه مسلم ، **كتاب الحج** ، باب استحباب رمي جمرة العقبة ، ،رقم 1297.

فهذا النوع لا خلاف في أنه لا يخرج عن الوجوب أو الندب، وحكمه حكم المبين فما كان بيانا لواجب فهو واجب وما كان بيانا لمستحب فهو مستحب، وقيل: إن الأفعال التي تدخل في حقيقة الصلاة وواظب عليها النبي ولم يتركها ورواها كل من نقل صفة صلاته تعد واجبة كالركوع والسجود والجلوس بين السجدتين، وأما الأفعال التي ثبت أنه تركها أحيانا أو ترك ذكرها بعض من نقل صفة صلاته كتحريك أصبعه السبابة، وكذا ما لا يعلم إلا بالسؤال عنه من الأذكار الخفية فلا ترقى إلى الوجوب بل تكون مستحبة، إلا أن يقترن بالفعل قول يدل على الوجوب.

ج –**السنة التقريرية**: وهي ما نقل من سكوت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول قيل، أو فعل فعل في حضرته، أو علم به ولم ينكره ومن أمثلة ذلك ما رواه الشيخان من أكل الضب على مائدته من غير إنكار[1]، وما روي أيضا من رؤيته للحبشة وهم يلعبون بالحراب في المسجد، وتمكين عائشة من النظر إليهم.[2]

باعتبار وصول الخبر

وتنقسم بهذا الاعتبار إلى :

– المتواتر: هو ما رواه جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة وأسندوه إلى حس مثل حديث "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[3]، فقد روى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من ستين صحابيا.

– الآحاد وهو ما رواه واحد أو أكثر ولم يبلغوا حد التواتر. وأغلب الأحاديث من هذا القسم.

وينقسم الخبر من حيث صحته إلى ثلاثة أقسام: صحيح، وحسن، وضعيف.

---

[1]– البخاري ، **باب ماكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأكل حتى يسمى له** ،ر 5390 .

[2]– مسلم ، **كتاب صلاة العيدين** ، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ، رقم 892.

[3]– البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، رقم 1291.

- الصحيح: وهو ما رواه عدل تام الضبط عن مثله إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وسلم من الشذوذ والعلة القادحة [1]

ومعنى قولهم (عدل)، أي مرضي في دينه وخلقه، وهو المواظب على الواجبات المجتنب للكبائر وما يخل بالمروءة من الصغائر.

وقولهم (تام) الضبط، أي أنه يغلب عليه حفظ ما سمعه من الحديث وعدم مخالفة الثقات في ذلك.

وقولهم عن مثله، أي أن رجال السند لا بد أن يكونوا كذلك من لدن الراوي الذي نقل لنا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم وسلم من الشذوذ والعلة القادحة : الشذوذ هو مخالفة الراوي للثقات الأثبات.

والعلة القادحة وصف خفي يوجب رد الحديث. وهذا لم يضبطه المحدثون بضابط محدد، وإنما ذكروا أمثلة للأحاديث المعلة كما فعل الترمذي في علل ،الحديث، وفعله غيره من علماء الحديث.

- الحسن: هو ما نقله عدل خفيف الضبط بسند متصل من غير شذوذ ولا علة قادحة. فيكون الفرق بينه وبين الصحيح في قوة الضبط وخفته[2].

- الضعيف: وهو ما لم يجمع صفات الصحيح أو الحسن. وشروطه في الراوي الذي تقبل روايته: الإسلام، البلوغ، العدالة، الضبط.

الفرع الثاني: حجية السنة النبوية: لا يختلف المسلمون في أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي عند جمهور العلماء، وأنها حجة ثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم سواء كان متواترا أو خبر آحاد، ودليل ذلك:

---

[1]- ابن الصلاح ، **مقدمة في علوم الحديث**،ج 1 ص 9.

[2]_ **المرجع نفسه**، ج 1 ص 19.

–قول الله تعالى﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [التَّوۡبَة : ١٢٢]

ووجه الإستدلال: أن الطائفة في اللغة تطلق على الواحد وعلى العدد القليل والكثير، وقد أوجب الله عليهم أن ينذروا قومهم، ولولا أن نذارتهم مقبولة لما كان لإيجاب النذراة عليهم فائدة.

– أن النبي: كان يرسل رسله وأمراءه وقضاته وسعاته المأمورين بجمع الزكاة، آحاد فلو لم يجب قبول خبرهم عنه لما أرسلهم، ولما حصل المقصود بإرسالهم.

– إجماع الصحابة على قبول خبر الواحد والعمل به، ويدل على إجماعهم قضايا ووقائع لا يمكن تكذيبها مجتمعة، ومن ذلك:

– أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ورث الجدة السدس بعد أن ردها، وقال: ما علمت لك في كتاب الله حقا، ولا سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيئا فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الصحابة فشهد المغيرة بن شعبة أن رسول الله : أعطاها السدس، وشهد معه محمد بن مسلمة فأعطاها أبو بكر السدس .[1]

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ورّث المرأة من دية زوجها[2] لما روي له أن النبي صلى الله عليه وسلم ورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها، وكان لا يرى ذلك قبل سماع الحديث.

ومن ذلك ما روي عنه من استدلاله بالحديث الذي رواه عبد الرحمن بن عوف في دخول البلد الذي وقع فيها الطاعون. [3]

[1]ــ الترميذي في سننه ، **كتاب الفرائض** ، باب ميراث الجدة ، ح2101

[2]ــ الترمذي ، **كتاب الذيات** ، باب هل ترث المرأة من دية زوجها ، ح1415

[3]ــابن حبان ، **كتاب الجنائز** ، باب ما جاء في الصبر وثواب الامراض والأعراض ،ح2912

الفرع الثالث: ضوابط التعامل مع السنة النبوية

أولا: ضرورة التمييز بين السنة كمصدر للتشريع وبين ما وصل إلينا منها.

لابد من التمييز بين سنة الرسول كمصدر للتشريع، وبين ما وصل إلينا منها بحسب الطرق التي اجتهد في وضعها المحدثون، فقد يحتمل الخلل في النقل مما يتولد منه حديث فيه إشكال، لكن ذلك لا يقدح في المصدر ذاته وهو الرسول عليه السلام، والخلط بين الأمرين يؤدي إلى إنكار السنة ذاتها، أي إن ورود أحاديث موضوعة أو مكذوبة لا يبرر ترك السنة كلها. على أن المحدثين أنفسهم اعترفوا بأن تصحيحهم للحديث إنما هو بحسب قواعدهم ويحتمل أن يكون حكمهم خطأ في واقع الأمر.

يقول الحافظ العراقي: حيث يقول أهل الحديث هذا حديث صحيح فمرادهم فيما ظهر لنا، عملا بظاهر الإسناد، لا أنهم قطعوا بصحته في نفس الأمر ؛ لجواز الخطأ والنسيان على الثقة، هذا هو الصحيح الذي عليه أكثر أهل العلم خلافا لمن قال: إن خبر الواحد يوجب العلم الظاهر". [1]

يقول الصنعاني معلقا: "فيجوز الخطأ والنسيان على البخاري نفسه فيما حكم بصحته وإن كان تجويزا مرجوحا؛ لأنه بعد تتبع الحفاظ لما في كتابه، فإظهار ما خالف هذا القول المنقول عنه فيه من الشرطية ما ينهض التجويز ويقود العالم الفطن النظار إلى زيادة الاختبار ، وهذا ما وعدنا به في آخر الفائدة الخامسة على أن البخاري ومسلما لم يذكرا شرطا للصحيح، وإنما استخرج

[1] _عبدالرحيم العراقي، **شرح التبصرة والتذكرة**، ،تحقيق ماهر يس الفحل ، دار الكتب العلمية بيروت ، 2002م ،ج1 ص38.

الأئمة لهما شروطا بالتتبع لطرق رواتهما، ولم يتفق المتتبعون على شرط معروف بل اختلفوا في ذلك اختلافا كثيرا، يعرف ذلك من مارس كتب أصول الحديث".[1]

ثانيا: القرآن الكريم قاض على السنة النبوية، ولكن لا يغنى عنها مطلقا.

السنة بالنسبة للقرآن الكريم على ثلاثة أنواع:

سنّة مبينة للقرآن كالسنة التي تخصص القرآن أو تبين مجمله، مثل ما روي عن النبي : من صفة الصلاة وصفة الحج، فهذا بيان لما في القرآن من الأمر بالصلاة والحج.

أو **سنة مؤكدة لما في القرآن** من غير زيادة كقوله : "اتقوا الله في النساء؛ فإنهن عوان عندكم " الحديث، فهذا موافق لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النِّسَاء : ١٩]

وكذلك الأحاديث الواردة في تحريم القتل وأكل المال بالباطل مؤكدة لما ورد في القرآن من ذلك.

أو سنة زائدة على ما في القرآن

وهي السنة التي جاءت بأحكام زائدة على ما في القرآن مثل السنة الواردة في ميراث الجدة وميراث الأخوات البنات ـ للابنة النصف ولابنة الابن السدس وما بقي فللأخت [2]وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها[3]

---

[1]_محمد بن اسماعيل الصنعاني، **ثمرات النظر في علم الأثر**، تحقيق رائد بن صبري ،دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض 1997 ص 138.

[2]_ البخاري ،**كتاب باب مبراث الأخوات مع البنات عصبة** ، ح 6742 .

[3]_البخاري ،**كتاب النكاح** ،باب لا تنكح المرأة على عمتها ، ح5109 .

فبيان القرآن الكريم للدين بعضه مفصل، وبعضه مجمل أو مشكل، تتولى السنة، بيانه والصحابة بحد ذاتهم استشكلوا من القرآن آيات تولى الرسول عليه السلام شرحها ومنها:

قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأَنۡعَام : ٨٢] ، فقد فهم أصحاب النبي : قوله: {بظلم على عمومه الذي يشمل كل ظلم ولو كان صغيراً، ولذلك استشكلوا الآية فقالوا: يا رسول الله أيُّنا لم يلبس أيمانه بظلم ؟ فقال : «ليس بذلك، إنما هو الشرك؛ ألا تسمعوا إلى قول :لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لُقۡمَان : ١٣] [1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ۝١٠١﴾ [النِّسَاء : ١٠١]: فظاهر هذه الآية يقتضي أن قصر الصلاة في السفر مشروط له الخوف، ولذلك سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ما بالنا نقصر وقد أَمِنَّا؟ قال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته"[2].

وقوله تعالى ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأَعۡرَاف : ٣٢] فبينت السنة أيضاً أن من الزينة ما هو محرم، فقد ثبت عن النبي ع أنه خرج يوماً على أصحابه وفي إحدى يديه حرير، وفي الأخرى

[1]_البخاري ، **كتاب التفسير** ،باب لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم " ، ح4776.

[2]_ أخرجه مسلم ، **كتاب الصلاة** ،باب قضاء الصلاة الفائتة ،ح 686

ذهب، فقال: "هذان حرام على ذكور أمتي، حلٌّ لإناثهم"[1]. فعدم الرجوع إلى هذه النصوص قد يجعل المرء يبيح أشياء أجمعت الأمة على تحريمها.

ثالثًا: شمولية القرآن

ما ورد في القرآن الكريم من الآيات التي تدل على شموله كل شيء، أي إجمالا، مع بعض التفصيل في جوانب معينة، فما من شيء ورد في السنة إلا وفي القرآن أصوله وقواعده العامة، مثل أصل تحريم أكل المال بالباطل، فقد بينت السنة أوجه كثيرة من البيوع المحرمة بسبب دخولها في ذلك الأصل، ولم يرد ذكرها في القرآن.

رابعا: إعمال الدليل أولى من إهماله:

إذا صح إسناد الحديث بحسب قواعد المحدثين وجب اتباعه، وإن ظهر فيه ما يبدو معارضا لمقتضى ما هو أصح من صريح القرآن الكريم أو الروايات الأخرى، فإن الأولى البحث عن أوجه التوفيق بينها قبل الحكم بالرّد، أو سلوك مسلك التأويل.

المطلب الثاني: مقاصد الشريعة و السنة النبوية

أتينا على ذكر أهمية إعمال المقاصد في تجديد القرآءة المتكاملة والحضارية لنصوص القرآن الكريم، فما مدى جدوى تطبيق القراءة المقاصدية لنصوص السنة النبوية ؟

الفرع الاول: علاقة السنة بالمقاصد

تضمنت السنة النبوية إشارات مقاصدية مهمة، وتعليلات مصلحية عديدة، تتوزع بين نصوصها المختلفة القولية والفعلية والتقريرية،: "والقرآن وسنة رسول الله عليه وسلم مملوآن من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح، وتعليل الخلق بهما، والتنبيه على وجوه الحكم التي لأجلها شرع

[1] _أخرجه أبو داود ، **كتاب اللباس** ، كتاب اللباس ،باب في الحرير للنساء ،ح4059

تلك الأحكام، ولأجلها خلق تلك الأعيان، ولو كان هذا في القرآن والسنة في نحو مائة موضع أو مائتين لسقناها، ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة"[1]، ويؤكد هذا الإمام الشاطبي بقوله: "وأما التعاليل لتفاصيل الأحكام في الكتاب والسنة فأكثر من أن تحصى"[2]، والمتأمل في سنة النبي صلى الله عليه وسلم يجد الكثير من الأحكام الشرعية الجزئية جاءت مرتبطة بمقصدها الشرعي للدلالة على أنه هو المقصود الشرعي من تشريع ذلك الحكم، ومن أمثلة مقاصد السنة:

- **مقصد الاستئذان:** فعن سهل بن سعد الساعدي عن سهل بن سعد، قال: اطلع رجل من جحر في حجر النبي عليه وسلم ، ومع النبي عليه والله مدرى يحك به رأسه، فقال: "لو أعلم أنك تنظر، لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر"[3]
- **مقصد النظر إلى المخطوبة:** عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبي عليه والله انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما فأتيتُها وعندها أبوها وهي في خدرها قال فقلت إن رسول الله عليه وسلم أمرني أن أنظر إليها قال فسكتا قال فرفعت الجارية جانب الخدر فقالت أخرج عليك إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تنظر لما نظرت وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمرك أن تنظر فلا تنظر قال فنظرت إليها ثم تزوجتُها فما وقعت عندي امرأة بمنزلتها ولقد تزوجت سبعين أو بضعا وسبعين

---

[1] ـ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ابن القيم الجوزية، ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج:2، ص:22.

[2] ـ **الموافقات**، مصدر سابق ج:2، ص 07.

[3] ـ أخرجه البخاري في **كتاب الاستئذان**، باب الاستئذان من أجل البصر، رقم:5912، ومسلم في كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره،(1866) رقم:4130.

امرأة"[1]. وفي رواية أخرى أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة ولم ينظر إليها، فقال له النبي عليه وسلم : "فانظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكما".[2]

. – **مقصد الرفق في التعامل مع المخطئ**: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي علي الله : "دعوه ، وأريقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"[3]، وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه"[4]، وعنها: أن النبي عليه وسلم قال: (إنّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه[5].

إن نصوص السنة بألفاظها وفحواها دالة على معانيها وحكمها ومقاصدها، ولا تخرج عما تحتمله ألفاظها العربية، ثم إن دلالة نصوص السنة على المقاصد منها ما هو واضح وصريح، يدل عليه ظاهر النص مباشرة، ومنها ما يدرك بالاستنباط والنظر العميق من خلال سياق الحديث ودلالة ألفاظه وسبب وروده [6]، بإعمال أدوات الاستنباط المفصلة في علم أصول الفقه، لكن دون مبالغة للمعاني والخروج بها عما تحتمله الألفاظ كما وقع في ذلك الباطنية، ودون جمود على حرفية النصوص كما وقع في ذلك الظاهرية.

---

[1]ــ أخرجه الترمذي في **كتاب النكاح** عن رسول الله وسلم، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة، رقم:1087، والنسائي (3235) مختصراً، وابن ماجه.

[2]ــ رواه الترمذي في **كتاب النكاح** عن رسول الله، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة، رقم الحديث: 1088.

[3]ــ أخرجه البخاري، **كتاب الأدب**، باب قول النبي عليه وسلم : يسروا ولا تعسروا، رقم: 6128.

[4]ــ رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ر4825.

[5]ــ رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، رقم:4826

[6]ــ حمزة المليباري، **النقاط المنهجية لتحليل الحديث الشريف**، الملتقى الدولي حول السنة النبوية بين الفهم السديد والواقع المعيش، منشورات مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة، ط1، سنة 2012م، ص136.

قال الشاطبي: "ونصوص الشارع مفهمة لمقاصده، بل هي أول ما يتلقى منه فهم المقاصد الشرعية"[1]. فإذا كانت المقاصد المستنبطة من السنة النبوية لا تستوعبها نصوصها، ولا تدل عليها ألفاظها، ولا سياقاتها ومناسبات ورودها فهي لاغية لا قيمة لها[2]، وهي من قبيل المبالغات الاستنباطية المتكلف فيها، الخارجة عن إطار الأدوات المنهجية في الإجتهاد، والبعيدة عن قواعد الاستدلال والنظر لبيان معنى الحديث ودلالته.

الفرع الثاني: تجديد الفهم للسنة النبوية ومقاصدها

إذا كانت آيات القرآن الكثيرة تدعو العقل الإنساني إلى التدبر في كتاب الله تعالى، والتأمل في معانيه، وبذل الجهد في فهم ما احتوى عليه من حكم وأحكام وعبر ودروس، باعتبار أن العقل هو المؤهل لفهم معاني القرآن واستخراج ما فيه من كنوز مكنونة، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النِّسَاء : ٨٢] ، فهو مدعو أيضا إلى إعمال ملكاته باستمرار في الكشف عن معاني السنة وما تضمنته من أحكام تفصيلية، مستنيرا بفهم السابقين دون الوقوف عندها، أو مكتفيا بها، هذا التدبر العميق والمتجدد والمستمر الذي يقود إلى استخراج ما فيها من معاني مختلفة ومعارف مكنونة، والالتفات إلى مقاصدها السامية، المبثوثة في كل أقواله وأفعاله وتقريراته علي الله، وهي مقاصد تنير الفكر، وتوجه الفهم، وتصوب الرأي، وتسدد الالتزام.

والملاحظ في الدراسات حول السنة النبوية تركيزها على المنهج الفقهي، والنظر إليها على أنها مصدر للأحكام فقط، مما أدى ضمور مرجعية السنة وعطاءاتها المعرفية، وعدم التسليط الضوء

---

[1] ـ **الموافقات**، مرجع سابق، ج:3، ص 125.

[2] ـ **تاريخ المقاصد القرآنية**، أحمد كافي، ص109.

على الجوانب الأخرى التي حوتها السنة[1]، وعليه فإن العقل المسلم مدعو إلى التعامل مع السنة بنظرة أوسع، والالتفات إلى مقاصدها السامية، وأن يجدد في كل مرة النظرة التأملية في معانيها، لأن حسن فهم الإسلام وصواب تطبيقه يأتي من سلامة الفهم لتلك المقاصد السامية التي تضمنها كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخطاب النبوي بلغته الواضحة البليغة وأسلوبه السهل المباشر وألفاظه المحدودة، يمكن العقل من تفهم معانيه، واستجلاء حكمه، واستخلاص مقاصده، التي هي مستوعبة لكل مناحي الحياة في أبعادها الفردية والأسرية والإنسانية، وفي جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وعليه فإن الاجتهاد العقلي الواعي في تعامله مع السنة، يمكنه تقديم ثراء علميا متنوعا، ويستخرج ما فيها من كنوز معرفية، تكون سبيلا للتوظيف والتنزيل في إصلاح حال النفوس والمجتمعات، والارتقاء بها إلى مستوى رسالة الإسلام السمحة.

فأزمة الأمة الحضارية وتراوحها في تخلفها ليست بسبب ضياع سنة رسول الله عليه وسلم وعدم كتابة أحاديثه، أوغياب كتب السنة وشراحها، أو عدم التمييز بين صحيحها وضعيفها، وإنما بغياب الفهم الواعي لأحكام السنة ومعانيها، والذي كان له أثره السلبي على مسألة التأسي والإتباع لتعاليم نبيها صلى الله عليه وسلم وإساءة الاقتداء به، وعدم ترجمة معانيهما وإرشاداتها إلى سلوكات وأخلاق وتصرفات تنتظم بها الحياة، ويستقيم بها تدين المكلف .

[1]ـــطه جابر العلواني، **إشكالات منهجية في التعاطي مع السنة**، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية والعشرون، العدد:85، سنة 2016م ص09.

الفرع الثالث: ضوابط فهم النص النبوي في سياق المقاصد

في سياق الحديث عن القراءة المقاصدية لنصوص السنة النبوية يجب التنبيه إلى ضوابط مهمة، لتكوين منهجية علمية معرفية تحسن وضع النص النبوي في مساره الشرعي والحضاري، وتجيد الاستدلال به في مختلف القضايا والمجالات. ومن هذه الضوابط مثالا لا حصرا:

أولا: ضرورة مراعاة المقاصد بحسب مراتب السنة النبوية ومقاماتها

أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله وتقريراته ليست على مرتبة واحدة، فهي مختلفة من حيث الحكم والغرض، ومن ثم حيث المقصد الشرعي. لكن قد يقع الخلط عند البعض في فهم مهام وتصرفات النبي عليه وسلم وتنوعها والحدود الفاصلة بينها، وعدم التمييز بينها، والغفلة عن تمحيص الغرض منها فيؤدي ذلك إلى سوء في الفهم والتطبيق[1]، يقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: "فمما يهم الناظر في مقاصد الشريعة تمييز مقامات الأقوال والأفعال الصادرة عن رسول الله عليه وسلم والتفرقة بين أنواع تصرفاته. وللرسول عليه الصلاة والسلام صفات كثيرة صالحة لأن تكون مصادر أقوال وأفعال منه؛ فالناظر في مقاصد الشريعة بحاجة إلى تطلع تعيين الصفة التي عنها صدر منه ، قول أو فعل".[2]

وقد عدد الإمام ابن عاشور رحمه الله أنواع ما يصدر عن النبي عليه وسلم مستفيدا مما ذكره القرافي ومضيفا عليه، فقال: (وقد عرض لي الآن أن أعد من أحوال رسول الله عليه والله التي يصدر عنها قول منه أو فعل اثني عشر حالا. منها ما وقع في كلام القرافي، ومنها ما لم يذكره. وهي: التشريع، والفتوى، والقضاء، والإمارة، والهدي، والصلح، والإشارة على المستشير، والنصيحة، وتكميل النفوس، وتعليم الحقائق العالية، والتأديب، والتجرد عن الإرشاد.[3]

---

[1] _ طه جابر العلواني، **إشكالات منهجية في التعاطي مع السنة**، مجلة إسلامية المعرفة، العدد:85، 2016م، ص08.

[2] _ **مقاصد الشريعة الإسلامية**، مصدر سابق، ص28.

[3] _**مقاصد الشريعة الإسلامية**، مصدر سابق، ص:30.

فالسنة النبوية فيها ما يعتبر تشريعا يكلف الناس باتباعه والعمل به، وما ليس من باب التشريع والتكليف. وما يكون تشريعا منها قد يكون عاما لكل الناس إلى يوم القيامة، وما يعتبر تشريعا خاصا لحالة معينة أو لظرف طارئ. فمن الخطأ اعتبار كل ما ورد في السنة هو من باب التبليغ أو التشريع ملزما لكل الناس في كل زمان وفي كل الأقطار وفي كل الأحوال، فمراتبها مختلفة كما تبين سابقا، على أن منها ما صدر عن الجبلة والعادة، وما صدر عن تجربة البيئة وخبرتها، وما فعله صلى الله عليه وسلم تواضعا وزهدا في الحياة والبساطة في العيش"[1]، ومراعاة مقاصد كل ذلك مهم في فهمها وسلامة تطبيقها. كما أن من التطرف عزل السنة عن شؤون الحياة بناء على حديث : "أنتم أعلم بشؤون دنياكم" [2]، الذي تدل مناسبة وروده على أنه صلى الله عليه وسلم أبدى رأيه في مسألة تتعلق بتأبير النخل التي لم يكن له بها خبرة، وظنها أصحابه أنها دينا فتركوه فلم يبلغ التمر غايته من النضج[3] ، ولذلك قال عليه وسلم بعد ذلك:"فإني إنما ظننت ظنا، ولا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به، فإني لم أكذب على الله"[4]، وقال أيضا: "إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر"[5].

ثانيا : مقاصد السنة النبوية وحكمها أغلبها معاني جزئية وتفصيلية:

مقاصد القرآن عند التأمل فيها نجدها جاءت في شكل معان كلية، وحكم عامة، ترجع إليها الكثير من جزئيات المقاصد، هذه المقاصد المختلفة في أبواب شتى من أحكام الشريعة تمثل

---

[1]ــ يوسف القرضاوي، **السنة مصدرا للمعرفة والحضارة**، دار الشروق، القاهرة، ط2، سنة 1423هـ/2002م، ص19.

[2]ــرواه مسلم في **كتاب الفضائل**، رقم: 2361.

[3]ــ **السنة مصدرا للمعرفة والحضارة** ، مصدر سابق، ص20.

[4]- رواه مسلم في **كتاب الفضائل**، ح2361.

[5]- رواه مسلم في **كتاب الفضائل**، ح2362 .

أصولا كلية تنطبق على كل جزئياتها [1] المفصلة في فروع الأحكام الواردة في نصوص السنة النبوية. ويمكن اعتبار تلك المعاني والحكم الواردة في القرآن الكريم مقاصد عامة حاكمة على غيرها من المقاصد الخاصة والجزئية، وقد يكون منها ما يمكن أن نسميه بالمقاصد الكبرى أو العليا.

أما طبيعة مقاصد السنة ففي الغالب الأعم فهي جزئية عملية، لأن السنة النبوية هي التي تكفلت بتفصيل جزئيات الأحكام من حيث بيان كيفياتها وهيئاتها وطرائق إتيانها. فالوعي بها جميعا هو إدراك لغايات الوحي والرسالة ومقاصد أحكام الدين. وبمجموع مقاصد القرآن والسنة تتشكل النظرة الكلية لمقاصد الشريعة الإسلامية.

فالمقاصد الشرعية في السنة النبوية حتى وإن وردت في شكل جزئيات خاصة، فهي شاملة لكل أبواب الشريعة وأحكامها، وهي تفصيل وتطبيق لقواعد المقاصد الواردة في القرآن الكريم، فمثلا أصل رفع الحرج المؤصل في القرآن الكريم مفصل في أحكام كثيرة مبثوثة في نصوص السنة، وفي وقائع متعددة، ومثل ذلك يقال لكل المقاصد العامة القرآنية.

هذه المقاصد الخاصة المبثوثة بين ثنايا أحكام السنة المختلفة ليست منفصلة، وإنما بمجموعها تشكل منظومة منسجمة، فهناك ربط بين كل مقاصدها المختلفة، التي وإن تنوعت فهي مرتبطة ومتكاملة، فعلى الناظر في السنة أن يجتنب النظرة التجزيئية لمقاصدها، وكذا لأحكامها وما ورد فيها من تشريعات[2]، لأن النظرة التجزيئية تحول دون استخلاص المعاني الكبرى الهادية، التي تكسب الفكر وضوحا في الرؤية وشمولية في النظر، وحسن التقدير والاستيعاب لقضايا الكون والحياة. فالغفلة المستمرة عن الكليات المقاصدية، والاستغراق في الجزئيات والمسائل الفرعية

[1] - **الموافقات**، مرجع سابق، ج3، ص366.

[2] ــ عبد الجبار الرفاعي، **مقاصد الشريعة**، حوار مع طه جابر العلواني، دار الفكر، دمشق، سنة 2001م، ص:82 –

اللامتناهية، هو إبعاد للسنة النبوية عن وظيفتها الأساسية في بناء الوعي وتنوير الفكر وإصلاح النفس وتقويم السلوك، وإرشاد العمل، وإعطاء نظرة سليمة للكون والحياة[1].

ثالثا: خطورة الانحراف عن السنة النبوية والقصور عن إدراك مقاصدها:

إن لمقاصد السنة النبوية أهمية تشريعية وإرشادية ودعوية، وإغفالها غاية في الخطورة، لما يترتب عنها من ضرر كبير على الفهم والنظر، ما ينسحب على مستوى الإتباع والسلوك. فالاستنكاف عن تلك المقاصد النبوية بحجة الاكتفاء بمقاصد القرآن الكريم حتما يؤدي إلى الانحراف في الفكر، ومنه قصور في الفهم والاستنباط، فيترتب عنه ظهور تأويلات ضالة، وبروز تفسيرات شاذة، ثم يتولد عن ذلك كله انحراف في السلوك التي يظهر في التطبيقات الخاطئة والقاصرة، كظواهر التطرف والغلو في الالتزام، والعنف والتشدد في مجال الدعوة والإصلاح. ومما ورد عن الإمام مالك شدة تمسكه بسنة رسول الله عليه وسلم عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى قال: سمعت مالك بن أنس، وأتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الله! من أين أحرم؟، قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، فقال: لا تفعل؛ فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة في هذه إنما هي أميال أزيدها، قال: وأي فتنة أعظم من أنك ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ إني سمعت الله يقول: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النُّور : ٦٣][2] فالكثير من سلوكات الانحراف الديني التي نبتت في حياة الأمة العربية والإسلامية، كانت بسبب فصل أحكام السنة عن مرادها ومقاصدها، أو عدم التعمق في تدبر قوله وفعله صلى الله عليه وسلم، والقصور في استيعاب معانيهما، فولد

---

[1] _برغوث الطيب، **المدخل السنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط 1، 2016م، ص 31.

[2] _الخطيب البغدادي، **الفقيه والمتفقه**، ج: 1، ص:148 – أبو نعيم، الحلية، ج:6، ص:326.

ذلك سلوكات خاطئة، نتاج غياب الاسترشاد بتعاليم السنة النبوية، والخروج عن إطارها المرجعي، فظهرت في الأمة ظواهر غريبة وممارسات شاذة، أدى ذلك إلى تشويه صورة الإسلام، وعدم تقديم تصور صحيح لسماحته وإنسانيته[1]، يقول ابن القيم رحمه الله: "أن يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدي والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك والعدل عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع في محنة الدين وأهله"[2]

هناك جهود كبيرة قام بها العلماء في دراسة الأسانيد وغربلتها، وتتبع الرواة وأحوالهم وتصنيفهم، والتمييز بين أنواع الأحاديث، والتمييز بين المتواتر والأحاد، وبين الصحيح والحسن والضعيف، لكن لم تبذل الجهود نفسها في فهم السنن واستخراج ما فيها من حكم وأحكام، يقول محمد الغزالي: "إن جهودا عظيمة بذلت لتمحيص الأسانيد وتبيان قيمتها، وثم جهود أخرى يجب بذلها لفهم المتون، وتنسيقها مع حقائق الدين ومعالمه الثابتة، فإن سوء الفهم هو ضرب من تحريف الكلم عن مواضعه، وإلحاق الأذى بالإسلام ودعوته"[3]

إن القراءة السليمة لمنظومة المقاصد في السنة النبوية، والإدراك الصحيح لها، وتجلية معانيها بغرض تحكيمها في الواقع المعيش ينبغي أن يكون في إطار تكاملي مع . مقاصد القرآن الكريم،

---

[1]_**المرجع نفسه**، ص:140.

[2]_ ابن القيم، **الروح**، دار الكتاب العربي، ط3، 1988م، ص:183.

[3]_محمد الغزالي، **لا سنة من غير فقه**، ملتقى الفكر الإسلامي السادس عشر، السنة النبوية الشريفة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، تلمسان، 6-13 شوال1402هـ/ 27 يوليو 03 أغسطس 1982م، كتاب الأصالة، ص:50.

وفي إطار النظرية المقاصدية العامة للشريعة الإسلامية[1] ، فهي العاصمة من الشذوذ في الفكر والانحراف في العمل، وأي فهم أو توظيف خارج هذا الإطار فهو قاصر لا يصل إلى عمق ما أراده الإسلام، ولا يحقق غاياته ومراده.

فحسن إدراك المقاصد يولد بصيرة في الفهم، فيعصم الفكر من الانحراف والشطط، ويقوده إلى إتباع أسلم المسالك، وإن من البصيرة إدراك المقاصد التي تؤهل صاحبها إلى صحة الاستنباط وسلامة تنزيل أحكام الشريعة، وإبراز سماحة الإسلام، قال تعالى: (﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف : ١٠٨].

الفرع الرابع: مقاصد السنة النبوية في ضوء مقاصد القرآن الكريم:

أولا: السنة النبوية بيان لكتاب الله تعالى:

القرآن والسنة كلاهما وحي من الله تعالى، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى وإنما يتلقى الوحي من الله جل وعلا، قال تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النَّجْم : ٣ - ٥] إلا أن القرآن أصل والسنة تبع ومبينة لأحكامه. ويتميز القرآن عن السنة أن لفظه ومعناه من الله تعالى، وهو معجز بلفظه متعبد بتلاوته، كله قطعي الثبوت وردا إلينا متواترا، بخلاف السنة فمعظمها أحاديث آحاد ظني الثبوت.

ولا يعني هذا أن السنة لا تعد مرجعا إذا وجد نص من الكتاب العزيز، ففي مجال العمل، ينبغي الرجوع إلى السنة أيضا، لأن الكتاب نفسه أمرنا بالرجوع إلى السنة، لاختصاصها بالبيان

---

[1] _علال الفاسي، **مقاصد الشريعة ومكارمها**، ص:91.

والتوضيح، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾ [الحَشۡر : ٧] ، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝٢٠﴾ [الأنفال 20. فدور السنة يتمثل في كونها التطبيق العملي للقرآن في مقاصده الكبرى الحاكمة[1]، تتكامل معه في بناء وحدة كلية لمنظومة المقاصد الهادية للفهم والعمل.

والقرآن الكريم أكد للمسلمين أن السنة النبوية مبينة لكلام الله تعالى، وشارحة له، ومفسرة لمعانيه، وموضحة لما أشكل على الناس، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النَّحۡل : ٤٤] ، وفي ذلك يقول الشاطبي: (السنة راجعة في معناها إلى الكتاب فهي تفصيل مجمله وبيان مشكله وبسط مختصره وذلك لأنها بيان له وهو الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النَّحۡل : ٤٤] فلا تجد في السنة أمرا إلا والقرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية)[2]، وقال أيضا في موضع آخر: (أن السنة إنما جاءت مبينة للكتاب وشارحة لمعانيه ولذلك قال تعالى: : ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النَّحۡل : ٤٤] وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المَائـِدَة : ٦٧] وذلك التبليغ من وجهين تبليغ الرسالة وهو الكتاب وبيان معانيه وكذلك فعل فأنت إذا تأملت موارد السنة وجدتها بيانا للكتاب هذا هو الأمر العام فيها)[3]

[1]ــ عبد الجبار الرفاعي، **مقاصد الشريعة،** حوار مع طه جابر العلواني، ص101.

[2]ــ**الموافقات،**مصدر سابق ج4، ص12.

[3]- **المصدر نفسه**، ج3، ص43.

والسنة النبوية تُعد كذلك مرجعا للأحكام والمعرفة الإنسانية المتنوعة مثلها مثل القرآن الكريم، وما يحتاجه الناس في حياتها، فهي هادية للناس ومرشدة لهم، وذلك لا يكون بمعزل عن كلام الله جل وعلا، فها يتكاملان في صياغة فهم سليم لمقاصد الأحكام، ولا يتصور وجود تعارض بينهما من حيث الأصل، لكن قد يطرأ تعارض بينهما لعوامل خارجة عن أصل ورود السنة، أو بسبب الخطأ في نقلها زيادة أو نقصانا"، أو يحصل تعارض في ذهن المجتهد، فوجب في تلك الحالة الرجوع إلى قواعد الترجيح المبينة في كتب أصول الفقه.

ثانيا: السنة في إطار مقاصد القرآن وقواعده العامة

لقد حوت السنة تفصيل المقاصد الشرعية باعتبارها شارحة وموضحة لما ورد في الكتاب، وهي متكاملة معه في أحكامها ومقاصدها؛ ولم يكن نظر السلف في السنة بمعزل عن القرآن الكريم، فكانوا يعرضون ما ورد في السنة على نصوص القرآن الكريم وقواعده العامة، فقد ردت أمنا عائشة رضي الله عنها حديث ابن عمر: "إنّ الميت ليعذب ببكاء أهله عليه"، وقالت: "حسبكم القرآن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فَاطِر : ١٨] [1]، حيث رأت أن هذا الحديث يتعارض مع مقصد كلي قرره كتاب الله تعالى، وهو عدم مؤاخذة أحد بجريرة غيره وعدم تحميله وزره"[2].

كان الإمام مالك وغيره من السلف يعملون بالأحاديث في إطار القرآن الكريم، فلم يعمل بحديث ولوغ الكلب لمعارضته ما ورد في القرآن، وقال: "جاء الحديث ولا أدري ما حقيقته وكان يضعفه ويقول يؤكل صيده فكيف يكره لعابه"[3]، ولأن هذا الحديث عارض أصلين عظيمين أحدهما قول الله تعالى﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ

---

[1]- صحيح البخاري، **كتاب الجنائز**، رقم:1288. ورواه مسلم نحوه في كتاب الجنائز، رقم:1543و1544.

[2]- الشاطبي، **الموافقات**، ج:3، ص:19و20 – ابن عاشور، **مقاصد الشريعة**، ص: 17.

[3]**المصدر نفسه**، ص:22.

ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ [المَائِـدَة : ٤]، والثاني أن علة الطهارة هي الحياة وهي قائمة في الكلب.[1] كما لم يعمل بحديث: "من مات وعليه صيام، صام عنه وليه"[2] بأصل قرآني كلي في قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النَّجْم : ٣٩ - ٤١]،

ثالثا: مقاصد القرآن مفصلة تشريعيا وعمليا في السنة النبوية:

كل مقصد جاءت به السنة على وجه التفصيل إلا ويرجع إلى أصل في القرآن الكريم، لأن القرآن جاء بالمقاصد الكبرى أما تفصيلها التشريعي والعملي ففي السنة النبوية، فمقاصد السنة النبوية التفصيلية أصولها وقواعدها العامة مقررة في الكتاب العزيز، يقول الشاطبي: (فلا تجد في السنة أمرا إلا والقرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية)[3]. ومن هنا تكمن صلة السنة بالقرآن أنها بيان لمقاصده كما بيان لأحكامه، فعن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله على الله أنه قال: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم هذا القرآن فما وجدتم فيه من خلال فأجلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراة"[4]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النَّحْل : ٤٤] ، وقال:

---

[1]ـــ **المصدر نفسه**، ص: 21و23

[2]ـــ رواه مسلم في **كتاب الصيام**، باب قضاء الصيام عن الميت، 2/ 803رقم: 1147 عن أم المؤمنين عائشة

[3]ـــ **المصدرنفسه**، ج4، ص12.

[4]ـــ رواه أبو داود ، **كتاب السنة**، باب لزوم السنة، ح3988.

﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾ [النَّحۡل : ٦٤]

قال الإمام الشاطبي: "أن السنة إنما جاءت مبينة للكتاب وشارحة لمعانيه ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النَّحۡل : ٤٤] ، وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المَائـِدَة : ٦٧] وذلك التبليغ من وجهين تبليغ الرسالة وهو الكتاب وبيان معانيه وكذلك فعل، فأنت إذا تأملت موارد السنة وجدتها بيانا للكتاب هذا هو الأمر العام فيها...فكتاب الله تعالى هو أصل الأصول والغاية التي تنتهي إليها أنظار النظار ومدارك أهل الاجتهاد وليس وراءه مرمى لأنه كلام الله القديم وأن إلى ربك المنتهى وقد قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النَّحۡل : ٨٩]:، وقال: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأَنۡعَام : ٣٨]: [1]

فمثلا ما جاء في القرآن من مقاصد حفظ الكليات الضرورية المتعلقة بالدين والنفس والنسل والمال، وغيرها من أصول المقاصد، فمقاصدها التفصيلية العملية مبثوثة في السنن والآثار الواردة عن رسول الله عليه وسلم، وكذا ما تعلق من التوجيهات النبوية بمناحي الحياة المختلفة، فأصولها العامة واضحة الدلالة في القرآن الكريم.

فالسنة النبوية بيان لمقاصد القرآن كما هي بيان لأحكامه، فالمقاصد الكبرى التي جاء بها القرآن وضحتها السنة النبوية، وأكدتها من خلال تشريعات الأحكام، فأحكام العبادات والمعاملات المختلفة التي فصلتها السنة النبوية إنما هي تجسيد عملي لمقاصد القرآن الكبرى، قال

[1] ــ **الموافقات**،مصدر سابق، ج3، ص42- 43.

الشاطبي: "وقد مرّ أن المصالح لا تعدو الثلاثة الأقسام وهي الضروريات ويلحق بها مكملاتها والحاجيات ويضاف إليها مكملاتها والتحسينيات ويليها مكملاتها ولا زائد على هذه الثلاثة المقررة في كتاب المقاصد وإذا نظرنا إلى السنة وجدناها لا تزيد على تقرير هذه الأمور فالكتاب أتى بها أصولا يرجع إليها والسنة أتت بها تفريعا على الكتاب وبيانا لما فيه منها فلا تجد في السنة إلا ما هو راجع إلى تلك الأقسام"[1]

ومما قرره القرآن الكريم من مقاصد عامة كبرى، وجاءت السنة مفصلة لها مؤكدة علها ومبينة لكيفية تنزيلها، مايلي:

–مقصد العبادة: وهو المقصد الذي خلق من أجله الإنسان لعبادة الواحد الأحد، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البَقَرَةِ : ٢١] ، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذَّارِيَات : ٥٦] ، فقد، وردت أحاديث كثيرة فصلت أحكام العبادات الواجبة والتطوعية من نوافل الصلوات والأذكار والأدعية، كلها ترسيخا لمقصد التعبد لله تعالى، وهو المقصد الأعلى الذي خلق من أجله الإنسان. ومنه مقصد الامتثال والطاعة الذي أصله القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢﴾ [المَائـِدَة : ٩٢] وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠﴾ [الأَنفَال 20-21، فإن السنة النبوية بإرشاداتها المختلفة وتوجيهاتها المتعددة المتنوعة ترتقي بالإنسان إلى مستوى الامتثال الاختياري عن قناعة ورضا ليكون صالحا مؤتمرا بأوامر الله تعالى مجتنبا لنواهيه، بعيدا عن المعاصي والمنكرات التي تنزل به إلى درجة

[1] – **المصدر نفسه**، ج4، ص27.

الحيوانية[1]، وهذا مقصد عظيم نبه إليه الإمام الشاطبي بقوله: "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدا الله اختيارا، كما هوعبد الله اضطرار"[2]، ومن جملة ما جاء في السنة لترسيخ هذا المقصد، ما ورد عن أبي هريرة أن رسول الله عليه وسلم قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي قالوا يا رسول الله ومن يأبي قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"[3] ، وعن أبي موسى عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير الغريان فالنّجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق"[4]

- **مقصد تزكية النفس**: وهو من المقاصد العليا التي قررها القرآن الكريم في عدة آيات، وعلق عليه فلاح الإنسان وسعادته ونجاته في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأَعْلَى : ١٤ - ١٥] ، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشَّمْس : ٩ - ١٠] . فجاءت السنة بتوجيهات عملية كثيرة لتحقيق هذا المقصد في حياة المسلم كفرد، وفي حياة المسلمين كمجتمع، نجد ذلك في الأحاديث كثيرة التي دعت إلى حفظ اللسان والتوبة وتطهير القلب من الشرك والبغضاء والحسد وكل الآثام، وإعماره بالخشية وحب الله والخوف والرجاء؛ وتخليص النفس من النفاق الأخلاق، والكف عن محارم الله

---

[1]- في قوله تعالى: (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن لهم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) الفرقان:44.

[2]- **الموافقات**،مصدر سابق، 3/151و152.

[3]- رواه مسلم في **كتاب الفضائل**، ح:4233.

[4]- أخرجه النسائي في الكبرى(10405) ، والحاكم (2000) وقال :صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي في شعب الإيمان(761) .

تعالى والمحافظة على الطاعات، والمسارعة إلى الخيرات، والأحاديث النبوية في ذلك كثيرة، وكثير من أدعية النبي عليه وسلم كان فيها تركيز على تزكية النفس وتهذيبها واستقامة السلوك، منها ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة: "ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين"[1] ، وعن بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم إني أسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى"[2]

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه حين سئل عما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول؟ قال: كان يقول: "اللّهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها"[3]

– **مقصد حفظ البيئة:** فحفظ البيئة من المقاصد العامة في القرآن جاءت السنة بأحكام ومقاصد تفصيلية تتعلق بكل جوانبه التطبيقية، كالأحاديث التي تحث على إماطة الأذى، وترغب في غرس الأشجار، والمحافظة على الثروة المائية بعدم إسرافها، والإحسان إلى الحيوان، والنهي عن الصيد العشوائي للحيوان، واتخاذ الحيوان غرضا للقتل واللهو واللعب، وكذا قطع الأشجار لغير حاجة، وذم الإسراف والتبذير.

[1]ــ أخرجه مسلم، **كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار**، باب التعوذ من شر ما عمل، 2721.

[2]ــأخرجه مسلم، **كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار**، باب التعوذ من شر ما عمل، 2722.

[3]ــ صحيح البخاري، كتاب **الاعتصام بالكتاب والسنة**، 7280.

الفرع الخامس: مقاصد السنة النبوية في هداية الفكر واستقامة السلوك:

أولا: دور مقاصد السنة في توجيه الفكر والاجتهاد:

كان الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم من مجتهدي الأمة يحدث بينهم الاختلاف في الفهم والتأويل والاستنباط، وتتنوع آراؤهم واجتهاداتهم، ويعدون ذلك أمرا طبيعيا، ويسارعون إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه وسلم لحل تنازعهم واختلافهم بكل سهولة وإذعان.[1]

لكن ما ظهر من تباعد بين الآراء أو النفور في المواقف تجاه المسائل الفكرية والدينية والتي يشتد حول الاختلاف، وتوزيع أحكام التبديع والتفسيق والتكفير على المخالفين في الرأي، كثيرا ما كان ينتج عن قصور في الفهم وتعصب للرأي أو إتباع الهوى أو الانتصار للمصالح الضيقة، أو بسبب التعسف في تأويل نصوص الشرع، مع أن الرجوع الجاد إلى الكتاب والسنة والإذعان المخلص لهما كفيل بالقضاء على الظواهر المتطرفة في الفكر والعمل التي طالما أضرت بالمسلمين[2].

فإدراك أهمية مرجعية السنة النبوية المبينة للقرآن الكريم، والتمسك بها يمكن للمسلمين أن يتجاوزا الكثير من الاختلافات والنزاعات، وأن يحفظوا تماسكهم ووحدتهم[3] . فمقاصد السنة كمصدر إيماني وتشريعي وتوجيهي لها دورها المهم في توجيه المسلمين وفي ضبط العقدية والفكرية والتشريعية، وإعادة مكانتها واعتبارها كمرجعية دينية سامية مثلها مثل القرآن، حتى تحدث في الأمة أثرها الطيب، وتنهض وترتقي بفهمنا وإدراكنا، وذلك لا يتأتى إلا بسلامة الوعي بمقاصدها وغاياتها وإرشاداتها[4].

---

[1]ـ السيد علي الأمين، **مرجعية القرآن بين الماضي والحاضر**، المرجع السابق.

[2]ـ السيد علي الأمين، **مرجعية القرآن بين الماضي والحاضر**، المرجع السابق.

[3]ـ **المرجع نفسه**.

[4]ـ الطيب برغوث، **المدخل السنني**، ص: 25.

والسنة النبوية غنية بالمعاني والحكم والأحكام والمعارف المتنوعة عن الأنفس والحياة والوجود، ما يمكن أن يشكل ذلك إطارا مرجعيا لبناء المعرفة والفكر على أسس سليمة، وذلك بحسن استثمار مقاصدها ومعانيها في هداية العقل وتوجيهه لمواجهة الحياة وتحدياتها، وتنمية وعيه بسنن التغيير والتمكين.

فالوعي بمقاصد السنة النبوية صار أمرا ضروريا، وهو من أبرز وجوه التدبر في السنة النبوية التي تم الغفلة عنها فيما مضى من الدراسات والتصانيف الشرعية، فهي تشكل إطار مرجعيا ومنهجيا وعلميا ومعرفيا وتنظيريا، بل تُعتبر علامات ومنارات وهدايات لمن رام الاجتهاد أو النظر أو الفهم أو تنزيل الأحكام. فأي تصادم معها، أو العمل على خلافها، أو تفويت لحقائقها، أو تضييع لقيمها، هو سير على غير هدى.

إن القيام بمهمة التبليغ والدعوة إلى الله تعالى، وإصلاح أحوال المسلمين، يجعلنا بحاجة مستمرة إلى التفات واع وبصير إلى جزئيات المقاصد والمعاني المفصلة في فروع الأحكام الواردة في السنة النبوية، وميزة هذه المقاصد المستخلصة من السنة النبوية أنها تفصيلية وعملية، تحدي الرأي وتمكن المجتهد أو المفتي من النظر السليم، والفهم البصير. وهذا العطاء المقاصدي النبوي معينه لا يتوقف أبدا في إمداد المسلم بالهداية والصواب، ودفع طاقة الاجتهاد المستمر نحو التجديد ومسايرة العصر وإمداد الحياة بالحلول الشرعية وفق أهداف الشريعة وتوجيهاتها.

ثانيا: السنة النبوية في ترسيخ مقصد الاعتدال في الالتزام

تضمنت السنة النبوية معاني نبيلة يمكن أن تشكل قيما لتقويم السلوك الاجتماعي، وصناعة أعراف سليمة، تنشر بينهم قيم التسامح والتعاون والاحترام المتبادل.

من ذلك مقصد التيسير والاعتدال والبعد عن الغلو في الدين، فهو مقصد عظيم في الشريعة، وجاءت نصوص السنة النبوية واضحة الدلالة في الحث عليه، وفصلته في وقائع مختلفة ومناسبات متعددة، من ذلك ما روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن

هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق"[1]، والأمر بالتيسير والتخفيف كانت وصية الرسول علي الله لأصحابه، فقد روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: "بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا".[2] فهذه الأحاديث وغيرها كثير تدعو إلى التيسير والاعتدال في العبادة، والسماحة والعفو، والإحسان إلى الخلق، ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان، وغيرها من القيم التي تشكل منظومة سلوكية صالحة كفيلة بأن تُبعد عن الانحراف والانحلال والتطرف العنيف والشذوذ في الفكر والالتزام، تلك الظواهر الشاذة التي عانى منها المجتمع الإسلامي طويلا ولا يزال.

إن الفهم الخاطئ والتدين المغشوش، والتطرف العنيف، أفرز أشكالا من العنف والتطرف والتشدد، مع الاعتقاد بأن ذلك يمثل مظاهر غير طبيعية لا تمت بصلة إلى سماحة الدين ووسطيته وقيمه النبيلة، وحذرت منها السنة النبوية نفسها في نصوصها الكثيرة، فعن أبي هريرة عن النبي عليه وسلم قال: "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"[3]. وقال لمعاذ لما أطال بالناس في الصلاة "يا معاذ أفتان أنت أو أفاتن ثلاث مرار فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة"، وما جاء في السنة أن رجلا قال والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت رسول الله علي الله في موعظة أشد غضبا منه يومئذ ثم قال: "إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة"[4]، وقال: "سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد

---

[1]ـــرواه أحمد في مسنده، ح:12579. وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع"،ح:2246.

[2]ـــمسلم في **كتاب الجهاد والسير**، باب في الأمر بالتيسر وترك التنفير، ح:3262.

[3]ـــ رواه البخاري، **كتاب الإيمان**، باب الدين يسر، ح 39.

[4]ـــ أخرجه البخاري بهذا اللفظ في **كتاب الآذان**، باب من شكا إمامه، ح705.

القصد تبلغوا"[1]، وعن عائشة قالت دخل علي رسول الله وعندي امرأة فقال: (من هذه)، قالت: هذه فلانة تذكر من صلاتها قال: " عليكم من العمل ما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا" وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه.[2]

هذه النصوص من السنة النبوية في وقائع مختلفة يستخلص منها مقصدا عظيما في طبيعة الالتزام القائم على الوسطية والاعتدال، وتؤسس لمجتمع متسامح خال من التطرف والفساد والانحراف، وبعيد عن العنف اللفظي والفعلي.

إن الالتزام بتعاليم الدين السمحة كما بينتها السنة النبوية ضمان لتحقيق الوسطية والاعتدال، ورفض كل ميل إلى التشدد والغلو، واعتبرته خروج عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم حتى ولو كان بنية حسنة، فسلوكات التشدد والغلو في الدين غالبا ما تنتج عن سوء تأويل أو عدم البصيرة بالمقاصد أو انحراف في تفسير نصوص الشرع، كما في حديث النفر الثلاث، فقد جاء في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم و قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله إليهم فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"[3]

---

[1]ــ رواه مسلم في **كتاب الصلاة**، ح 713.

[2]ــ رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، **كتاب الرقاق**، باب القصد والمداومة على العمل، ح6463.

[3]ــ رواه مسلم عن ثابت بن قيس في **كتاب النكاح**، ح2487.

فالفهم السليم المستبصر بالمقاصد هو الكفيل بأن يثمر خلق الاعتدال في الالتزام، ويبعد عن الغلو والتشدد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شرح الحديث النبوي السابق: (وإياكم والغلو في الدين): "عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال"[1]

المطلب الثالث: السنة النبوية في فكر محمد الغزالي

شكلت السنة النبوية المطهرة، رافدا مهما من روافد التكوين والفهم لشريعة الإسلام في الخطاب الدعوي للشيخ محمد الغزالي، حاول في مشروعه الفكري الدفاع عن حجيتها ومكانتها في التشريع الإسلامي، كمصدر موجه وشارح ومفصل للقرآن الكريم.

يعالج هذا المطلب مكانة السنة النبوية في فكر محمد الغزالي.

الفرع الأول: منهج الغزالي في التعامل مع السنة النبوية

في محاولة اسقراء منهج محمد الغزالي في التعامل مع السنة النبوية نسجل ما يلي:

أولا: الربط بين القرآن الكريم والسنة النبوية

من خلال التأكيد على متانة الصلة بين كتاب الله تعالى وسنة رسوله **صلى الله عليه وسلم**، واستحالة الفصل بينهما، "لا قرآن بلا سنة ولا سنة بلا قرآن، وفصل أحدهما عن الآخر زيغ وانحراف"[2]، ويعتقد أن "الإسلام يتكون من الكتاب والسنة كما يتكون الماء من عنصريه الأكسجين والهيدروجين"[3]؛ فإذا فلت الرابط ضاع الإسلام. وذلك لأن "فهم القرآن لا يتم إلا

[1]ـابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، مكتبة الرشد، الرياض، تحقيق ناصر بن عبد العقل، ج:1، ص289-290.

[2]ـمحمد الغزالي، **علل وأدوية** ، دار نهضة مصر ،ص44.

[3]ـمحمد الغزالي، **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، ص192.

بمعرفة السنة" [1] وبخاصة في شق الأحكام العملية، فالقرآن الكريم أورد أغراضه مجملة في كثير من الأحكام، ثم جاءت السنة بتفاصيل دقيقة، تبين أحكام الإسلام في الحياة"[2]، فمن أوجه علاقة السنة بالكتاب أنها قد تقيد مطلقه، وقد تفصل مجمله وتوضح مشكله، وقد عرض الحديث على القرآن الكريم عند محمد الغزالي تخصص أحكاما عامة فيه، فدورها الأساس تبيين كليات الكتاب وخدمة مقاصده وغاياته، ومن جهة أخرى فإن القرآن الكريم يحتفظ بدور الحاكمية والهيمنة على ما سواه، فهو وحده يحتل المرتبة الأولى في بيان حقائق الدين بصورة شمولية[3]؛ ولهذا ذكر محمد الغزالي أنه يعتمد في مصنفاته أولا على نصوص القرآن المجيد في الاستدلال والاستنتاج، مسترشدا بما قد يرد في السنة الشريفة من شرح وتفصيل[4].

ثانيا: الأبعاد المعرفية في التعامل مع السنة النبوية

يرى محمد الغزالي أن في السنة:" كنوزا من الحكمة والمعرفة، وزادا من الأدب والتقوى، ولكن استخراج هذا الخير يحتاج إلى اليد الصناعة والعين البصيرة"[5]، ويلحظ أن الأمة الإسلامية بعضها محكوم بجملة من الأحاديث المتروكة والمنكرة والشاذة، بدلاً من تمسكها بالمتواتر والمشهور والصحيح، وبعضها يفهم الحديث الصحيح على غير فهمه السليم فكان في ذلك ضرر بالغ على العقائد والثقافة الإسلامية[6]، فهو يقرر أن جوهر الأزمة المعرفية لدى الأمة يكمن في تفريطها في فقه كتاب الله تعالى، فتعلقت أفكارها بمرويات وتصورات، بعضها دخيل على

[1] _محمد الغزالي، **ليس من الإسلام** ، ص31.

[2] _محمد الغزالي، **الإسلام المفترى عليه**، ص132.

[3] _محمد الغزالي، **ليس من الإسلام**، ص34.

[4] _محمد الغزالي، **الإسلام والأوضاع الإقتصادية**، ص 14.

[5] _محمد الغزالي، **الإسلام والطاقات المعطلة**، ص61.

[6] _محمد الغزالي، **الطريق من هنا**، ص53.

الإسلام، وبعضها لم يحسن فهمه وإنزاله في موضعه، فكان سببا في تحريف المسلمين عن منهج الله.

يصور محمد الغزالي أثر ذلك قائلا: "أما مسلمو اليوم فصلتُهم بالقرآن لا تغسل من نفوسهم درنا بله أن يغسلوا هم أدران الآخرين، إنهم اتخذوا القرآن مهجورا، وأقاموا في حياتهم حجابا كثيفا بينهم وبين تعاليم القرآن المجيد، فالقرآن كتاب مزهود التوجيه، معطل الأحكام في بلاد الإسلام، ولو جدّ المسلمون معه لكان لهم شأن آخر"[1]، ولم يكن هجران القرآن مقتصرا على عوام الناس بل طال حتى بعض علمائهم حيث قال الغزالي: "كل ما نحرص نحن عليه شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها، مستغرقون في شؤون أخرى تعجزهم عن تشرب الوحي"[2] وهو ما كان له انعكاس سلبي على مختلف شؤون الحياة في حاضر المسلمين.

كما يؤكد الغزالي على النظرة الشمولية في فهم النصوص فقال: "لابد– للمتحدث في الإسلام– من دراسة شاملة للقرآن الكريم، وإحاطة واعية بنظراته في الحياة، وتناوله لشؤونها، ولابد كذلك أن يجيل بصره في طول السنة وعرضها، غير مكتف بمعرفة القليل منها، فإذا ورد حديث ما لم يفهم على حده؛ إنما يفهم على ضوء ما استقر في الأذهان من جملة الكتاب والسنة"[3]، فيعتبر أن إعطاء العناية البالغة للأحاديث دون الاهتمام بالقرآن ليس طريقا قويما في فهم الدين، ولذا لابد من النظرة الشمولية المتعمقة في نصوص القرآن والسنة، للإحاطة التامة بكليات الوحي وجزئياته وإنزال النصوص في مواطنها.

---

[1]_ محمد الغزالي، **الإسلام والطاقات المعطلة**، ، 56 ، 57

[2]_ محمد الغزالي، **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث** ، ص 37

[3]_ محمد الغزالي، **كيف نفهم الإسلام**، ص186.

ثالثا: القرآن الكريم والسنة النبوية

يرى محمد الغزالي أن العودة إلى كتاب الله هي السبيل لعودة الفعالية الحضارية للأمة الإسلامية، حيث يقول: "وسبيل الرشد في هذه العماية أن نعود إلى القرآن، فنجعله دعامة حياتنا العقلية والروحية، فإذا وصلنا إلى درجة التشبع منه، نظرنا في السنة فانتفعنا بحكمة رسول الله ﷺ وسيرته وعبادته وخلقه وحكمه، ولا يجوز أن يتكلم في السنة رجل قليل الخبرة بالقرآن، أو قليل الخبرة بالمرويات أو ضعيف البصر بمواقعها ومناسباتها"[1].ومستنده في هذا هو أن القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على رسوله **محمد صلى الله عليه وسلم**، كلام عصمه الله من الدس والتزييف، وجعله مصدقا لما بين يديه من هداية السماء ومهيمنا عليها وخاتما لها، وفيه المقياس الفاصل بين الحق والباطل، وبين المعروف والمنكر، وفيه تبيان الصراط المستقيم، صراط الحق والعدل والخير[2]، فتقديم القرآن على السنة والحديث؛ لأنه كلام الله أولا؛ و لأنه قطعي الثبوت جملة وتفصيلا، بينما السنة مقطوع بثبوتها جملة، وغير مقطوع بها تفصيلا، فمنها ما هو قطعي الثبوت، ومنها ما هو ظنّي.

ويرى محمد الغزالي أن من الخطأ الجسيم صرف الاهتمام إلى الأحاديث دون القرآن الذي هو دستور الإسلام الأول، ويرفض أن يشتغل بالحديث رجلُ فقير في القرآن، وإن كان ذلك الحديث من الصحاح، ففي ذلك "قلب للأوضاع، ومزلفة للخطأ في تصور حقائق الدين، وفي ترتيب صغراها وكبراها"[3] ؛ فعندما لا تُضبط نصوص السنة بكليات القرآن وأطره تنشأ مفاهيم مجزأة ومبتورة، تشوش على حقائق الدين وغاياته الكبرى.

---

[1] _ محمد الغزالي، **فقه السيرة**، ص38.

[2] _ محمد الغزالي **الإسلام والطاقات المعطلة** ، ص 164.

[3] _ **المصدر نفسه** ص 164.

وليس مقصود الغزالي من ذلك إهمال السنة أو ترك العمل بها، ولا هو انصراف عنها، وإنما يوصي بتدبّر القرآن الكريم وإدامة النظر فيه، لاستصحاب معانيه عند دراسة السنة، فالمحذور الذي حذر منه هو تلك النظرة الأحادية، وهي "أن يكون المرء عابرَ طريق أمام آيات الله، ومطيل المكث أمام بعض الأخبار، فهذا غير سائغ" [1]، فهو ينتقد مقولة بعضهم: "القرآن أحوج إلى السنة، من السنة إلى القرآن"، ويعتبرها موازنة خاطئة، مقررا أنه يجب أن نؤمن بالكتاب والسنة معا، وأن السنة فرع والكتاب أصل"[2]، ولكل وزنه وسياقه في التدبر والتنزيل.

كما يرى محمد الغزالي أن تقديم ما سوى القرآن عليه يتنافى وحقيقة الإيمان بكتاب الله تعالى وبأوصافه العليا، حيث قال: "والمؤمن بالقرآن الكريم يستحيل أن يرجح على دلالته دلالة، أو أن يشرك مع توجيهه هديا؛ ذلك أن القرآن يعلو ولا يعلى عليه، وأنه يحكم على سائر الأدلة الأخرى، ولا يحكم شيء منها عليه، ويستحيل -بداهة- أن يكون في مصادر التشريع الأخرى ما يعارضه أو يسير في مجرى يغاير اتجاهه، ولو وجد شيء من ذلك فهو دخيل على دين الله" [3]، فالمرجّح عند التعارض بين النصوص هو القرآن على غيره من الأدلة.

ويفرق الغزالي بين السنة المتواترة وحديث الآحاد، فمن السنة ما هو متواتر عمليا ومتوارث عبر الأجيال دون اختلاف فيه، فذاك لا يقل في ثبوته عن القرآن الكريم نفسه كهيئات الصلاة مثلا، ومنها ما هو متواتر المعنى، ومنها ما دون ذلك، ولكل مرتبته واعتباره، فسنن الآحاد الصحيحة تجيء في المنزلة الثانية بعد المقطوع به من الكتاب والسنة المتواترة، وخبر الآحاد لا يقدم على القرآن الكريم عند التعارض [4].

---

[1] ـ محمد الغزالي، **تراثنا الفكري** ،ص 182.

[2] ـ **المصدر نفسه** ، ص 182

[3] ـ **ليس من الإسلام** ،مصدر سابق، ص29.

[4] ـ **كيف نفهم الإسلام**، مصدر سابق ، ص195.

وتفريعا على ما سبق، نجد محمد الغزالي في أغلب مؤلفاته يحرص عمليا على تقديم إيماءات القرآن الكريم على إيماءات الحديث، ولا يمكن اعتبار هذا المنهج في ترتيب مصادر التشريع، إنكارا للسنة وحجيتها أو إقلالا من شأنها، وإنما هو وضع للشيء في موضعه المعرفي المناسب له.

رابعا: الحديث في ضوء القرآن الكريم

أكد الشيخ الغزالي على أهمية جهود السابقين من الحفاظ والنقاد في حفظ السنة النبوية، وأشاد بفضلهم ومكانتهم: "نقاد الحديث، أولئك الرجال الأذكياء الذين صانوا تراث النبوة عن أن تزيد فيه الأهواء، فقد كانوا إذا ما رأوا حديثا دخيلا، يكشفون زيفه ثم يقولون عنه: إنه لا تلوح عليه أنوار النبوة"[1].

وذكر أنه لقبول حديث الآحاد وضع العلماء لصحة روايته شروطاً معقولة ليضمنوا نسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الشروط هي: الأول: ضبط الرواة، والثاني: صدقهم، والثالث: اتصال سندهم إلى الرسول، والرابع: كون المتن خاليا من الشذوذ، والخامس: سلامته من العلل القادحة، وهي نفسها شروط تعريف الحديث الصحيح المعروفة لدى المحدثين[2].

لكنه استدرك عليهم أن الشرطين "الرابع والخامس لم يلقيا من دقة التنفيذ ما يجب، فما أكثر الأحاديث التي صحت أسانيدها، ومع ذلك خالفت ما هو أوثق منها، أو حفت بها من الشبه ما يقدح في قيمتها، ومع ذلك تلقاها الناس بالقبول!"[3]، ويرى الشيخ هنا أن عمل الفقهاء ملازم و متمم لعمل المحدثين؛ فعلماء التفسير والفقه والعقائد مسؤولون أيضا عن كشف

---

[1] ــ محمد الغزالي، **تاملات في الدين والحياة**، ص 71.

[2] ــ **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، مصدر سابق ص20.

[3] ــمحمد الغزالي، **الإسلام والطاقات المعطلة** ، ص60.

الشذوذ والعلة في الحديث؛ إذ قد يخفى بعض ذلك عن المحدثين، فليس الاجتهاد في الحكم على الحديث حكرا عليهم[1]

فكتب الصحاح -على منزلتها ومكانتها- غير مقدسة ولا معصومة؛ فلا مانع من الأخذ منها والرد تحريا واجتهاداً لا استنكافاً وهوئ. "أما الصحاح فإن في تفاوت دلالتها مجالاً رحبا للترجيح والرد، وما من إمام فقيه إلا ردّ بعض ما صح، إيثارا لما ظهر أنه أصح، ومعاذ الله أن نشغب على السنة، فهي الأصل الثاني للإسلام يقينا، بيد أني إذا تتبعت السنن فعرفت أنها-في جملتها- تتفق مع القرآن الكريم"[2]، ويرى أنه "قد تتفاوت الأنظار في تقدير المرويات، والحكم بقبولها أو رفضها، ولكن لا يصل هذا إلى ترك السنة، وعندما يترك فقيه حديثا من أحاديث الأحاد، فهو لا يتهم بترك السنة، وغاية ما يوصف به أنه شديد التحري في الإثبات"[3] ، فهو وصف مدح لا ذمّ، ودفاع عن حجية السنة النبوية المطهرة لا طعن فيها.

وبعد هذه السياحة في أهم ركائز التجديد على مستوى الفكر والتصور، نؤكد على الاهمية البالغة لهذه المباحث الثلاث في وحدة التصور لكليات الخطاب الدعوي وأركانه. كقاعدة عمل لمتصدري المجال الدعوي في الواقع المعاصر. فالحديث عن قضايا الإيمان والعقيدة ومركزية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من الاهمية بمكان في سياق البحث في موضوع التجديد، كمعالم أساسية في صناعة الخطاب الدعوي المعاصر وتوجيهه.

فكان لزاما على المشتغلين بالدعوة، التجديد الدائم للعلوم المتعلقة بها وتطوير منهجية التفاعل المعرفي في عرضها والتأسيس لقاعدة بيانات في علومها ومباحثها.

---

[1]ــ **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث** ، مصدر سابق، ص21.

[2]ــ محمد الغزالي، **فقه السيرة**، ص13.

[3]ــ محمد الغزالي، **مشكلات في طريق الحياة الإسلامية**، ص 105.

وأي اخلال منهجي في الفهم، أو سوء تفاعل مع موضوعات علم الكلام، أو قلة فهم لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية هو اخلال بتوازن الخطاب الدعوي ووسطيته وعالميته وشموله.

الفصل الثالث:

من قضايا التجديد في الخطاب الدعوي المعاصر.

كثيرة هي قضايا التجديد في الخطاب الدعوي المعاصر، كعلاقة االدعوة بقضايا الإصلاح في مختلف المجالات: الدعوة الإسلامية وشؤون الأسرة، الدعوة الإسلامية وقضايا الشباب، الدعوة الإسلامية وتحديات العولمة، المرأة في الخطاب الدعوي، وغيرها من القضايا التي تحتاج إلى دراسة ونقاش في الخطاب الدعوي المعاصر، ونركز في هذا الفصل على ما نعتقده أهم القضايا في الراهن الدعوي المعاصر توزعت على ثلاث مباحث وفق ما يلي:

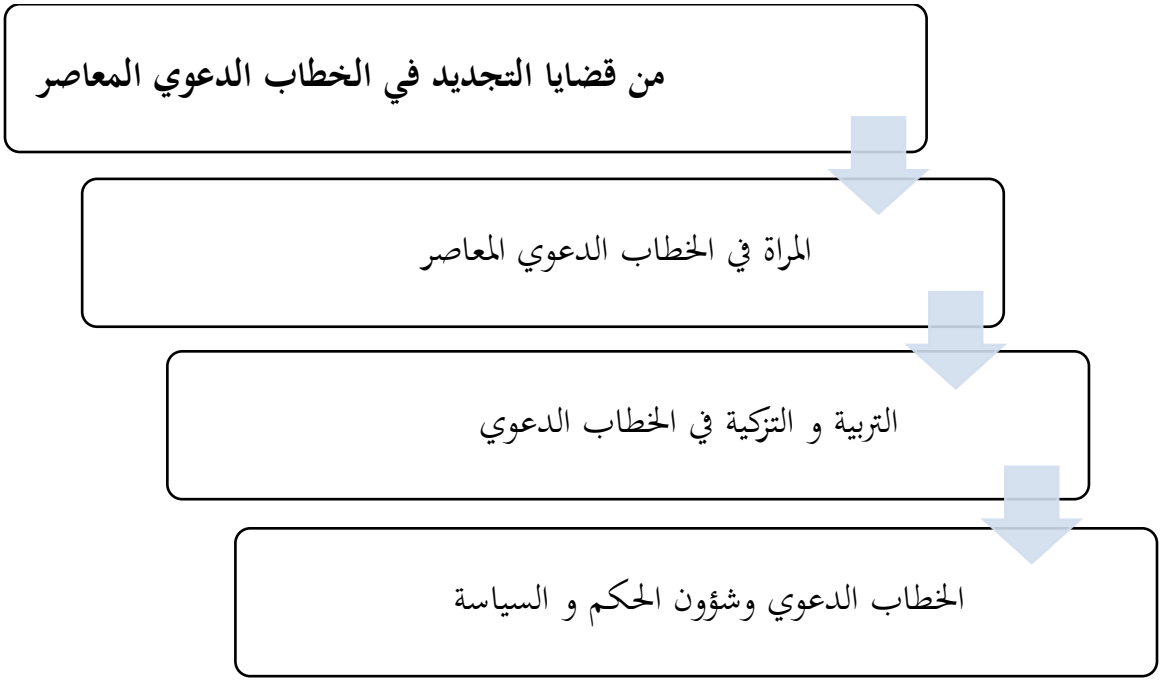

المبحث الأول:

المرأة في الخطاب الإسلامي المعاصر

إن هناك تقاليد وضعها الناس ولم يضعها رب الناس دحرجت الوضع الثقافي والاجتماعي للمرأة، واستبقت في معاملتها الجاهلية الاولى، وأبت إعمال تعاليم الإسلامية الجديدة فكانت النتائج أن هبط مستوى التربية ومال ميزان الأمة كلها مع التجهيل المتعمد للمرأة والانتقاص الشديد لحقوقها . ـــــــــــــــــــ محمد الغزالي

الحديث عن المرأة ودورها في الاسرة والمجتمع، لم يقتصر على الخطاب الدعوي الإسلامي، ولا اقتصر على العالم العربي والإسلامي فقط، وإنما شغل الفلاسفة والمفكرين قديما وحديثا، عبر مختلف مراحل التاريخ الإنساني، ولا يزال موضوع المرأة يثير الكثير من الجدل حول مكانتها ودورها، وفيما يلي نقاش حول الموضوع من الناحية التاريخية، وكذا بيان الدور المنتظر من المرأة المسلمة في العصر الحديث وموقعها في خطاب الدعوة الإسلامية المعاصر.

المطلب الأول: المرأة عبر الحضارات والديانات المختلفة

تجلت إرادة الخالق سبحانه وتعالى في اعمار الأرض بخلقه آدم وحواء، وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الرُّوم : ٢١] ، فبعد أن كرم الله سبحانه وتعالى آدم وحواء، أعد لكل من هما وظيفة خاصة به دون تمييز بينهما، لكن شاءت الأقدار للمرأة عبر العصور أن تحتقر وتضطهد، وتذل وتسلب حقوقها، ويستأثر الرجل بأغلب هذه الحقوق.

تباينت مكانة المرأة عبر الحضارات والديانات المختلفة، فمنهم من أعطاها بعض حقوقها، ومنهم من حرمها الحق في الحياة.

أولا : مكانة المرأة في الحضارات القديمة

مكانة المرأة تتفاوت بما يمنح لها من حقوق وحريات، وقد اختلفت نظرة الشعوب إلى المرأة عبر التاريخ. واختلف الناس في تحديد قيمتها وفي تقدير مكانتها الاجتماعية، من عصر إلى عصر، طورا يحسنون إليها، وأطوارا أخرى يسيئون إليها، فالقوانين الخاصة بالمرأة كانت تتسم بعدم الاعتدال، حيث حرمت المرأة من حقها في الحياة الاجتماعية، وعدت سلعة تباع وتشترى،

ولبيان مكانة المرأة ينبغي الرجوع إلى تاريخ الحضارات القديمة، وفيما يلي لمحة موجزة عن مكانة المرأة في هذه الحضارات.

مكانة المرأة في الحضارات البدائية

اعتبرت العصور البدائية عصور ذهبية للمرأة عامة وللزوجة خاصة، إذ كانت هذه الأخيرة عصب العائلة، وينتسب الأولاد إليها، ولها مرتبة أعلى من مرتبة الرجل، وكانت محترمة من طرف العشيرة، حظيت بالتقديس لأنها السبب في استمرارية البشرية، لكن مع تطور الإنسان، ومع زيادة الإنتاج والثروة، وفي عهد الملكية الخاصة، فرض الرجل سيطرته في المجتمع، لينزع من المرأة حقها في انتساب الأولاد إليها، ويورثهم كل أملاكه، وتتراجع بذلك مكانة المرأة.[1]

مكانة المرأة في بلاد الرافدين

رغم أن المرأة في بلاد الرافدين كان لها الحق في أن تدير بيتها ومزرعتها، وأن الشرائع الميزوبتامية أعطت للمرأة حقوقا من أهمها حق البيع والتجارة والتملك، إلا أن الرجل كان هو المسيطر في كل الأحوال، فكان من حقه بيع زوجته لسداد ما عليه من الديون، كما أن الحكم الأخلاقي على الرجل يختلف عن المرأة، فزنا الرجل كان يعد من النزوات التي يمكن الصفح عنها، أما زنا المرأة (الزوجة) فكان عقابه الإعدام.[2]

وفي قوانين حمورابي التي تعتبر أكمل نص تشريعي قديم ظهر حتى اليوم، أعطى فيه للأب سلطة بيع أفراد أسرته أو هبتهم للغير مدة من الزمن، كما نص القانون بأن المرأة إذا أهملت زوجها أو تسببت في خراب بيتها تلقى في النهر، ونص كذلك على أنه عند اتهام الزوجة بالزنا

---

[1]- ناي بتسادون ، **حقوق المرأة**، ترجمة وجيه البعنيني، دار عويدات للنشر والطباعة، لبنان2012، ص5.

[2]- محمد الحسن علي أميمة ، **حقوق المرأة بين الإسلام وأهواء الغرب**، معهد العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا2011، ص 4.

دون دليل على ذلك وتناولتها ألسنة الناس تلقي في النهر وتغطس في الماء، فإذا عامت على وجه الماء كانت بريئة وإذا غطست اعتبرت آثمة[1] .

أما شريعة القصاص فقد تدنت بمنزلة المرأة تدنياً كبيراً، فمن قتل بنت رجل كان عليه أن يسلم ابنته له ليقتلها أو يمتلكها، والمرأة البابلية لم يكن لها أن ترث إلا في حالة عدم وجود الذكور، أو كانت المرأة كاهنة، أما الأرملة فلم يكن لها من الميراث شيء إلا بقاءها في منزل الزوجية، أما إذا تركت الزوج فلا ترث منه شيئا[2]

كما كان يتصل بالهياكل عدد من النساء، منهن الخادمات، ومنهن السراري للآلهة أو ممثليهم، الذين يقومون مقامهم على الأرض، ولم تكن الفتاة في تلك الفترة ترى شيئا من العار في أن تخدم الهياكل على هذا النحو، وكان أبوها يفخر بأن يهب جمالها ومفاتنها لتخفيف ما يعتري حياة الكهان المقدسة من ملل وسأمة، وكان يحتفل بإدخال ابنته في هذه الخدمة المقدسة، ويقرب القرابين في هذا الاحتفال[3]، وفي الحضارة الفرعونية حقوق لم تحصل عليها مثيلاتها في الحضارات الأخرى، فقد وصلت إلى الحكم وأحاطتها الأساطير، وكانت المرأة المصرية لها سلطة قوية على إدارة البيت والحقل واختيار الزوج، غير أن الفراعنة في كثير من الأحيان يضحون بأجمل فتاة كقربان لرضا الآلهة. [4]

---

[1] – بيير كروفيلهير، **تعليق على مدونة حمورابي** ، مكتبة إرنست ليرو، باريس. 1938، صفحة 129.

[2]– محمد حسن، **مكانة المرأة في التشريع الإسلامي**، ج4، مركز دراسات المرأة والتنمية جامعة الأزهر(،القاهرة. 1977، ص 15.

[3]– ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج2، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت 1988،

[4]– مريم إبراهيم أبو كشوة، **مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام ومقارنتها مع واقعها ومكانتها بعد الإسلام**، من أعمال الملتقى الدولي الأول للسيرة النبوية الشريفة، السودان، 2013 ص119.

المرأة عند الإغريق

كانت المرأة عند الإغريق محتقرة مهانة، وقد عوملت معاملة المخلوقات الوضيعة، حتى أنهم اعتبروها رجسا من عمل الشيطان، وكانت كسقط المتاع تباع وتشتري في الأسواق [1]. وما يدعم هذا الكلام ما قاله الفيلسوف سقراط قائلا: " إن وجود المرأة هو أكبر منشأ، ومصدر للأزمة والانهيار في العالم، وإن المرأة تشبه شجرة مسمومة، حيث يكون ظاهرها جميلا، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالا" [2]

كما كانت مسلوبة الحقوق محرومة من الميراث وحق التصرف في المال، وكانت في غاية الانحطاط وسوء الحال، فيقول أرسطو: " ثلاث ليس لهم القدرة على التصرف في أنفسهم العبد فليس له إرادة، والطفل له إرادة ناقصة، والمرأة لها إرادة لكنها عاجزة "[3]

وكانوا يعتبرون أن المرأة لا تساوي الرجل إنسانياً، بل كانوا يعتبرونها كائنا أدنى من الرجل وأقل سموا من الناحية الأخلاقية، ولم يكن ذلك مقصورا على عامتهم بل كان الرأي السائد لدى شعرائهم وكتابهم وفلاسفتهم، ولم يقتصر ذلك على فترة معينة من تاريخهم، بل استمر طيلة قرون عديدة ففي الإلياذة كان المحارب إذا أراد أن يسب آخر وأن يعبر له عن احتقاره كان ينعته بأنه امرأة. [4]

فلم يكونوا يحفلون بمشاعرها أو أحاسيسها، حتى النظام الثقافي اليوناني لم يجعل للمرأة أي مراعاة، فأفلاطون في جمهوريته الفاضلة قال: بمشاعية النساء والأولاد، خاصة بين فئتي الجنود والحكام. [5]

---

[1]- سكيكر، **حقوق المرأة وواجباتها في الشرائع**، كتاب الجمهورية، مصر2006، ص 21 .

[2]باسمة كيال، **تطور المرأة عبر التاريخ**، عز الدين للطباعة و النش، بيروت، لبنان.1971 ص 37 .

[3]- المادودي، **الحجاب**، تعريب محمد كاظم السباق ، دار الفكر، دمشق (سوريا)، ط2. 1964 ص8 .

[4]- محمود سلام زناتي، **المرأة عند قدماء اليونان**، الإسكندرية، 1957 ص 30 .

[5]- **قصة الحضارة**، ج2، مرجع سابق، ص 114 .

المرأة عند الرومان

الرومان هم ورثة حضارة اليونان، فنجدهم التزموا بالموقف اليوناني من المرأة وهو موقف الاستهتار بها، واعتقادهم بأنها أقل قدرة من الرجل، لذلك لابد من بقاء سلطة الرجل عليها وتحكمه بها[1].

فلم تكن المرأة في الإمبراطورية الرومانية أحسن من غيرها في ظل الجاهلية، فقد كانت أقبح حالا أو أكثر من ذلك، لأنهم يعتقدون أن المرأة أداة للإغواء وسيلة للخداع وإفساد قلوب الرجال، لذلك كانوا ينظرون إليها نظرة احتقار واستذلال[2]، حيث اعتبر الرومان المرأة متاعا للرجل وسلعة رخيصة يتصرف فيها كيف ما شاء، وحياتها ليست ملكا لها، وإنما لأبيها ثم لزوجها من تاريخ زواجها ثم لأبنائها بعد وفاة زوجها، وملكيتهم لها ملكية السيد للرقيق.[3]

ووصل الأمر بهم إلى حد عدم مراعاة إنسانيتها، فأجازوا للرجل قمع أمومتها ساعة يشاء بأن ينتزع أولادها منها وتركهم يتعرضون للمرض والموت بعيدا عنها وربما أمامها، وكانوا يعتبرون أن المرأة والعبد من جملة أدوات الرجل الضرورية التي لابد منها [4]، ومن شرائعهم: أن العمل الذي يقوم به إنسان تحت تأثير المرأة عمل باطل قانونا، وأن المرأة إن مات زوجها لم ترث من ماله أي شيء.[5]

---

[1]- المصدر نفسه ص 368.

[2]- محمد حسن عبد الباسط ، **مكانة المرأة في التشريع الإسلامي**، ج4، القاهرة. 1977، ص8.

[3]- أميمة النقي، **حقوق المرأة بين الإسلام وأهواء الغرب**، معهد العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.،2011، ص3.

[4]- عاطف مصطفى التتر، **حقوق الزوجة المالية في الفقه الإسلامي** ، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية، غزة. 2006، ص 19.

[5]- **قصة الحضارة**، مرجع سابق ص 118.

ومن عجيب ما ذكرته بعض المصادر، أن ما لاقته المرأة في العصور الرومانية تحت شعارهم المعروف

-ليس للمرأة روح- فيتم تعذيبها بسكب الزيت الحار على بدنها، وربطها بالأعمدة، بل كانوا يربطون بعضها بذيول الخيول، ويسرعون بها بأقصى سرعة حتى تموت.[1]

والأغرب من ذلك كله ما يروي التاريخ من أن الرومان عقدوا مؤتمر للبحث في شؤون المرأة، وانتهى بالقرارات الآتية:

- أن المرأة ليس لها نفس، لذلك فإنها لا تستطيع أن تنال الحياة في الآخرة.
- يجب على المرأة ألا تأكل اللحم، وأن لا تضحك، ويجب عليها أن لا تتكلم.
- المرأة رجس من عمل الشيطان، تستحق الذل والهوان في المجتمع.
- على المرأة أن تقضي حياتها في طاعة الأصنام وخدمة الزوج.

وقد طبق الرومان هذه القرارات فكانوا يضعون قفلا على فم المرأة لمنعها من الكلام، وتمشي في الطريق على فمها قفل من حديد يسمي "موزلير" لأن كلامها أداة للإغراء.[2]

وفي الحياة العامة كانوا ينظرون للمرأة على أنها مجرد متعة للرجل حيث أنهم شجعوا العهر وأباحوه دون أن يراعوا حرمة أو دينا، وكانت هذه المهنة ينظمها القانون ويشرف على تنظيمها وتحديد أجورها. [3]

المرأة عند الفرس

كانت التقاليد الفارسية تحط من قدر المرأة وتهينها، وتنظر إليها نظرة تعصب وتشاءم منها، ففي الديانة الزرادشتية يحقرون شأن المرأة، ويعتقدون أنها سبب الشر الذي يستوجب العذاب

---

[1]- محمد بن أحمد المقدم، **عودة الحجاب**، ط10،ج2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض 2006، ص 47.

[2]- أحمد شلبي، **مقارنة الأديان**، مكتبة النهضة الإسلامية، مصر1973، ج3، ص 207.

[3]- **حقوق الزوجة المالية في الفقه الإسلامي**، مرجع سابق ، ص20

والسخط لدى الآلهة، فلم تكن المرأة الفارسية في مكانة تختلف عن مثيلاتها في المجتمعات القديمة، حيث قرر الفرس بعد جدال ونقاش أن المرأة إنسان إلا أنها خلقت للذل والهوان، ولتكون في خدمة الرجل وتحت أمره ونهيه يتصرف فيها كتصرفه في السلعة، وله أن يحكم عليها بالموت. [1]

كما عليها أن تعيش تحت أنماط الظلم، فكان للزوج السلطة الكاملة والتامة في التصرف في زوجته، وكان تعدد الزوجات دون قيد وشرط تشجيعا للنسل. [2]

وكانت ولادة البنت عند الفرس تجلب اللوعة والحسرة، لأنهم يربوهن لمنزل رجل أخر يجني منها الفائدة، أما والدها فلا يستفيد منها شيئا. [3]

المرأة عند الهنود

كانت نظرة الهنود إلى المرأة بين الإفراط والتفريط، فهي ذليلة مهينة ليس لها حق الاستقلال عن أبيها وزجها أو ولدها، فإذا مات هؤلاء وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها، وهي قاصرة طيلة حياتها، وتحرم من الحقوق الملكية والإرث، وتبقى ملكا للرجل مدة حيازته لها حتى آخر أنفاسها.[4]

كما اعتبروا المرأة دون الرجل منذ الولادة والخلق الأول، ففي أساطيرهم أن المبدع الإلهي عندما أراد خلق المرأة وجد أن مواد الخلق قد نفذت كلها في صناعة الرجل، ولم يبق لديه من العناصر الصلبة بقية، فحل هذه المشكلة عن طريق البقايا المتناثرة من خلق الرجل، فصاغ المرأة مما تبقى من القصاصات التي تناثرت من عمليات الخلق السابقة.[5]

---

[1]- صفاء عوفى، **قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري**، رسالة ماجستير، جامعة غزة ، فلسطين. 2005، ص 8.

[2]- محمد فريحة، **حقوق المرأة المسلمة في القرآن و السنة**، بيروت ، 1996، ص12.

[3]- **حقوق المرأة بين الإسلام وأهواء الغرب**، مصدر سابق ص3 .

[4]- مصطفى السباعي، **المرأة بين الفقه والقانون**، مكتبة الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999، ص178.

[5]- **قصة الحضارة**، مرجع سابق ص 178.

والمرأة عند الهنود مادة الإثم وعنوان الانحطاط الخلقي والروحي، ولا خير فيها، ومما ورد في شرائع مانو أن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار خير من المرأة.[1] كما جاء أن الزوجة الوفية يجب أن تخدم زوجها كما لو كان إلها، وألا يأتي شيء من شأنه أن يؤلمه حتى وإن خلا من الفضائل، وعلى المرأة أن تخاطب زوجها في خشوع قائلة له: " يا مولاي وأحيانا يا إلهي"، وتمشي خلفه بمسافة ولا تتكلم معه، ولا تأكل معه، بل تأكل مما يتبقى من الأكل. [2]

كما لم يكن لها حق الحياة بعد وفاة زوجها، بل يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تحرق معه وهي حية على موقد واحد، وإذا رضيت أن تعيش بعد زوجها، فهي قد تخففت من الموت المادي إلى نوع من أنواع الموت المعنوي، فعليها أن تحلق رأسها أو تجدع أنفها أو تصلم أذنها، أو تشوه وجهها، لكي تضمن ألا ينظر إليها بعد زوجها رجل آخر،[3] واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر ميلادي، حيث أبطلت على كره من رجال الدين الهنود،[4] كما كانت تقدم قربانا لآلهة من أجل كسب رضاها لهطول المطر والسعة في الرزق [5]

المرأة في الصين

كانت المرأة في الصين تتجرع كؤوس المهانة صباحا ومساء. وقد رسمت أغنية صينية قديمة صورة وضع المرأة الحقيقي في الصين وقد تضمنت: "ألا ما أتعس حظ المرأة، ليس في العالم كله شيء أقل قيمة منها. إن الأولاد الصبيان يقفون متكئين على الأبواب كأنهم آلهة هبطوا من السماء، أما البنت فإن أحدا لا يسر بمولدها وإذا كبرت اختبأت في حجرتها، ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها" وكان الأب الصيني مثلاً إذا بشر بالأنثى ذهب إلى السوق عارضا إياها

---

[1] المصدر نفسه ص 178 .

[2] صفاء عاشور، **قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري**، مرجع سابق ص 10.

[3] – **المرأة بين الفقه والقانون**، مرجع سابق، ص18.

[4] – عمر رضا كحالة، **المرأة في القديم والحديث**، ط 1، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت. 1979، ص12 .

[5] – قصة الحضارة، مصدر سابق ص 108.

للبيع بأبخس الأثمان، فإن لم يجد من يشتريها أعطاها لأول عابر سبيل بدون مقابل، أو عمد إلى قتلها خنقا في مكان مهجور أو إغراقها أو وأدها في التراب. والتي لم يتم التخلص منها بوسيلة من الوسائل، يصار إلى تشويه أقدامها لمنعها من الخروج من بيت أبيها أو زوجها، وكانت المرأة دائما تحت الوصاية إما من أبيها أو من زوجها أو حتى من ابنها، أو من رجل من أقارب زوجها في النسب.[1]

ثانيا: المرأة عند العرب قبل الإسلام

المرأة عند العرب في الجاهلية الأولى لم تلقى التكريم اللائق بها، بل كانت مهانة ومحتقرة، وقد كانوا يحرصون على كثرة إنجاب البنين في حين يكرهون ولادة الإناث، لأنهن لا يستطعن أن يمنعن الحمى، ولا فائدة منهن عندما تتأزم الأمور، وهن بعد ذلك هدف العدو[2]. لذلك لاقت المرأة ألوانا من الظلم والاضطهاد والمهانة والإذلال منها:

- **وأد البنات:** وقد شهد القرآن الكريم بهذا المشهد البغيض الذي كان ينتظر الأنثى ساعة ولادتها في قوله تعالى ﴿إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النَّحل : ٥٨ - ٥٩] ، ولم تكن مهانة المرأة تقف عند الوأد فقط، فقد كانت تشمل كل جوانب حياة المرأة.
- **الحرمان من المهر:** فقد كانت تحرم من المهر، حيث كان الولي يأخذ المهر ولا يعطيها شيئا.

[1]- غادة الخرسا، **المرأة والإسلام**، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، الطبعة الأولى. 1980، ص 21.

[2]- **قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري**، مرجع سابق، ص20.

- **تعدد الزوجات** : وكان تعدد النساء بلا حدود ودون قيد أو شرط، فضلا عن الطلاق التعسفي وكذا الحرمان من الميراث في حالة الطلاق.[1].

فهذه صورة بشعة لحالة المرأة قبل الإسلام عند العرب وغيرها من الحضارات القديمة، من تعذيب وقتل ووأد واحتقار، فقد تعرضت لمختلف صنوف الإذلال والحرمان.

ثالثا: المرأة في الشرائع السماوية السابقة :

تباينت مكانة المرأة واختلفت حقوقها وواجباتها في الشرائع السماوية، حيث فرضت على المرأة قيود مجحفة في حقها لاسيما المحرفة منها، ولتوضيح مكانة المرأة في الشرائع السماوية لنا وقفات عن حقوق المرأة في هذه الشرائع.

مكانة المرأة في الشريعة اليهودية: رغم أن اليهودية دين سماوي إلا أن اليهود آمنوا ببعض هذا الدين وكفروا ببعضه، وحرفوا كثير من الحقائق، فكانت حالة المرأة سيئة ومهانة، وكانت متاعا يورث فإذا توفى شخص بدون أن ينجب أولادا ذكورا تصبح أرملته زوجة تلقائية لشقيق زوجها، رضيت بذلك أم كرهت، ولا يجوز للزوجة أن تطلب الطلاق مهما كانت الأسباب.[2] اعتبرت الديانة اليهودية المحرفة المرأة مصدر الإثم واللعنة، فحملتها التوراة ذنب غواية آدم وإخراجه من الجنة[3]

وجعلته يتملص من المسؤولية فتقول التوراة على لسانه: "المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت" [4]

---

[1]- فريال عبدالله السليماني، **الموقف المتغير للمرأة في شبه الجزيرة العربية في ظل الإسلام**، ط1986 ،ص 17.

[2]- **مقارنة الأديان**، مرجع سابق ص 42-41.

[3]- نوال بورحلة، **مكانة المرأة في الحضارات القديمة**، مجلة العلوم والإنسانية والاجتماعية، العدد 31، جامعة ورقلة. 2017، ص 98.

[4]- التوراة، التكوين، الإصحاح 12/3

وبعض طوائف اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخادم، وكان لأبيها الحق في أن يبيعها قاصرة، ولم يكن لها حق في الميراث إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين، أو ما يتبرع به لها أبوها في حياته. ففي الإصحاح الثاني والأربعين من سفر أيوب : " ولم توجد نساء جميلات كنساء أيوب في كل الأرض وأعطاهن أبوهن ميراثا بين إخوانهن" وحين تحرم البنت من الميراث لوجود أخ لها ذكر يثبت لها على أخيها النفقة والمهر عند الزواج إذا كان الأب قد ترك عقاراً، أما إذا ترك مالا منقولا فلا شيء لها من النفقة والمهر ولو ترك القناطير المقنطرة، وإذا آل الميراث إلى البنت لعدم وجود أخ لها ذكر لم يجز لها أن تتزوج من سبط آخر، ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها.

كما كانت المرأة في المجتمع اليهودي تعتبر ملك أبيها قبل زواجها وتشترى منه عند نكاحها، لأن المهر كان يدفع لأبيها أو لأخيها على أنه ثمن الشراء، ثم تصير مملوكة لزوجها وهو سيدها المطلق، فإذا مات زوجها ورثها وارثه لأنها جزء من التركة، وله أن يبيعها، وكان الزواج بالأخت ذائعا عندهم، ثم بعد ذلك حرموا زواج الأصول والفروع، وكان طبيعياً أن المرأة التي تورث كالمتاع لا حق لها في الميراث، والزوجة لا نصيب لها من تركة زوجها بل ظلت جزءا من متاعه يرثها ذوي قرباه. كان اليهود يحتقرون المرأة ويعتبرونها نجسة طوال مدة حيضها، فلا يأكل الرجل من يدها ولا ينام معها في فراش واحد، وقد بين الحديث النبوي الشريف ذلك، عن أنس بن مالك — رضي الله عنه – قال: (كانت اليهود إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يشاربوها، وأخرجوها من البيت فسئل رسول الله — صلى الله عليه وسلم – عن ذلك فأنزل الله – عز وجل ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ [البَقَرَة : ٢٢٢] ، فقال صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما نصنع يا رسول الله، قال: اصنعوا كل شيء إلا النكاح[1]

مكانة المرأة في الديانة المسيحية:

يرى النصارى أن المرأة باب من أبواب الشيطان، وأنها يجب أن تستحي من جمالها لأنها سلاح إبليس للفتنة والإغراء، وأن المرأة ينبوع المعاصي، فهي للرجل من أبواب جهنم[2] (وقد اعتبر ترتليانوس أحد كبار القساوسة أن المرأة مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، وإنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة، ناقضة لقانون الله، ومشوهة لصورة الرجل. كما صرح الرسول بولس بأن المرأة منبع الخطيئة، وأصل كل شر، وراء كل إثم ومصدر كل قبيح، وفي المجمع المسيحي نيكون عام 586 م خلص النصارى فيه إلى أن المرأة جسد به روح دنيئة، خالية من الروح من الناجية، واستثنوا مريم عليها السلام فقط لأنها أم المسيح عليه السلام.

المطلب الثاني: المرأة في الإسلام رؤية حضارية

الفرع الأول: المرأة في الإسلام

جاء الإسلام لرفع الظلم والاضطهاد عن المظلومين، فقد جاء بالتشريع العادل المنصف لكل الأفراد، الرجال والنساء فيه سواء، حفظ للمرأة حقوقها التي سلبت منها، وأعاد لها مكانتها التي خلقها الله سبحانه وتعالى لأجلها، أرسى وثبت للمرأة العديد من القواعد والمبادئ التي تكفل لها العيش بأمان وطمأنينة، ويمكن تلخيص هذه المبادئ فيما يلي:

المرأة الإنسان: يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النِّسَاء : ١] فالمرأة في الإسلام من الجانب الإنساني مخلوق كالرجل تماماً لا يختلفان،

[1]- سنن الدارمي، كتاب الطهارة، باب مباشرة الحائض، ر1056.

[2]- **المرأة بين الفقه والقانون**، مصدر سابق، 1999ص19-18.

فهما في الثواب والعقاب سواء، وليس لأحدهما فضل على الآخر بسبب النوع أو الوظيفة؛ لأن هذا أمر قد قدره الله له أو عليه وليس للبشر فيه دخل.

رد ما جاء في الديانات السابقة حول المرأة: فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئاً منها وحدها، بل منهما معاً، وقد جعل المسؤولية مشتركة بينهما يقول تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البَقَرَة : ٣٦] وقال عن توبتهما ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأَعْرَاف : ٢٣]

المسؤولية والتكليف: فالمرأة في الإسلام كالرجل مكلفة بكل الواجبات والأوامر التي جاء بها الإسلام ، لا فرق بينها وبين الرجل، اللهم في بعض الاحكام الخاصة بالمرأة دون الرجل، أو بالرجل دون المرأة، فإن هي أحسنت وأطاعت كان لها الأجر والثواب من عند الله سبحانه وتعالى مثلها مثل الرجل لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النَّحْل : ٩٧]

الترحيب بالأنثى منذ ولادتها: لقد اهتم الإسلام بالأنثى منذ الولادة، فأنقذها مما كانت فيه من ضياع وهوان، وسمى بها إلى مراتب عظيمة من التكريم، فبعد أن كانت تدفن وهي حية، جاء الإسلام مشنعا على هذه العادات السيئة، وحرم وأد البنات وقتلهن [1] في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأَنْعَام : ١٤٠]

[1] مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون مصدر سابق ص 29

تنظيم قوانين الأحوال الشخصية بما يحفظ الحقوق الزوجية المدنية: فقد جعل الإسلام للطلاق حدا لا يتجاوزه وهو الثلاث، أما عند العرب في السابق فلم يكن له حد يقف عنده، جعل لإيقاع الطلاق وقتاً محدداً، ولأثره عدة تتيح للزوجين العودة إلى الصفاء والوئام، كما أنه حدد عدد الزوجات فجعله أربعاً، وكان قبل الإسلام ليس مقيداً بعدد معين.[1] وكذا الحق في الميراث كمظهر من مظاهر تكريم الإسلام للمرأة بعد أن كانت محرومة منه قبل الإسلام حيث قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ [النِّسَاء : ٧]

العشرة الحسنة: أعطى الإسلام المرأة كزوجة حقها، ورفع الظلم عنها، وأمر بإحسان معاملتها وإكرامها والصبر عليها من طرف الزوج؛ حيث قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النِّسَاء : ١٩] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم» (رواه البخاري) وقال أيضا: « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ." وهكذا أمر الإسلام المتمثل في تعاليم القرآن والسنة بالإحسان إلى المرأة، وحسن معاملتها واللطف بها؛ لأن المرأة هي شقيقة الرجل.

حق التعليم والتعلم: أمر الإسلام المرأة بطلب العلم والتفقه في الدين منذ الصغر أسوة بأخيها الرجل، لا فرق بينهما في هذه القضية؛ وذلك من أجل محاربة الجهل والأمية والخرافة والشرك والرفع من مستواها العلمي والثقافي والديني والاندماج في المجتمع المسلم، لقوله تعالى في سورة العلق ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ

[1]- المرجع نفسه ص 29

ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العَلَق : ١ - ٥]، وفي السنة النبوية العديد من الأحاديث الشريفة التي تحث المرأة على التعلم.

وهكذا يتجلى لنا بوضوح أن الإسلام قد كرم المرأة وعزز مكانتها، ورفع من شأنها، وذلك من خلال المظاهر والتجليات السالفة الذكر التي أوردنا بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر.

فالشريعة الإسلامية اهتمت بالمرأة اهتماما كبيرا، وكفلت لها حقوقها منذ ولادتها حتى وفاتها، وحتى بعد الوفاة بالثواب والأجر.

ويمكن القول عموما أن المرأة مرت عبر التاريخ البشري بأحداث متعددة، كانت سببا في تدني مكانتها عند الشعوب، فقد كانت أوضاعها تنزلق من سيء إلى أسوأ. والسبب الأساسي في ذلك هو النظرة التي كانوا ينظرون إلى المرأة بها، فقد كانت عندهم سببا للبلاء والشقاء في هذه الحياة، فكانوا يحجرون عليها ويجعلونها في مرتبة أقل من الرجل ثم فرضوا عليها الكثير من القيود، مما أدى إلى انزلاقها إلى طريق الانحلال والفوضى.

كانت التشريعات والأحكام القديمة تصدر تارة للمرأة وطورا ضدها، ولم تكن مكرمة معززة شاعرة بقيمة ذاتها وبدورها الأساسي في الحياةً إلا نادرا حسب الزمان والمكان الذي لم تختره لتكون فيه.

أما المرأة في الإسلام فلها حقوق كاملة متساوية مع الرجل، وعليها واجبات كاملة، وما لها من حقوق وما عليها من واجبات يرتبط بالطبيعة الخاصة التي خصها الله بها، وكذلك الحال مع الرجل، وهناك قاعدة عامة في الإسلام هي مساواة المرأة بالرجل في الحقوق والواجبات إلا ما استثنى بنص صريح لحكمة أرادها الله تعالى.[1]

[1] – **حقوق المرأة بين الإسلام وأهواء الغرب**، مرجع سابق ص 7.

كرمها الله عز وجل والقرآن الكريم والرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. وفي هذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "والله كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئا، حتى نزل قول الله فيهن ما أنزل"، فقد لخص بهذا القول الوجيز ما كانت المرأة عليه في العهد الجاهلي من انحطاط وذلة، وما صارت إليه من رفعة وعزة، إنما كان في ظل تعاليم الإسلام، ومبادئه الحكيمة.

لقد أعطى الإسلام مكانة متميزة ومشرفة للمرأة المسلمة، وهي تدحض ادعاءات وأكاذيب الأعداء والخصوم ولاسيما الغرب الصليبي الذي يشوه صورتها الحقيقية، ويحرفها ويزيفها عبر مختلف وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

المطلب الثالث: المرأة في فكر محمد الغزالي

تحتل قضية المرأة في فكر محمد الغزالي مساحة مهمة تترجم عند التأمل والقراءة الفاحصة دوافع ذلك الاهتمام وأبعاده الشرعية والدعوية والاجتماعية، والتي جذبها دور المرأة ومكانتها في الكيان الاجتماعي والمدني للأمة المسلمة.

ذلك أن الكيان الإنساني واحد لا يتجزأ والخطاب الإلهي –كما هو ثابت– موجه لمناط التكليف بغض النظر عن نوع الجنس، ومعنى ذلك أن مراد الله من الخلق واحد، وهذا ما تنص عليه بوضوح كليات الخطاب وعموم الرسالة، ومن ثمة فإن ما يفهم من بعض سياقات الوحي أن انقسام الجنس الإنساني إلى ذكور وأنوثة، قد ترتب عنه فروقات في الأدوار والوظائف لكنها لا تجعل الطرفين في موقع التنافر أو التصادم، فالغاية من وجودهما هو تحقيق الصورة المثلى لاستخلاف الإنسان عن الله في الأرض.

يؤكد محمد الغزالي على أن المرأة لم تنل حقوقها وحريتها كاملة، ولم تسترجع كرامتها المهدرة وإنسانيتها المسلوبة إلا بمجيء الإسلام " فهذا الدين أكرمها بنتا حيث جعل حسن تعهدها وتعليمها ستراً من النار وطريقاً إلى الجنة وأوجب بلغة التكليف والإلزام إكرامها وحسن معاشرتها

وهي زوجة واستوصى بها خيراً على كافة المستويات حيث جعل الجنة تحت أقدام الأمهات، وفتح أمامها باب المساهمة في خدمة المجتمع. وسبل ترقية الحياة العامة، ولم يمنعها من خدمة الجيش والمشاركة في الجهاد إذا أطاقته، وقدرت على تحمل أعبائه ومشاقه، كما سوى الإسلام بين الجنسين في أعمال البر كلها، فأرجحهما عند الله ميزاناً ومكانة أخلصهما نية وأكثرهما سعيا ، ويمكن دون تردد اعتبار أن شخصية المرأة برزت مع بزوغ شمس الرسالة وسمو مقاصدها الإنسانية العظمى في هذا الشأن"[1]

وقد بلغ من تدليل النبي **صلى الله عليه وسلم** لأمهات المؤمنين أن حرم على نفسه بعض المباحات إرضاء لهن حتى نزل قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾ [التَّحْرِيم : ١]. ولم يكن مثل هذا الأمر النابع من مشاعر قلب كبير مألوفا بل ولا معروفا في نطاق العلاقة بين الجنسين قبل الإسلام، وهو ما يجعل الاتجاه إلى إقرار البعث الجديد لشخصية المرأة اجتماعياً وإنسانياً مع نزول الوحي الخاتم، من باب وصف وإرساخ حقائق التاريخ الإنساني فحسب.[2] فلم يميز الإسلام بينها وبين شقها الآخر في الإنسانية من جهة الإقرار المطلق بكمال إنسانيتها "فالمرأة في لغة خطاب الرسالة الخاتمة لها فرادة خاصة في المعاملة والتكريم [3]

"فهي وإن كانت في مصطلح الحياة أنثى (بنتا أم أما أم زوجة) إلا أنها في منطق القرآن إنسان لا إنسانة، وعلامة التأنيث الصريحة لا تلحقها في حالاتها الثلاث، فهي عندما تولد تسمى (ولداً) قبل أن تسمى (بنتاً(وهي عندما تلد تدعى (أما) قبل أن تدعى (والدة)، وهي (زوج)

---

[1]- **الإسلام والطاقات المعطلة**، مصدر سابق.

[2]- **مشكلات في طريق الحياة الإسلامية** ص 58 – 59.

[3]- صبحي الصالح، **الإسلام مستقبل الحضارة** ، دار الشورى بيروت ، ط1، 1982م، ص 153.

في عقد النكاح الشرعي ولا يصرح بأنها(زوجة) إلا رفعا للالتباس أو رغبة في الإيضاح، حتى يحصل القصد كاملا من العقد [1]

إن ازدراء الأنوثة أو التجهم عليها بسب جنسها كما يرى محمد الغزالي "جريمة وبعد عن الصراط المستقيم، وتبرم بالفطرة، مضاد ومغاير لتعاليم الإسلام وفقهه المشرق كما دلت عليه أحكام الشرع الحنيف ومقاصده الجليلة[2]، ويؤكد الغزالي على أن الأنوثة والذكورة صفتان يستحيل أن تمدحان وتذمان لذاتهما، لأن مصدرهما واحد هو هذه النفس التي خلقها بارئها العظيم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النِّسَاء : ١]

فالمرأة من ذات النفس التي كان منها الرجل ويترتب على هذا المساواة الإنسانية بينها وبين الرجل"[3]

انطلاقاً من هذا المبدأ الذي يدل على عمق الفهم للحقائق في نصوص وأدلة الوحي الكريم وتؤكدها أيضا الأمثلة الحية في المجتمع الإسلامي الأول والتي تبلورت عن طريق الموقف النبوي والسلوك المجتمعي المدني في تكريم الإنسان للمرأة وإعلائه لشأنها.

تأتي رؤية محمد الغزالي في فقه شؤون وقضايا المرأة ودعوته إلى نفض تراكمات قرون التخلف والانهزام الحضاري "التي أضاعت الكثير من حقوق المرأة وحبستها الأفهام السقيمة في سجن التقاليد الفاسدة[4]

---

[1]- **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

[2]- **المرجع نفسه**، ص 153-154.

[3]- **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث** ،مصدر سابق: ص 44.

[4]- **الشيخ الغزالي كما عرفته**، رحلة نصف قرن، مرجع سابق، ص207.

لقد اختفت التعاليم الصحيحة التي جاءت بها النبوة السابقة لتحل محلها تقاليد صنعتها أهواء البشر، فكانت عامل تشويه لحقائق الإسلام ونتيجة حتمية لمرحلة الضعف والتردي التي اكتنفت فكر وإرادة إنسان عصر الانحطاط والضعف، مما أدى إلى هيمنة قراءة تاريخية جامدة لوضعية المرأة في المجتمع العربي المعاصر.

جاء التراث الفكري لمحمد الغزالي ببالغ الاهتمام الذي أولاه للمرأة كمرتكز حيوي في أي مشروع تنموي أو انبعاث حضاري وتغيير اجتماعي وخطوة إصلاحية. ولا يمكن فصل رؤية الغزالي وفقهه في قضايا المرأة عن سياق مشروعه الفكري العام.

يمكن اعتبار محمد الغزالي من القلة القليلة التي وعت خطورة وأهمية دور المرأة كدعامة استراتيجية في بناء الحضارة، وهي رؤية يخالف ما درج عليه الناس وألفوه من المواقف الفكرية والاجتماعية والعلمية لغيره من العلماء. وبتتبعنا لقضايا والمرأة في فكره نجدها تمثل في حقيقتها عمق الاستيعاب الحي للفقه الإسلامي وروح التجديد، الناتج عن امتلاك القدرة الفكرية والنفسية والمنهجية على إبصار نواحي القوة والضعف في حركة المجتمع وأفراده، والمساهمة الفاعلة في عمليات المراجعة والتقويم لتصويب الفهم نحو رؤية تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

إن تجربة الغزالي الطويلة في ساحة الدعوة الإسلامية، وعمق فهمه للحياة الإسلامية، فضلا على سعيه الدائم للتوافق والانسجام مع الفطرة السليمة على النحو السليم الذي ترشد إليه نصوص الوحي الكريم. قد أثبت في وعيه المتيقظ أن الوضع الذي عليه المرأة المسلمة بعيد كل البعد عن منحى الهدايات الذي رسمته تعاليم الإسلام السمحاء. من أجل ذلك تصدى للأفكار الغازية التي تريد الحؤول بين المرأة والالتزام بالإسلام، وبالقدر نفسه حارب التقاليد الموروثة الراكدة التي استباحت إنسانية المرأة المسلمة، وكانت عامل تطويح لدور المرأة في الكثير من المجتمعات والبيئات الإسلامية اليوم، فهمشت مواهب المرأة ومنعتها من استثمار قدراتها وكفاءاتها في حركة البناء الاجتماعي، والفعل الحضاري للمجتمع الإسلامي.

وفي اعتقاد محمد الغزالي الراسخ أن الحصانة الداخلية للذات هي أساس الكيان السليم غير القابل للاختراق والغزو من الداخل، ومن ثمة يرى أن المنهج الأقوم والأفضل هو غربلة التقاليد والأفهام، وضرورة الرجوع لتعاليم الإسلام الصافية في بلورة وبناء الشخصية المتوازية، ولا شك أن هذه الرؤية هي التي دفعته إلى الاعتقاد بكون النجاح الذي صادف الحضارة الغازية في هذه القضية يعود إلى ضعف المقاومة وإلى غباء المدافعين. " إنني عاصرت الأيام التي أدخل فيها طه حسين الفتيات في الجامعة، لقد كان التيار الديني يرى ذلك حراما!! بل إن تعليم البنات في مدارس خاصة بدأ بعد الاحتلال البريطاني لمصر، فإن التقاليد السائدة كانت تفرض الأمية على النساء باسم الإسلام!! ومع غزو المرأة للفضاء في العصر الحديث فإن أناسا عندنا يقاتلون دون أن تصلي المرأة في المسجد! ويقولون بيتها أولى بها، ويوم أن تتقرر هذه المواقف في الأرض الإسلامية فإن مجون الحضارة المنتصرة لن يجد أمامه عائقا أبدا"[1]. المثير في القضية أن هذا الموقف المسيء للإسلام وقع في بلاد إسلامية كثيرة، ففي المملكة العربية السعودية وقبل وثيقة الانفتاح الحضاري عندما "أمر الملك فيصل بتعليم البنات تحولت أسر عن البلد الذي أنشئت فيه أول مدرسة! وكرهت أن ترى هذه البدعة المنكرة! ولا يزال نفر من علماء الدين يكرهون وجه المرأة ويحملونها مسؤولية خروج آدم من الجنة كما زعم اليهود في كتبهم! ويرون الدين إمساك النساء في البيوت حتى يتوفاهن الموت، وحرمانهن من أي نشاط عام، هذه العقلية المختلة فرضت نفسها طويلا على دين الله، وبعد أن أعانت أقدار حسنة على زلزلة سلطانهم رأيناهم يستميتون في إحراج المرأة المسلمة. وتعكير مستقبلها بفتاوى مكذوبة على الإسلام"[2]

---

[1]- محمد الغزالي، **قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة** (الطبعة الأولى، الجزائر دار الانتفاضة للنشر والتوزيع، 1992، ص22.

[2]- **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**، مصدر سابق ص 34.

استنكر الشيخ الغزالي بشدة موقف المتدينين الذين هاجموا طه حسين عندما سمح لعدد من الطالبات بدخول كلية الآداب في حين ساند تيار الانحلال والتغريب تعليم المرأة من أعلى المستويات، علق الشيخ الغزالي قائلا: " أي إنصاف للإسلام في هذه المعركة السخيفة؟ الدين مع الجهل والإلحاد مع العلم؟ إلى متى نسمح لأناس يكذبون على الأرض والسماء باسم الدين؟ [1]

وعلى خلاف الكثير من العلماء المسلمين المعاصرين نجد الغزالي يضع حركات تحرير المرأة – التي ظهرت في البلاد الإسلامية وتزعمتها نساء معروفات بولائهن للغرب – في إطار أكثر واقعية وإنصافا تكتنفه في ذلك مشاعر تعنيف الذات والنقد الداخلي وتصعيد اللوم والعتاب لمختلف مؤسسات المجتمع التربوية المتخصصة قبل مهاجمة الغير. لأن الفراغ الذي يمتد فيه وضعنا اليوم والذي سارت في نطاقه تلك الحركات منشؤه سوء عرض الإسلام، وفي المقابل من ذلك التشبث ببعض تقاليد وعادات الجاهلية الأولى التي لا تزال تشغل مساحة مهمة من الذهنية الإسلامية إلى يومنا هذا.

لقد آلم ذلك الوضع الغزالي، وحز في نفسه فقال متأسفا: "من المحزن أن ينتقل ازدراء الأنوثة من تقاليد الأعراب والصعاليك في جاهليتهم الأولى إلى المجتمع الإسلامي ويظهر هذا الازدراء في أفكار وأحكام وأخلاق تشيع بين الناس وكأنها تعاليم دين! بل لقد حرف كلم عن مواضعه وأولت نصوص، وضعف صحيح وصحح ضعيف، لا لشيء إلا لغمط الأنوثة! وأكاد أجزم بأن سوء التربية في قرون مضت إلى يوم الناس هذا يرجع إلى جهالة النساء وعجزهن إلا عن الوظائف الحيوانية! كما أن تطلع قائدات النهضة النسوية إلى الغرب يعجبن ويقتبسن منه، يرجع إلى العرض المكذوب لتعاليم الإسلام أو بتعبير أدق إلى عرض عادات وأحكام جاهلية على أنها كتاب الله وسنة رسوله... إن جمهرة من علماء الدين وضعت صعوبات رهيبة أمام تردد

[1]- **قضايا المرأة** ،مصدر سابق ص20.

المرأة في شتى المراحل ولم تستسلم إلا كارهة أو هي الآن تضع ذات الصعوبات أمام تردد المرأة على المسجد! أما بقية المقررات الإسلامية التي ذكرناها آنفا فهم يقاومونها كما يقاومون الكفر. من عشرين سنة كان القضاء الشرعي في مصر يأمر الشرطة باقتياد المرأة إلى (بيت الطاعة) مادام الرجل قادرا على نفقتها، ضاربا عرض الحائط بكراهية المرأة للزوجية ومطالبتها بإنهاء هذه العشرة!! وكان أهل الزوجة يهربونها من بيت إلى بيت ويحتالون على إبطال هذا الحكم، ولغطت الصحافة بهذا التشريع المهدر لحقوق الإنسان، ونالت من كرامة الدين نفسه، ثم جاء أحد وزراء العدل فأصدر أمرا بعدم تنفيذ هذه الأحكام، وبذلك أنقذ المرأة من قسوة (الشريعة) عليها، وكتبت يومئذ مقالا نشرته (الأهرام) بحروف كبيرة شرحت فيه حكم (الخلع) وثبوته بالكتاب والسنة وقلت: إذا كرهت المرأة البقاء مع زوجها رفعت أمرها للقضاء وردت ما أخذت من مهر وحكم القاضي بفسخ العقد القائم أو إيقاع طلقة تنهي النزاع، ولا معنى لاعتقالها وجرها إلى أحضان رجل تبغضه بقوة الشرطة أو الجيش، وحبذت ما فعله وزير العدل وقلت: إنه طبق الشريعة ولم يخرج عليها كما يزعمون. إن الذي كان يحدث هو بعض التقاليد البدوية المتسللة إلى فقهنا في غيبة الوعي الصحيح، وقد شعرت بحرج بالغ عندما صدرت من أحد العلماء فتوى بأنه يحرم على المرأة أن تقود سيارتها ! قال لي صاحب أريب: إن الحضارة أمكنت المرأة من غزو الفضاء ولا يزال الدين يحرم عليها أن تقود سيارة على ظهر الأرض!! أليس من حق الناس أن يسوء ظنهم بالدين ويقصوه عن شؤون الحياة؟! قلت: ما حرم الإسلام على المرأة أن تقود سيارة وأحسب أن ظروفا محلية أوحت بهذا الحكم[1]

نلاحظ من خلال كلام الغزالي اعتماده على النقد الذاتي واللوم الداخلي، كأداة فاعلة لترشيد مسار وهموم وانشغالات حركات النهضات النسائية من ناحية، ومن ناحية أخرى

[1]- **سر تأخر العرب والمسلمين**، مصدر سابق ص 24 - 25.

لكشف مواقفنا إزاء قضايا المرأة وواقع وضعها الحياتي، ومنطلق الشيخ الغزالي في هذا المنهج مبعثه الأساسي يكمن في أن من يترك الثغرات والنقائض تجتاح وتغزو كيانه الداخلي ينبغي أن لا يكون همه الأول في قضية العلاج، رد أنظار الآخرين المصوبة نحوه، وإنما في تقويم ما به من اعوجاج وانحراف، فهو السبيل الوحيد لعلاج ما نحن عليه من أوضاع معوجة، وواقع مزري لا يحتكم إلى الإسلام في شيء، وهذا ما حاول الغزالي تفهمه والتعامل معه بمنطق خاص ورؤية متميزة، دون أن يغض الطرف عن الاتجاهات التي سقطت أصالتها أمام الغرب، فسعت إلى محاولة تذويب الهوية الحضارية للمرأة المسلمة والانحراف برسالتها الاجتماعية عن أهدافها ومقاصدها السامية.

لقد كانت جهوده الدعوية أكثر تركيزا على الذات، لمحاولة تلمس أسباب العلاج بغية الوقوف على مكمن الخلل. ذلك أن " تبذل النساء في هذا العصر بلغ حد السفه وهبط إلى درك سحيق من الحيوانية.. وصيحات الوعاظ لوقف هذا التيار تذهب بددا لماذا ؟ لأن تناولهم لقضايا المرأة مشوب بالغموض أو الجهالة، متسم بالسلبية والعجز، محكوم بتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان... وأغلبهم لو أمكنته الفرص لرد المرأة إلى البيت وغلق عليها الأبواب وحرمها مختلف الحقوق المادية، والأدبية وجعلها القدم العرجاء للإنسانية السائرة، أو الجناح المكسور للأمم الصاعدة!

إن الفكرة التي سيطرت على أدمغة نفر من المتدينين هي عزل المرأة عن الدين والدنيا معا مع اجتياح كيانها الشخصي والمعنوي، ولا تزال هذه الفكرة أملا يحركهم ويحملهم على ترويج أحاديث موضوعة أو واهية، وتكذيب أحاديث صحيحة أو حسنة، على تفسير القرآن بآراء لم يعرفها أئمته، ولا قام عليها مجتمع الأصحاب والتابعين!.. بل أستطيع القول: إن الجاهلية التي دفعت إليها المرأة الإسلامية بهذا الفكر القاصر جعلتها دون المرأة في الجاهلية الأولى... وقد

لاحظت أن بعض المصلحين الذين اشتعلوا بتحرير المرأة قد جرأهم هذا الموقف على ارتكاب حماقات سيئة، بل جرأهم على ترك الإسلام[1]!!

ومن هذه النظرة نفسها التي يرتكز عليها منهجه فيما يخص شؤون المرأة يثير هذا التساؤل في إحدى القضايا التي تهدف إلى جعل المرأة حبيسة الأفهام السقيمة والعقول الكليلة باسم الإسلام المظلوم. !!

ومن أجل تجلية صورة الإسلام الحقيقة تبرز جهوده الرامية إلى ضرورة غربلة تقاليد وعادات المجتمعات الإسلامية ومحاولة إرجاعها إلى معايير الإسلام الصحيحة، علاوة على تحقيق بعض الآثار والسنن الواردة في قضايا المرأة، ومن ذلك رفض الشيخ الغزالي حديث "أن الصلاة تقطعها المرأة والحمار والكلب الأسود وينضم إلى جمهور الفقهاء الذين رفضوا الاستدلال به على الرغم من صحة سنده وعدالة رواته ورجاله"[2] ونفس الدافع أيضا الذي جعل الشيخ ينتصر- باسم الإسلام لحقوق المرأة في الميراث والتمتع في الطلاق، وحق اختيار الزوج دون إقصاء أو ضغط عليها. وحق المطالبة بفك العصمة الزوجية إن كرهت العيش في نطاقها، وحقها في المشاركة السياسية والاجتماعية والفكرية.

أدرك الغزالي برؤية مقاصدية لنصوص الوحي وتاريخ الإنسانية خطورة وموقع المرأة في التركيب الاجتماعي، ومن ثمة فإنه لم يكن من الممكن التقدم بهذه الأمة نحو الصلاح والنهضة من جديد إلا برد الاعتبار للمرأة المسلمة، وتمكينها من حقها وهذا باتباع طريقتين: الأولى بترك ما نسب للإسلام زورا وجهلا من عادات وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، وهذا بهدم المعتقدات الفاسدة عن طريق الشرع والمنطق السليم. وثانيا ربط المرأة المسلمة بنصوص الشرع الأصلية لتعرف مالها وما عليها، بعيدا عن الأفكار المتجمدة، ودون ولاء إلا لله وحده. وحرصا على تبليغ

---

[1]- محمد الغزالي، **حصاد الغرور**، دار الشهاب، باتنة (الطبعة الجزائرية الأولى) 1986، م ص195.196.

[2]- **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، ص 160- 161.

هذه الحقيقة بالذات نجد الغزالي يدعو إلى تأسيس نهضة نسائية راشدة تلتزم حدود وتوجيهات الإسلام، فكتب بأدبه ووعيه المعهود يقول: "نحن نلفت رواد النهضة النسائية إلى ما في التراث الإسلامي نفاسة تعجب، وما فيه كذلك من أسانيد لقضاياهم النزيهة إذا أرادوا أن يربطوا حركتهم بالإيمان والمعرفة ويبتعدوا عن مزالق الهوى والتحلل"[1]

تأتي قناعته بهذا الفعل من منطلق حتمية نقد الخطأ بشأن قضايا المرأة وغلبة الغلو فيها، فالقصد من وراء ذلك إصلاح الكيان الإسلامي بالعودة إلى الأصل المفقود، كتاب الله وسنة رسوله الكريم، لإبراز النموذج الذي تدعو إليه نصوص الوحي فيما يخص مكانة المرأة الاجتماعية قائلا: "أمتنا بحاجة إلى نهضة نسائية رشيدة لأن بعض المتدينين لا يعقلون قضايا المرأة، أو ينظرون فيها بحماقة وقلة فقه، ولو وكل الأمر إليهم لحبسوا النساء في البيوت فلا عبادة ولا علم ولا عقل ولا فكر. ولا نشاط ولا شيء من هذا النوع من المتدينين الجهلة ينبغي أن يحرم من الكلام باسم الله! والنهضة النسائية الرشيدة تحتاج إلى أن يطرد نوع آخر من المتحدثين في قضايا المرأة وهم عبيد أوروبا الذين يريدون إشاعة الخنا في بلادنا، والذين لا يعنيهم أمر العفة وأمر الأسرة ولا يبالون أن ينقلوا ما هنالك من عمى غريب !.. نريد تسليم النهضة النسائية إلى نساء عفيفات عاقلات محصنات آمرات بالمعروف ناهيات عن المنكر حافظات لحدود الله" [2]

إن ما نحتاجه هو نهضة إسلامية رشيدة نسائية تضع الأمور في نصابها، وتحرر المرأة المسلمة بقيادة مسلمات عالمات عاملات[3]. هكذا جاءت دعوة محمد الغزالي لإعادة تحرير المرأة

---

[1]- أنظر **هذا ديننا** لمحمد الغزالي ص 22

[2]- محاضرات الشيخ الغزالي، مصدر سابق، ص 159- 160.

[3]- هبة رؤوف عزت، **إسلامية المعرفة** ،ص 104.

المسلمة كمنطلق هام من منطلقات التجديد الفاعل الرامي إلى إعادة إحياء دور الأمة الإسلامية الحضاري. انطلاقا من معرفة الترسبات الداخلية التي تسيطر على العقلية الإسلامية.

يقول محمد الغزالي: "ما الذي دعا الشيوعيات إلى التحصيل ضد قانون الأسرة في الجزائر والمطالبة بإلغائه؟ الذي دعا إلى ذلك خطباء ودعاة إسلاميون، تحدثوا عن موقف الإسلام من المرأة حديثا استفز أولى الألباب وبعث في النفوس الوجل من مستقبل يستولي فيه أولئك الإسلاميون على حكم! يقول أحدهم: الإسلام يرى أن المرأة إنما خلقت لتلد الرجال!! ويقول ثان: مقار النساء البيوت ما يخرجن منها إلا إلى الزوج أو إلى القبر! ويقول ثالث : يجب أن تظل الفتاة أمية لا تكتب ولا تحسب! ويرفق رابعا: حسبها إتمام المرحلة الابتدائية في التعليم وما وراء ذلك لا داعي له! وبلغني أن طالبة ساذجة في أحد المعاهد قالت لأمها: أما يوجد دين آخر أرفق بنا من الإسلام؟؟.. لقد شعرت أنني أطعن في فؤادي عندما سمعت مقال هذه الطالبة!! إن الدين الذي كرم الإنسان ذكرا كان أو أنثى أمسى على ألسنة بعض الفتانين الجهال هوانا ينصف الإنسانية وتحقيرا لها !! لقد مكثنا بعض سنين في الجزائر نؤكد صدق العلامة ابن باديس عندما أيقظ الإسلام في صدور الرجال والنساء جميعا، مؤكدا أن الأمة لا تستطيع التحليق إلا بجناحيها من الرجال والنساء. إن غلمانا سفهاء يحملون علما مغشوشا أو جهلا مركبا هجموا على الصحوة الإسلامية وكادوا يقفون مسيرتها بما ينشرون من ضلالات، ويشيعون عن الإسلام من إفك، وقد استغل الشيوعيون هوسهم الديني فقادوا مظاهرة إلى المجلس التشريعي منادين باحترام حقوق الإنسان وحفظ كرامة المرأة، ونحن المسلمين أعرف الناس بذلك كله، ولكن سفهاءنا غلبونا على الرأي، وليس أغيظ لنفسي من الدعاة الجهلة عندما ينفرون الناس من الإسلام بسوء تصويرهم له" [1]

[1]- **تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل**، مرجع سابق، ص48- 49.

و ما حمل الغزالي على هذا المنحى هو عمق إدراكه لحجم الهوة التي وقعت في تاريخنا – نتيجة لغلق باب الاجتهاد – بين تعاليم الإسلام الثابتة والمقررة بنصوص الوحي والنموذج العملي الحي لصورة المرأة المسلمة في العهد النبوي الراشد ، وبين الواقع التاريخي للمرأة عبر مختلف مراحل الحضارة الإسلامية ، فالانفصال الذي وقع بين النص والواقع قد أدى إلى ضعف فكري عام أقعد وشل عقل الأمة عن التزام المعايير الراشدة، النابغة من صميم تعاليم ديننا الإسلامي في التعامل مع قضايا المرأة المتعددة. ونجم عن ذلك مجموعة من التقاليد حسبت على الإسلام والإسلام منها براء. واستغلت هذه التقاليد، التي نمت في ظل التراجع الحضاري للعالم العربي والإسلامي لمصلحة التفوق والانجذاب الفكري والنفسي للحضارة الغربية والثقافات الدخيلة.

المبحث الثاني:

التربية والتزكية في الخطاب الدعوي المعاصر

الإكراه على الفضيلة لا يصنع الإنسان الفاضل، كما أن الإكراه على الإيمان لا يصنع الإنسان المؤمن، فالحرية النفسية والعقلية أساس المسؤولية.

والإسلام يقدر هذه الحقيقة ويحترمها، وهو يبني صرح الاخلاق.

ـــــــــــــــ محمد الغزالي.

الجانب الروحي لشخصية الإنسان جوهرها ومضمونها، فهو الصلة الداخلية للمؤمن بالله، وانشداده النفسي والعاطفي به تعالى، من حيث الإيمان والحب والإخلاص، وما يرافق هذه المعاني من خوف ورجاء وتواضع، أما العبادات من صلاة وزكاة وصيام، فهي وسائل التربية والإعداد الروحي، وبذلك دعا الإسلام هذا الإنسان إلى الارتقاء بنفسه وخلقه وسلوكه، من درك الحيوانية إلى آفاق التخلق النسبي الممكن بأخلاق الله وصفاته المطلقة، وهذا التخلق يعني السعي في درب اكتساب الممكن من صفاته.

وبناء على ذلك، يعد الاهتمام بالبعد الروحي ضرورة، لأنه البعد الغائب في حياة الإنسان المعاصر، مع محاولة البحث عن حلول للمشكلات الإنسانية التي يعيشها، من حروب، وإبادة، وجشع، وسيطرة واحتلال وقهر، هذا على مستوى الدول والأمم، وأما على المستوى الفردي، فيلاحظ تزايد حالات الاستعباد والاسترقاق البشع للبشر، وغياب انسجام الإنسان مع نفسه ومحيطه ومع الحياة؛ ولذلك فإنه من الأهمية بمكان، وجوب الاستفادة من التجربة الروحية الصوفية لتقديم حلول إنسانية بديلة، من خلال الغوص في حقائق حياة الزاهدين والمتصوفين، والنماذج الإنسانية العليا المتشبعة بحياة الرسل والأنبياء، ما يعني أن هناك تراثا إنسانيا عظيما يجب الاستمداد منه، لإنارة طريق الإنسان في كل وقت وحين، خاصة في أوقات طغيان المادة والشهوات والأهواء، واختلال الموازين وانهيار القيم.

انطلاقا من هذا الواقع، نحاول أن نتبين نظرة محمد الغزالي فيه، وما ينبغي أن يكون عليه التصوف في فكره؛ حتى لا يظل مجرد إعادة هوية تاريخية، وإنما يكون بديلا للتربية الروحية، نتصدى به لتغريب العولمة والحداثة.

ومن الواضح أن منهج محمد الغزالي في البناء التربوي الروحي، يختلف عن الخطاب الإسلامي السائد، والذي يعيش انفصاما بين العقل والقلب، وبين الفكر والأخلاق، حيث ينظر إلى التربية الروحية على أنها التوجيهات الإيمانية التي تثبت الإيمان في العقول والقلوب.

إن منهج الغزالي يختلف بوضوح عن التوجيهات الدينية التي تجعل المبدأ الإيماني خاضعا لقصور كلامي بارد، تحتل فيه المجادلات الكلامية العقدية مركز الاهتمام، إذ إن المعركة في نظره، ليست في إقناع الناس بالإيمان، بل هي في تثبيته وترسيخه خلقا وسلوكا وبناء روحيا، وهو بذلك يريد أن ينتقل بالتصوف من العزلة والزوايا إلى الحياة العملية والفردية، فيجعله علما وخلقا قائما في واقع الناس وحياتهم، مترجما في تصرفاتهم وسلوكهم، وبنائهم الروحي، وبذلك نحن بحاجة حسب رأيه إلى علم تدرس فيه طرق تحويل الحقائق الدينية النظرية إلى تربية روحية، وخلق لازم، وعمل دائم، وأسلوب في الحياة.

فالغزالي يريد بذلك أن ينقل العقل من الوعي الصوفي الفردي، وإخراجه من صومعته، إلى الوعي النبوي وبعده الروحي والاجتماعي والإنساني، الفاعل في التاريخ، لكي يستمد من حالة الشهود طاقة التغيير، ويحوله إلى منجز حضاري يصلح به الإنسان والعمران، فما هي فلسفة البناء الروحي في فكر محمد الغزالي؟ وما موقعها ومنهجها في مشروعه الحضاري.

المطلب الأول: الأخلاق والإيمان

أولا : مفهوم الاخلاق

في اللغة: يعرف الخلق في اللغة، بأنه السجية والطبع والمروءة والدين[1]

وفي الاصطلاح، يعبر على أنه: "قوة راسخة في الإرادة، تنزع بها إلى اختيار ما هو خير وصلاح، إن كان الخلق حميدا، أو اختيار ما هو شر وجور، إن كان الخلق ذميما [2]

وهنا نلاحظ وجود نقاط تلاق بين التعريفين، فالخلق يحمل صفة الرسوخ، وهو الطبع في اللغة، ويشتمل على صفة الخيرية، وهي في اللغة المروءة والدين.

[1] ـ الفيروزيادي، القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، دط، 1306-1307هـ، ص.1137.

[2] ـ محمد عبد الله دراز، **دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية**، دار العلم، الكويت، ط،1960،ص88.

يعرفه محمد الغزالي فيقول: "إن الخلق في منابع الإسلام من كتاب وسنة، هو الدين كله، والدنيا كلها، فإن نقصت أمة حظا من رفعة في صلتها بالله، أو في مكانيها بين الناس، فبقدر نقصان فضائلها وانهزام خلق."[1] فهو يبين من خلال هذا القول مكانة الخلق في الإسلام؛ إذ لا دين بلا خلق، ولا خلق بلا دين، وهو من مقتضيات حسن الإيمان بالله، والتعمير الصالح فوق الأرض.

أما عن حقيقة الأخلاق وماهيتها فيقول عنها: "إن الخلق العظيم لأمة ما نتاج جملة من العناصر، المتماسكة الكاملة، تلتقي فيها العقائد والعبادات والأحوال الاقتصادية والسياسية، ثم إن الخلق ليس قراءة ورقة أو سماع درس .. إنه صناعة شاقة وتجارب متكررة، وتكلف مستمر، ينتهي بأن يكون ملكة قائمة، وصبغة ثابتة[2]، وفعلاً فإن الخلق الحسن يكتسب من حب الإيمان، ومن الإقبال على الطاعات، والابتعاد عن الرذائل.

ثانيا علاقة الإيمان بالأخلاق في الإسلام

إن طبيعة الإنسان مزدوجة، فيها فطرة طيبة تدعو إلى الخير وهي الغالبة كما فيها نزعات طائشة تأمرنا بالسوء، وتزين ما هو سيئ، إلا أنه من رحمة الله بالإنسان أنه لم يدعه لفطرته واستعدادها، فبعث رسالات يبلغها الأنبياء، والتي تضع له الموازين الثابتة، وتكشف له عن موجبات الإيمان، ودلائل الهدى في نفسه، وفي الآفاق من حوله، ويجلو عنه غواشي الهوى، فيرى الحق ويتضح له الطريق.

ومن هنا كان الإيمان بالله تعالى ضروريا لإعانة الإنسان على الاهتداء إلى الطريق المستقيم، والذي يدفعه دوما إلى الرقي، ذلك أن الإيمان قوة دافعة لمكارم الأخلاق، ورادعة عن مساوئها، ولعل أول أسباب السكينة هو انسجام المؤمن مع فطرته، فإن في فطرة الإنسان فراغا لا يملؤه علم

---

[1]- **خلق المسلم**، مصدر سابق، ص34.

[2]- **تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل**، مصدر سابق، ص 99.

ولا ثقافة ولا فلسفة، وإنما يملؤه الإيمان بالله عز وجل، ولا تزينها إلا الأخلاق الفاضلة، وهذا ما نحاول الكشف عنه في هذه الدراسة، مع بيان تأثير العبادات على البناء الروحي.

ولعل ما يدل دلالة أكيدة على وجود رابطة متينة بين الإيمان، والأخلاق هو العناية الخاصة والمتميزة التي أولاها الله عز وجل ورسوله الكريم لها؛ حيث توجد في القرآن أكثر من ألف وخمسمائة (1504) آية تتصل بالإيمان والخلق، كما توجد في السنة النبوية الكثير منها ما يبين هذه العلاقة.

فالمتعمق في آيات الله يجدها توضح العقيدة الخالصة للمسلم، وتحثه على التمسك بها، ثم يتبعها الحث على مكارم الأخلاق؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإِسْرَاء : ٢٣] وبتمعن الغزالي في آيات القرآن، وجد أنه عندما يدعو الله عباده إلى الخير، أو ينفرهم من شر يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم، وما أكثر ما يقول في كتابه عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا)، ثم يذكر بعدها ما يكلفهم به"[1]

كقوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحُجُرَات : ١١] فالقرآن اعتمده اسلوبه لتمكين المؤمنين من الاستجابة لأوامر الله وتثبيت عقيدته، عندما ربط كل تعليم من تعاليمه

[1] محمد الغزالي، **خلق المسلم**، دار رحاب للنشر، الجزائر،ص10.

بالقيم الأخلاقية التي تعد أساسه، ومن ذلك مثلا عندما يدعونا أن نتقبل الصلح من الأهل، يؤيد دعوته بتلك الحكمة العظيمة في قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ [النِّسَاء : ١٢٨].، وعندما يأمرنا أن نوفي الكيل ونزن بالقسطاس المستقيم، يعقب على هذا الأمر بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥﴾ [الإِسْرَاء : ٣٥]. ولقد ذكر المفسرون أن الآية: (﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القَلَم : ٤] تتحدث عن دين عظيم، وأدب عظيم، وفي هذا يقول ابن كثير: "قيل وإنك لعلى دين عظيم، وهو الإسلام، وقيل لعله أدب عظيم، وقيل: خلق رسول الله ﷺ، وهو القرآن[1].

ولقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بأن الخلق هو الدين، وهو كمال الإيمان، بقوله: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقا، وألطفهم بأهله"[2]، فالإنسان الذي استكمل إيمانه وحسن استكمل خلقه، وبذلك فإنه يعامل الناس بحسن أخلاقه على وفق شريعة الله؛ لذا كان حسن الخلق جامعا لكل معاني البر، ولكل معاني الخير العقدية والتعبدية والعملية، كما قال الله تعالى: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البَقَرَة : ١٧٧].

---

[1]- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، دار الأندلس، دط، بيروت ج4، ص 80.

[2]- أخرجه الترمذي في سننه أبواب الإيمان، باب استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، ح 2612، وقال الترمذي: حديث حسن

والرسول **صلى الله عليه وسلم** في حديثه يؤكد ما جاء في الآية أن البر هو الخلق وكل الخير، عندما سئل: "فقال: البر هو حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه»[1]، فالخلق هو الدين كله – كما نبه لذلك الشيخ الغزالي – وهو يشمل حقائق الإيمان وشرائع الإسلام؛ بل إن غاية بعثة النبي ﷺ هي إتمام مكارم الأخلاق، أي إتمام الدين؛ لقول النبي: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[2]، فكأن الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة، وبذل صاحبها جهدا كبيرا في مد شعاعها، وجمع الناس حولها لا تنشد أكثر من تدعيم فضائلهم، وإثارة آفاق الكمال أمام أعينهم، حتى يسمعوا إليها على بصيرة"[3]، ومنه يكون هدف الإيمان هو العمل على تكملة الأخلاق في حياة الإنسانية.

وحتى يجعل الرسول إيمان المرء مرآة لخلقه وسلوكه، فقد روي عنه أنه دخل على جماعة من أصحابه فقال: "أمؤمنون أنتم؟ فسكتوا: فقال عمر: نعم يا رسول الله. قال: وما علامة إيمانكم؟ قالوا: نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء. فقال: رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «مؤمنون ورب الكعبة»[4]. وقول النبي **صلى الله عليه وسلم**: "أربع من كن فيه كان منافقا، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد أعذر وإذا وعد أخلف وإذا خصم فجر"[5]، أن الواضح من قول الرسول أن النفاق قضية متعلقة بالعقيدة، والكذب، والغدر، وخلف الوعود، والفجور في الخصومة قضايا

---

[1] _ أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب ما جاء في البر والإثم ح23889.

[2] _ أخرجه الإمام مالك بن أنس في موطئه، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في الحياء، ح1609.

[3] _ خلق المسلم، مصدر سابق، ص 7.

[4] _ أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ص9 _169.

[5] _ البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب إذا خصم فجر، رقم 2327.

أخلاقية [1]، فإذا كانت هذه الأخلاق السيئة دالة على عقيدة النفاق المنحرفة، فبمفهوم المخالفة، أن الأخلاق الفاضلة دالة على العقيدة الصحيحة.

وتأكيدا لهذا المعنى، نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم في موطن آخر ينفي الإيمان عن المتصف ببعض مساوئ الأخلاق، وذلك في قوله: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟، قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه ".[2]

إلى هنا تتضح أمامنا العلاقة الوطيدة بين الإيمان والأخلاق، والذي كان الرسول مثالاً لها، ونموذجا عمليا متكاملاً لهذه العلاقة.

وعن مرتبة الأخلاق في العقيدة الإسلامية يقول محمد الغزالي: "كان المتصور أن تسبق العبادة الأخلاق، على أساس أن الأولى هي حق الله، والثانية هي حق الناس، ولكن تبين، أن الأخلاق تسبق العبادة، ويكون ترتيبها على النحو التال: الإيمان فالأخلاق فالعبادة". واستند الغزالي في ذلك إلى حديثين شريفين، الأول: يشير إلى أنه إذا توفرت ثلاث خصال في الفرد فإنه منافق كما سبق ذكره، وهي الكذب وخيانة الأمانة وعدم الالتزام بالوعد، وإن صلى وإن صام. والثاني: يشير إلى الثلاثة الذين تسعر النار بهم يوم القيامة: "وهم قارئ القرآن والمتصدق بماله والمجاهد، إذا كانوا يفعلون ذلك رياء".[3]

ثالثا: الأخلاق والعبادات وأثرها في البناء الروحي

إذا استقرأنا آيات القرآن الكريم في أركان الإسلام ومبادئ الأخلاق، نجد أن التوجيهات الأخلاقية فيه تتظافر مع غايات العبادات وأهدافها، لإصلاحها وضبط وتوجيه سلوك الإنسان،

---

[1] ـ محمد قطب: **لا إله إلا الله عقيدة وشريعة منهاج حياة،**

[2] ـ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الآداب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه رقم 5670.

[3] ـ عماد يونس: **تحديد الفكر الإسلامي على مشارف قرن جديد، قراءة في تجربة الشيخ محمد الغزالي**:دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، ص 84.

والسمو بروحه بما يتفق وأهداف العقيدة الكبيرة في الحياة، لذا كانت عقيدة التوحيد هي المثل الأعلى في التوازن والاستقامة والاعتدال. ويتضح لنا هذا أكثر من خلال عرض موجز لأركان الإسلام الخمس، التي تهدف إلى ترسيخ مكارم الأخلاق، لذا نجد الشيخ محمد الغزالي يوضح مهمة العبادات في الإسلام: "فهي ليست طقوسا مبهمة، من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة، ويكلفه بأداء أعمال غامضة، وحركات لا معنى لها .. كلا كلا فالفرائض التي ألزم الإسلام بها كل منتسب إليه من تمارين متكررة؛ لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة، وأن يظل متمسكا بهذه الأخلاق مها تغيرت أمامه الظروف[1]

ففي الصلاة: يقول الله – عز وجل:" ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العَنكَبُوت : ٤٥] ، فالصلاة هي اتصال دائم بالله – عز وجل – حتى يستحي صاحبها باصطحابه معه لكبائر الذنوب وهو يؤديها، أمام ربه، وعندما أمر الله بها أبان الحكمة منها، وفي هذا يقول الغزالي: "فالابتعاد عن الرذائل والتطهير من سوء القول والعمل، هو حقيقة الصلاة .[2]

ويؤكد محمد الغزالي أن العبادات لا تصنع التغيير في سلوك الإنسان إذا لم تمحو الصلاة الحسد والحقد من النفس، ذلك أن السجود الحقيقي في الصلاة ليس انطواء أمام الله، بل هو انقياد القلب لهداياته ووصاياه، وإذا كانت العبادات استعانة بالله على بلوغ هذا الهدف العظيم، وقبلها الله، وأعان المصلى فأصلح نفسه، وأقام عوجه، فالعبادة صحيحة مقبولة .[3]

---

[1] _ **خلق المسلم**، مصدر سابق، ص 7.

[2] _ **خلق المسلم**، مصدر سابق، ص 8.

[3] _ **تراثنا الفكري بين ميزان الشرع والعقل**، مصدر سابق، ص88.

وعن الصوم قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البَقَرَةِ : ١٨٣] ، فيبرز في الآية الغاية من الصوم، وهي التقوى، والتقوى هي ملكة الخوف من الله، مما يجعلها من ركائز العقيدة، وهي أيضا غاية تتطلع إليها النفس الزكية، ويجعل الصوم طريقا لها، ومن لم يكن الصوم حافظا له من ارتكاب المعاصي، فلا حاجة له في تركه، وإقرارا لهذا المعنى يقول النبي **صلى الله عليه وسلم**: "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" [1]وفي هذا المعنى يقول محمد الغزالي: "فالله لم ينظر إلى الصوم على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة؛ بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائما من شهواتها المحظورة ونزواتها المتكررة." [2] ويتبين لنا من ذلك أن الصوم ليس تعذيبا جسمانيا، وليس تعطيلاً عن عمل، إلا إذا اعتبرنا الرياضة البدنية محاولات لهدم الجسم الإنساني وتعجيزه، فالصوم في نظره رياضة لها هدف، وغراس ترجى منه ثمار، وهو مشقة محدودة، لتدريب الناس على المعنويات العالية، وتعليمهم كيف يقبلون عن الخير ويتركون الشر، وكيف يسارعون إلى مرضاة الله ويفرون من مساخطه. إنه ليس معركة مبهمة ضد الجسد، ولكنه خطة واضحة لتزكية القلب ودعم الإيمان.

وفي بيان علاقة الخلق بعبادتي الصلاة والصوم، يقول النبي يقول النبي **صلى الله عليه وسلم**: "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار"[3]، فالعبادات بمقاصدها التربوية، وثمارها في سلوك الإنسان ومدى إسهامها في رقيه النفسي والإيماني.

---

[1] ـ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم 1804.

[2] ـ **خلق المسلم**، مصدر سابق، ص 8.

[3] ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند السيدة عائشة ح 24639.

وأما عن الزكاة، يقول عز وجل﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ [التَّوۡبَة : ١٠٣] إضافة إلى ما تحمله الزكاة من معاني التعاون والتكافل بين المؤمنين، فإنها تحمل أيضا معاني أخلاقية، وهي طهارة نفس المؤمن وتزكيتها، كما أنها في تصور الشيخ الغزالي ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب بل هي أولا غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وتوطيد العلاقات والتعارف والألفة بين شتى الطبقات، فتنظف النفس من أدران النقص، والتسامي بالمجتمع إلى مستوى أنبل، وهي الحكمة الأولى من تشريعها.

لأجل ذلك وسع النبي **صلى الله عليه وسلم** في دلالة عظمة الصدقة التي ينبغي أن يبذلها المسلم[1] فقال: "تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض ضلالة لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلو أخيك لك صدقة، وبصيرك للرجل الرديء البصر لك صدقة "[2]

فالزكاة بهذا المعنى تمرين للإنسان على أن يشعر بآلام الناس، ويتحسس أزمات المجتمع، ويبذل الجهد في تجاوزها.

وعن الحج يقول عز وجل ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [البَقَرَة : ١٩٧]

[1]-**خلق المسلم**، مصدر السابق، ص 8.

[2]-اخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب صنائع المعروف، ح 1956.

فترك الرفث والجدال والفسوق في الحج هو سمو النفس والتجرد لله، والتعلق به دون سواه، وهي العقيدة الصحيحة. ويرى الغزالي، أن الحج رحلة لترويض الإنسان على أدب اللسان والعفة." إننا نريد أن نجعل من الأمة الإسلامية في هذه الرحلة أمة تتعلم أن تكون أمينة على شمائلها وفضائلها لأن السفر يكشف الأخلاق ويبلو المعادن، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج[1].

بعد هذا العرض الوجيز لأركان الإسلام، وما تحمله من معان خلقية، يتضح فيها درجة تساوي الإيمان مع الخلق والتربية الروحية، فالخلق يعد مقياسا لكمال إيمان المرء، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا"[2]

فحسن الخلق سبب لنيل رضا الله وجزائه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكَهْف : ١٠٦ - ١٠٨] كما يعد سببا لنيل محبة الرسول الكريم، ولقربه من مجلسه يوم القيامة؛ حيث قال: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم عني الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون"[3]

لخص محمد الغزالي تفاعل العبادات مع الأخلاق، بقوله "والأخلاق ليست نباتًا طفيليا ينمو وحده، وإنما هي غرس تختار له التربة، ويتعهد بالسقي والتهذيب، ويمحى من الأوبئة والحشرات إلى أن ينضج ويؤتي ثمره"[4]، فالخلق لا يتكون فجأة، ولا يولد قويًا ناضجاً رغم فطرة الإنسان

---

[1] ـ نور عبد القادر، **حديث الاثنين للشيخ محمد الغزالي**، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، ص 109.

[2] ـأخرجه الترمذي في سننه،باب الإيمان، باب استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، ح 2612.

[3] ـأخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاني الأخلاق ح2018 .

[4] ـعلاء الدين وحيد، **محمد الغزالي وتحطيم القيود**، مرجع سابق، ص 169.

الطيبة، بل يتكون على مكث، وينضج بالدوام، من خلال حسن عبادة الله، والإقبال على طاعاته، والابتعاد عن كل ما نهى عنه. كما أن الأخلاق بحاجة إلى رعاية دائمة من عناصر البيئة كلها؛ في البيت والشارع والمدرسة والإعلام والدولة.

ورغم تباين العبادات في جوهرها ومظهرها، إلا أنها تلتقي عند الغاية التي رسمها الرسول، وبعث من أجلها في قوله: "إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق"، فهي دارج الكمال المنشود، وروافد التطهر الذي يصون الحياة ويعلي شأنها[1]

المطلب الثاني: التربية الأخلاقية في فكر محمد الغزالي:

يرى محمد الغزالي أن العبادة الأولى هي معرفة الله معرفة صحيحة، والعقل المستنير بهذه المعرفة هو القائد الواعي لكل سلوك صحيح، والأساس المكين لكل معاملة نقية، وبناء روح متكامل، "ويوم تتلاشى هذه المعرفة من لب الإنسان، فلن يصح له دين، ولن تقوم له فضيلة .[2]

فإذا لم يكن الدين كبحا للهوى، وامتلاكا للطبع، فلا خير فيه، ولا جدوى منه، وقد أكد القرآن الكريم أن تزكية النفس الإنسانية هي الغاية من شتى التكاليف، والتزكية لمنشودة هي التربية الصحيحة، والتي يقصد بها تصفية المعدن الإنساني من شوائبه، وجعل الغرائز كلها تحت رقابة العقل المؤمن، فلا تطغى ولا تجمح .[3]

إلا أننا نلحظ ضعفا كبيرا في جانب الأخلاق عندنا، وبذلك نحتاج إلى كثير من اليقظة والتعهد، وفي هذا يتساءل الغزالي – في العديد من كتبه –[4]عن أخلاق المسلمين، قائلا: "إن العملة المتداولة اليوم في ميادين الحياة إنما هي الأخلاق، وهي لغة عالمية تتفاهم بها الشعوب

---

[1] _ **خلق المسلم**، المصدر السابق، ص 9

[2] _ **ليس من الإسلام**، مصدر سابق، ص 167.

[3] _ **تراثنا الفكري بين ميزان الشرع والعقل**، مصدر سابق، ص 67.

[4] _ **ثراتنا الفكري بين ميزان الشرع والعقل**، وكتاب **دستور الوحدة الثقافية**.

على اختلافها، وتتحاكم إلى منطقها، وربما اختلفت تقاليد وأحكام، ولكن الأخلاق تظل مرتكزة على ما أودع الله في الفطرة من تحسين الحسن وتقبيح القبيح، فاين رصيدنا كمسلمين من هذه العملة المبذولة بين الناس"[1]، ونبينا القائل: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"

وفي نظر الغزالي أن هزيمة الأمة الإسلامية في العصر الحالي لا يرجع إلى العجز الصناعي والعسكري كما يرى البعض بقدر ما هو شلل عضوي في اجهزتها الخلقية وملكاتها النفسية، فالمجتمعات الإسلامية تشبه أحياء قطع عنها التيار الكهربائي، فغرقت في الظلام؛ إذ كان لا بد من إصلاح الخلل[2]، رغم أن تعاليم الإسلام تقرر أن الدين والخلق قرينان متلازمان، بحيث إذا ثبت الإيمان وصحت العبادات ازدهرت الفضائل وحسن الخلق، وتعامل الناس بشرف ونبل وتراحم وصدق، ولقد كان لباقي المسلمين الأوائل قدوة أخلاقية، ونماذج تجسد فيها الشرف والصدق والإخلاص، فتصدروا بذلك القافلة البشرية عن جدارة.

يقول الغزالي: "إنني لا أستطيع الفصل بين تقوى الله وحسن الخلق. إنّ فقدان التربية السليمة والتدين الحق، جعل الدنيا جحيما، وجعل العلاقات البشرية في الحضيض، والتدين الحق هو أن تجعل علاقاتها بالناس محكومة بمعالم التقوى، وخشية الله والتأهب للقائه، وهنا يربط الغزالي بين الأخلاق الإنسانية والأخلاق الربانية؛ حتى يكتمل البناء التربوي الروحي للإنسان، فالحضارة في نظره لا تبنى بخصام الكون وجهل مفاتيحه، أو تخاصم الإنسان وتجاف فطرته؛ لأن القرآن يبني الإيمان على فهم الكون ودراسة الإنسان؛ فبناء الحضارة قد يبدو علميا، لكن هو من صميم الأخلاق، ودعائم التربية الروحية؛ حيث إن التربية الصحيحة تقوم على فقه واسع في الحياة والأحياء، في الأرض والسماء، في كل ما يؤثر فيها وتؤثر فيه ويستحيل أن يكون الجهل بالحياة

[1] ـ **الطريق من هنا**، مصدر سابق، ص 51.

[2] ـ **الطريق من هنا**، مصدر سابق، ص 45.

دينا، أو يكون الفشل فيها تقوى، فمن يملك صفراي شؤون الدنيا لن يكون صفرا إلا في شؤون الآخرة[1]

ولعل تميز الحضارة في الإسلام عن غيرها، في كون الأخلاق حارسا على الحضارة المادية، كي لا تطغى، ولا تتجاوز حدودها الإنسانية، إذ إن أساس القيم الحضارية في الإسلام هو الحرص على كرامة الإنسان، فهو محورها وهدفها. فمفهوم الحضارة في القرآن الكريم هي تلك الروح السامية من الفضائل والخصال الأخلاقية الطيبة، التي تعكس نفسها في سائر النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات، من استقرار وسلوك سوي، وتأدب، وتألق، ورغبة في العمران، وتطوير آليات النظم الحياتية، وترقية البنية الثقافية العلمية.

في حين إذا نظرنا إلى الحضارة الحديثة، نرى تقدمها في ميادين الكشوف العلمية والكونية، فانشغلت المطابع في نشر ألوف الصحف والكتب، والكهرباء في إنشاء دور الإذاعة وفي تسخير الأقمار الصناعية لمزيد من العلم والمعرفة، فهل كان ذلك تقدما إنسانيا حقا"[2] بل هو الفساد في البر والبر، وانتشرت الشهوات والمظالم أمام هذا التقدم، ما يجعلنا نقف عند قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجَاثِيَة : ٢٣]

وسبب الخلل في رؤية الغزالي هو نقص العناية بالجانب النفسي والأخلاقي في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وأيضا ربط المسلمين بالعقيدة والتزكية النفسية، إذ في الوقت الذي حظيت فيه مختلف جوانب الثقافة الإسلامية من فقه وتفسير وحديث وغيرها بالعناية الكبيرة وبالتأليف

[1] _**تراثنا الفكري**، مصدر سابق، ص 42-43.

[2] _ **تراثنا الفكري** مصدر سابق، ص87

المكثف، كان الجانب الروحي والأخلاقي مغموط الحق، منقوص الاهتمام، وفي هذا يتساءل قائلا: "لماذا نؤلف مثلاً كتبا كبيرة في الوضوء، لها طابع علمي محدد؟ ولا نؤلف هذه الكتب العلمية في الإخلاص والتوكل والتقوى والأمانة والصبر والحب؟ وأكاد أقول: إن الأعمال الظاهرة – من عبادة ومعاملة – ما تصدق وتكمل إلا إذا انساقت وراءها هذه المعاني الباطنية، وتخللت مسالك الفؤاد، ولذلك يجب أن تطرق موضوعاتها بكثرة ودقة .[1]

ولقد أدرك الغزالي أن انشغال أمتنا بفروع الفقه، أكثر من انشغالها بالتربية الأخلاقية، هو خلل في بنائها الروحي والاجتماعي، أوجد أجيالا من المتنطعين، لا يخشون معاشا ولا معادا [2]، وكثيرا ما يستنكر على بعض المنتسبين إلى الدين، يهتمون بالعبادات، ويرتكبون أعمالا يرفضها الخلق الكريم والإيمان الحق.

وقد ورد في هذا حديث عن النبي **صلى الله عليه وسلم** أن رجلا قال: "يا رسول الله، إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وقيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال: "هي في النار"[3]، فالإيمان والعبادة والأخلاق عناصر متماسكة، لا يستطيع أحد تمزيق عراها[4]

يؤكد الغزالي بأن الإيمان قوة عاصمة عن الدنايا، دافعة إلى مكارم الأخلاق، فيرى أن الرجل الذي يؤذي جيرانه يحكم عليه الدين حكما قاسيا، مصداق ذلك قول الرسول **صلى الله عليه وسلم** فيه: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن"، قيل: من يا رسول الله؟ قال: "الذي لا يؤمن من جاره بوائقه"[5]

---

[1] _ **الجانب العاطفي من الإسلام**، مصدر سابق، ص 3-4

[2] _ **سر تأخر العرب والمسلمين**، مصدر سابق، ص71.

[3] _ رواه أحمد في مسنده بسند أبي هريرة ، ح: 9673.

[4] _ **سر تأخر العرب والمسلمين**، مصدر سابق ، ص 10-11

[5] _ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، 6016.

وتقريرا أيضا لهذه المبادئ الواضحة في صلة الإيمان بالخلق القويم، يقول النبي **صلى الله عليه وسلم** ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإذ صام وصلى وحج واعتمر، وقال، إني مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان». ولقد حرص الشيخ الغزالي على تأكيد هذه المعاني العظيمة، مستشهدا بقول النبي **صلى الله عليه وسلم** فيما يرويه عن أنس: "إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وأشرف المنازل، وإنه لضعيف العبادة، وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم"[1]

حذر محمد الغزالي من جفاء القلوب وسوء علاقتها بالله، فتتحول بذلك العبادات إلى عادات، والأذكار إلى أوراد ميتة"[2]، لقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحَدِيد : ١٦]

فالطبع الفظ، والقلب القاسي، والتبلد أمام آلام البشر من وراء الهزائم الكبيرة التي لحقت بالإيمان والأخلاق في هذا العصر، ويأسف الغزالي كثيرا لحال أخلاق المسلمين، الذين لم يجمعوا من عناصر التربية الروحية والأخلاق، التي من شأنها أن تنبت الأمة في مغارسها، وتجدي على رسالتها، في وقت تعربد فيه شياطين الإنس والجن، ويكاد الهوى ينفرد بزمام العالم[3] ويؤكد في نفس السياق أن "كثير من العابدين يباشرون العبادة كأنها استعارات من خارج الجو الذي يعيشون فيه، استعارات مجلوبة على النفوس، فارغة من معناها كله أو جله، والحق أن العبادة التي أمر الله بها، وخلق العالمين من أجلها شأن فوق ذلك، إنها شعور مكتمل العناصر، يبدأ

---

[1] ـ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ح 754 .

[2] ـ **سر تأخر العرب والمسلمين**، مصدر سابق، ص 73

[3] ـ **تراثنا الفكري**، المصدر السابق، ص95

بالمعرفة العقلية، ثم الانفعال الوجداني، ثم بالنزوع السلوكي، فالصورة الأخيرة ثمرة ما قبلها، وهذا هو شأن الوضع الصحيح لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإحسان الخلق وقول الحق وسائر العبادات[1]، وبهذا المفهوم نجد الغزالي قد قسم الأخلاق إلى قسمين: أخلاق ربانية وأخلاق إنسانية.

الأخلاق الربانية: وهي دعامة التزكية النفسية، حيث يرى الغزالي أنها العناصر الحقيقية للإيمان، بعد معرفة الله وأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وهي التي تحدد علاقة المؤمن بربه، وتكفل له توثيق صلته بالله عز وجل، وفي هذا يقول: "تلك الأخلاق الثمانية أحصيناها، هي عناصر حقيقية للإيمان، وهي بعد معرفة الله وأسمائه الحسنى وصفاته العلا التي تحدد علاقة المؤمن بربه، لنترك المباحث التي أضافها البعض إلى علم العقيدة؛ فهي أقرب إلى اللغو منها إلى من الجد" [2]. وهذه نظرة تجديدية تحدد المنهج السليم لعلم التزكية، ورغم أن الغزالي أشار إلى ضرورة وأهمية الكثير من الأخلاق الإنسانية، كالصدق والأمانة والوفاء والشرف والعفة والقناعة وغيرها[3]، إلا أننا نجده يركز على الأخلاق الربانية، والتي نذكر منها:

خشية الله: يقول الغزالي في هذا الخلق: "والخوف من الله عاطفة تتسع من حسن معرفته، وكمال العلم له، فهي ليست وجلا مبهما لا يدرى مأتاه أو نتائجه، بل الخوف شعور واضح بجلال الخلاق العليم، وما ينبغي إكنانه له من مهابة[4] وإعظام؛ فالخشية من الله من عناصر الإيمان – كما يوضح الغزالي –، ذلك أن العديد من الآيات القرآنية توثق الصلة بين الخوف والإيمان؛ لقوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ

---

[1] _ **ليس من الإسلام**، مصدر سابق، ص107

[2] _ **ليس من الإسلام**، مصدر سابق، ص98

[3] _ **تراثنا الفكري**، المصدر نفسه، ص99.

[4] _ **الجانب العاطفي من الإسلام**، مصدر سابق، ص 282.

فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ [النَّحل : ٥١].، كما أن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر : ٢٨] يدل على ارتباط الخشية والخوف من الله بمقدار معرفة الإنسان وإدراكه لشتى العلوم، وكلما توثقت صلته بالمعارف وترسخت ازداد إيمانه بربه، لذا يرى الغزالي أن يكون هذا الخلق أولى الأخلاق بالنسبة للأجيال المسلمة، حتى ينشأ جيل تقي، يقظ الضمير[1]، ولقد وعد الله عباده الخائفين من الجزاء بقوله تعالى: ﴿لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إِبۡرَاهِيم : ١٣ - ١٤].، وهذه من سنن الله في خلقه، بأن يكون النصر لمن يخشى الله ويخافه[2]

رجاء الله مع خشية الله تعالى، يجب أن يتحلى الفرد بخلق الرجاء في الله والثقة بعونه وتوفيقه، وليست الحاجة إلى الرجاء قاصرة على فرد؛ بل إن الأفراد والجماعات – كما يقول الغزالي – يحتاجون إلى الرجاء، والدعاء في جهادهم لأنفسهم وجهادهم للناس، فلا شيء أقتل للنفس من فقدان الأمل، وغلبة القنوط، وانكسار الإرادة [3]

يؤكد محمد الغزالي أن ما لحق بالمسلمين من قعود واستسلام لظروف التخلف راجع إلى ضياع الرجاء في الله تعالى، وفقدان الأمل فيما عنده، وعليهم – إن أرادوا استعادة حضارتهم – أن يستعيدوا هذا الخلق، ولكن وفق شروط مضبوطة: "فإن الرجاء في الله تعالى وحسن الظن به، إنما يقبلان إذا اقترنا بالعمل الواجب، وصحبهما الإسراع في حق الله تعالى، والسهر على مرضاته، أما البطالة والاسترخاء، فلا مكان لرجاء، ولا موضع لحسن الظن[4]

---

[1] _ **سر تأخر العرب والمسلمين،** مصدر سابق، ص 64.

[2] _ **سر تأخر العرب والمسلمين،** مصدر سابق، ص 108.

[3] المصدر نفسه، ص 65.

[4] _ **الجانب العاطفي من الإسلام،** مصدر سابق، ص300.

حب الله: يرى الغزالي أن هذا الخلق ضروري في اكتسابه، فهو ليس صفة كمال، أو درجة عليا يقتصر نبلها على بعض العابدين دون سواه من عامة الناس، كما يعتقد ذلك جمهور المسلمين؛ بل هو من الأمور المشروطة لحسن إيمان الإنسان، بل إن فقدانه فسوق، ويغلب أن ينتهي إلى الكفر البواح[1]، وتتمثل أهمية هذا الخلق بالنسبة للمسلم بالنظر إلى الأسباب المؤدية إليه، والمتمثلة في أن الله عز وجل أهل لكل حب، فهو ولي النعم التي شملت حياة الناس وغمرتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النَّحْل : ٥٣] – أن النفس الإنسانية تبهرها العظمة، ويعجبها العظماء، ويسرها الإقبال عليهم والتودد إليهم، والله عز وجل له الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر، فإن كان يتصور أن يحب الإنسان قادرا لكمال قدرته، وعظيما لجلال عظمته، فلا يستحق الحب في ذلك إلا الله عز وجل.

– أن صفات الله كلها تتم عن كونه أهل الحق المطلق، فهو المنزه عن النقائص والمقدس عن العيوب [2]

ذكر الله: إن الإنسان الذي يخشى الله ويرجوه ويحبه لا يغفل عن ذكره؛ لأنه كما قال الغزالي: "ذكر الله تجديد أو توكيد لمعرفته الأولى بعد الإيمان، والإنسان في هذه الدنيا محتاج إلى مذكر دائم، ليستديم معرفته لربه، وإلا نسي، وطال عليه النسيان فجهل"[3]. ولقد لاحظ الغزالي أن العصر الحالي، هو أفقر العصور إلى معرفة الذكر، بركونهم إلى حاجاتهم الدنيوية، فتناسوا بعدهم عن ذكر الله، والذكر الواجب تلقينه للأجيال المسلمة [4]ليس مجدد تجمع في حلقات وترديد

---

[1] ـ المصدر نفسه، ص 300.

[2] ـ **سر تأخر العرب والمسلمين**، مصدر سابق، ص. 300.

[3] ـ المصدر نفسه، ص 69-70.

[4] ـ المصدر نفسه، ص 70

لكلمات، ولكنه عملية عقلية روحية، تعيد الانتباه، وتجلو الصدأ، وترد لليقين قوته وأثره، فيتحقق بذلك الغاية من هذا الذكر، وهي الطمأنينة والأمن، لقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرَّعْد : ٢٨]

التوكل على الله: إن المؤمن الناضج الاعتقاد يتجاوب مع قول الرجل الصالح ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤﴾ [غَافِر : ٤٤]. فمن نضب فؤاده من التفويض إلى الله فقد الأخلاق الربانية، ولكن المؤمن يقول – كما قال هود لقومه: (﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هُود : ٥٦]. فمن خلا قلبه من هذا التوكل فقد أيضا دعامة من معالم الربانية، وانطلق في الحياة محصورا داخل نفسه [1].

أما الأخلاق الإنسانية فأطلق عليها هذا الاسم، لأنها في نظره تشمل المسلمين وغيرهم، وهي كالصدق والأمانة والوفاء، والشرف، والعفة [2]والقناعة وغيرها، وأضداد هذه الصفات –كما يرى الغزالي– هي أركان النفاق، كما جاء في الحديث الشريف، والغريب كما لاحظ أن الفجور والخصومة والعبث بالعقود والعهود، والاستهانة بالكلمة، والإضاعة للأمانات – كلها تكاد تكون عادات مألوفة بين الكثيرين، على حين نجد أتباع ملل أخرى يتحرون في معاملاتهم ومسالكهم مكارم الأخلاق، ويترفعون عن الفوضى والإسفاف والتسيب .[3]

[1] _ **تراثنا الفكري في ميزان الشرع**، مصدر سابق، ص98

[2] _المصدر نفسه، ص 98

[3] _ **تراثنا الفكري في ميزان الشرع**، مصدر سابق، ص 99

وعندما نظر الغزالي في تراث العظماء قال: "لم أجد أغنى ولا أزكى ولا أوسع، ولا أرفع مما تركه محمد صلى الله عليه وسلم في الأخلاق، فما الذي باعد الأمة عن تراثها، وزحزحها عن قواعدها" [1]

ويلخص الغزالي علاقة هذه الأخلاق بالإيمان في البناء التربوي، "ذلك أن الإيمان هبة إلهية خالصة للإنسان، فيها ذات الله تعالى ووجوده، وفيها ما يقوله الله، وما يريده، وبما يرى المؤمن كل شيء في الوجود، ابتداء من ذاته (نفسه) المسندة في وجودها وحياتها على الله، وحس الكون الكبير من حوله، ثم يتجاوز ذلك كله ليرى ما غاب عنه، فيراه أوضح وأجلى من رؤيته بعينه، فنور الإيمان إذا ينتهي إلى صون المعاني التي بها سمي الإنسان إنسانًا، كالصدق والإخلاص والمحبة والرضا، والحياء والشكر، وكل خلق حسن، كما أن نور الإيمان هو مناط التكليف، فإذا آمن الإنسان بالله، فإنه يعطيه وثيقة دعم وقوة من الله، وتوكل عليه[2]. ولعل ما يقصده الغزالي بالأخلاق وعلاقتها بالإيمان، هو البناء الروحي (ما يسمى بالتصوف)، الذي كان في بدايته ممارسة سليمة للأخلاق القرآنية والتزكية النفسية.

حقيقة التصوف: إذا أردنا اختصار التعريفات التي وردت في حقيقة التصوف، نقول ما قاله الكثير من المتصوفة أن التصوف هو: اخلاق مقتدية بالشرع في ظاهرها، هدفها تصفية الباطن؛ ليدرك صاحبها (الصوفي) الحقائق[3]. ولكن وقع فيه ما وقع، وهو ما بينه الشيخ الغزالي بقوله: "لقد فزع العامة إلى علوم التصوف؛ يستكملون منها ما عز عليهم إدراكه في علم الكلام"[4]،

---

[1] ـ المصدر نفسه، ص 99

[2] ـ **الجانب العاطفي من الإسلام**، مصدر سابق، ص 226

[3] ـ ورد في **التعريفات** لعبد القاهر الجرجاني و**الرسالة** لابي القاسم القشيري تحقيق: عبد المنعم حنفي، دار الرشاد، القاهرة، ص 74.

[4] ـ **عقيدة المسلم**، مصدر سابق، ص 8

فكان بذلك التصوف هو الملجأ الذي لجأ إليه المسلمون لاستكمال ما فقدوه في جفاف علم الكلام، الذي أرضى عقول البعض، وأفقر عاطفتهم تجاه خالقهم، إلا أن قرارهم كما ذكر الغزالي، كان أشبه بالذي استجار من الرمضاء بالنار؛ ذلك: "أن التصوف ميدان كثير المزالق، وشطحات السائرين فيه أكثر من سدادهم، ولا شك أن هذا العلم (علم التصوف) أنعش عاطفة الحب الإلهي، وربط قلوب الناس ربطا رقيقا ببديع السماوات والأرض، إلا أن مخاطر الشغل به تجعلنا نتوجس منه[1]"

ورغم إقرار محمد الغزالي بمشروعية هذا الجانب من الثقافة الإسلامية، ودوره فيها، إلا أنه له مأخذ عليه، وهو يدرك تماما الآفات التي أصابته من الفكر الدخيل، وفي هذا يقول موضحا: "وقد قرأت مع غيري ونحن طلاب، كتاب العقائد النسفية في علم التوحيد، وقرأت مع غيري كتاب ابن عجيبة، الذي شرح حكم ابن عطاء الله في التصوف، وقرأت في المجالين كتبا شتى، وشعرت في آخر المطاف بأن هناك نفائس مبعثرة وسط قمامات كثيرة، فقلت: حبذا لو ميزنا الخبيث من الطيب في هذا الخلط الكثيف .. إننا بحاجة إلى علم تدرس فيه طرق تحويل الحقائق الدينية النظرية إلى خلق لازم، وعمل دائم، وأسلوب في الحياة معروف الهدف، مشوق الخطوات[2]

فالتصوف بدأ بممارسة سليمة للأخلاق القرآنية، ثم اعترته ظروف شتى؛ من مفاهم غريبة دخيلة، ونظريات تسربت من خرافات الهنود والنصارى، وفي هذا يقول: " وبعد أن طال عليه الأمد، اختلط بأحوال كثيرة، وتسللت إليه الأفكار ذاتها التي تسللت إلى النصرانية من الوثنية الهندية، حتى أن البعض آثر الإعراض عن هذا التراث كله؛ لكثرة ما طفح في كتب القوم من دخيل وأباطيل[3]؛ لكن الغزالي أراد تنقية التصوف من الممارسات والفهم الخاطئة التي تسللت

---

[1] ـ المصدر نفسه، ص 8

[2] ـ **ركائز الإيمان بين العقل والقلب**، مصدر سابق، ص 112

[3] ـ المصدر نفسه، ص 138

إليه، ولا يقصد من وراء ذلك إلا العودة به إلى جوهر التعاليم الأخلاقية السامية التي دعا إليها الرسول **صلى الله عليه وسلم** وطبقها، فغرسها في الجيل الأول.

فلقد صبغ التصوف برسوم العبادات التي ليست من الإسلام، بعد دخول النصارى والمجوس والبوذيين للإسلام، فانحرف بذلك عن المسار الصحيح، وهنا يقول: "إن تسرب البدع والأفكار الأجنبية في الزهد جاء مع دخول الجماهير الهائلة من النصارى والمجوس والبوذيين في الإسلام، واستصحابهم بعض المواريث والعادات التي قلما يتخلص أصحابها منها إلا بعد أمد يطول أو يقصر"[1]، كما استحدثت الصوفية نتاجا لها، الاعتقاد بالأولياء، فرجموا هذه الأمة ودينها.

لذا نجد الغزالي يحرص على تبيان الخرافات في التصوف وآثارها على أحوال الأمة، لأنها أكثر التصاقا بواقع عامة الناس. فتغليب جانب العاطفة على العقل أدى إلى الممارسة الخرافية، والتي يغذيها التصوف الشارد عن الضوابط الشرعية؛ إذ إن صدق العاطفة ليس عذرا للخلط العلمي، ولا للقول في دين الله بالهوى والرأي؛ فإن للإسلام ينابيع معروفة تؤخذ أحكامه منها وحدها، ولا يؤذن لبشر بالتزيد عليها أو الإنقاص منها .[2]

فالاعتقاد في الخرافات أدى إلى الممارسة الخاطئة للتصوف التي انتشرت بين الصوفية خاصة والناس عامة، وكأن الإسلام يقوم على الخرافات، بيد أنه دين عقل وحق وصواب، وفي هذا يقول محمد الغزالي عنه: "هومد خيمة الغيبيات لتشمل مساحة واسعة من عالم الشهادة، حتى كأن الدين حارس طبيعي للطلسمات والخرافات، أو كأنه خصم لدور المنطق العلمي اللدود[3]"

ومن أخطر علل التصوف تلك المعاني التي نقلها الصوفية، وقد قيلت في غير الله؛ ليعبروا بها عن وجدانياتهم؛ كاستعمال أبيات شعرية في الغزل، وفي وصف الأشياء المادية، وفي هذا فتح

---

[1] ـــ **ليس من الإسلام**، مصدر سابق، ص 100

[2] ـــ **الجانب العاطفي من الإسلام**. مصدر سابق

[3] ـــ **ركائز الإيمان بين العقل والقلب**، مصدر سابق، ص 87

لأبواب التجسيد والتشبيه والحلول، وإساءة الأدب مع الله الحق تعالى، وغيرها، وكذلك ترويج الصوفية لعقيدة الجبر ونبذهم الدنيا، والترويج لثقافة الفقر وغيرها.

انتقد محمد الغزالي هذا النوع من التصوف بشدة، لأنه يراه عاملا فعالا في تعطيل الإرادة البشرية، وجعل الإنسان مشدودا بخيوط واهية تجره إلى مصير مجهول، بعلومهم المعروفة بعلوم القلوب، ورجالها تائهون وسط أفكار وفلسفات سقيمة، أما الأتباع فالتصوف عندهم رقص تهتز به الأبدان، وتموت فيه العقول والأفئدة"[1]

فالفصل بين العقل والقلب في التعامل مع أحكام الإسلام، خلل تجاوز الخلل المنهجي في التعامل مع مصادر التلقي، إلى أن أصبح خللاً تربويا، له آثاره السيئة والمدمرة لفاعلية الإسلام، وقدرتها على صناعة الأشخاص والتاريخ والحضارات وبناء الإنسان، وهنا يشير الشيخ الغزالي إلى خطر هذا الفصل قائلا: "إن الانفصال كان طبيعيا بين العلم والحكم، لأن أغلب الحكام قذفت بهم الوراثة، ولو كانوا من غير مؤهلات، ولم يقل أحد إن الله جعل العبقرية في ذرية معينة، ومع أن هذا الانفصال مصيبة فادحة، إلا أن المصيبة الأفدح كانت في الانفصال بين الفقه والتربية، أو بين علوم الشريعة والتصوف ...إن الإنسان الكامل يقوم بقلبه وعقله جميعا، فالذكاء مع خبث الطوية شر، وسلامة الصدر مع الجهالة والغفلة شر."

كما أشار الغزالي إلى أن بيئة التصوف لما حرمت من الفقه، امتلأت بالأوهام والترهات، وأفسدت الأمة، وبيئة الفقه –بدورها– لما حرمت صدق العلاقة بالله وقوة الثقة فيه، غلبت عليها الصنعة وطلب الدنيا، ورغم أن محمد الغزالي يؤمن بأن التصوف له دوره في التربية والترقية الروحية الذي عجز عن أدائها علماء العقيدة والفقه، بعد أن تحول علم العقيدة إلى جدل عقيم خال من الأبعاد الروحية، وتحول الفقه إلى الخوض في مسائل دون إدراك لروحها – كما يقول:

[1] _ **ركائز الإيمان بين العقل والقلب**، المصدر السابق، ص 145.

"بيد أن الإنصاف يدفعني إلى القول إن هذا الجانب المهم من الثقافة الإسلامية، لم يلق العناية المستحقة لدى جمهرة الفقهاء والمسلمين، وأن المتصوفة –برغم شطحاتهم وغلطاتهم– هم الذين أفاضوا في هذا الحديث .. إن فقهائنا كتبوا المجلدات في غسل الأطراف، ما كان يعيبهم أن يتناولوا هذا الجانب، وأن يضبطوه بأدلتهم الفقهية، وإن المسلمين الذين عقدوا الفصول الخطيرة في الشؤون الإلهية، المغيبة، ما كان يعيبهم أن يحببوا الناس في الله، ويرفعوهم إلى حضرته بأسلوب علمي محكم – لقد كان ذلك – والله أجلى على الإسلام وأهله من بحوثهم العميقة في الذات والصفات"[1]

ولذلك لو استقرأنا تاريخ التصوف في الإسلام، فإننا نقر أن نشأته لا ترتد فقط إلى ظاهرة الفساد الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية، وإنما تعود – بشكل جلي– إلى ظاهرة العقلنة المسرفة، التي تجلت في علم الكلام والفلسفة على حد سواء، والواقع أن علم الكلام الذي خاض معارك مجيدة في وجه خصوم الإسلام، وحفظه للعقيدة الإسلامية تماسكها وصرامتها وأصولها الراسخة، قد كان عاجزا على أن يقوم بدور حيوي فعال في الحياة الروحية والاجتماعية للإنسان المسلم، ولعل من المفاهيم الخاطئة والخطيرة في الممارسات الصوفية، والتي كان لها أثرها السيئ على الفهم والتطبيق في حياة المسلمين ما نذكر منها:

مفهوم الحقيقة والشريعة: هذا المفهوم الذي عرفته الممارسة الصوفية كتمييز بين الخاصة أصحاب الحقيقة، والعامة أصحاب الشريعة، وقد كان هذا المفهوم سببا كافيا لفتح باب الخرافات، ومن المفيد أن نذكر هنا رأي الغزالي في هذه القضية؛ حيث يقول: "إن الحقيقة ... أن يتطابق الفؤاد مع اللسان عند ذكر الله، وأن تتعانق الروح مع الجسد عند الانقياد لأمره، فالحقيقة هي أن يلتزم المسلم بالشريعة مبنى ومعنى، وأن ينفعل بتعاليمها لبا وقلبا وجسدا، وأن يرقى إلى

[1] ـ المصدر نفسه، ص 94

مستواها فكرا وعاطفة وسلوكا... وهذه هي الحقيقة التي تحدث عنها علماء التصوف ورجال التربية"[1]

فليست الحقيقة كما يعرفها ابن عجيبة في شرح ابن عطاء الله السكندري حيث يقول: "الأعمال عند أهل الفن –يعني فن التصوف– على ثلاثة أقسام: عمل الشريعة، وعمل الطريقة، وعمل الحقيقة، أو تقول: عمل الإسلام، وعمل الإيمان، وعمل الإحسان، أو تقول أهل البداية، وأهل الوسط وعمل أهل النهاية، والطريقة أن تقصده، والحقيقة أن تشهده، أو تقول: الشريعة لإصلاح الظاهر والطريقة لإصلاح الغائر والحقيقة لإصلاح السرائر[2]"

وهذا كلام مضطرب مدخول –في تصور الغزالي– يقوم على التلاعب بالألفاظ، والعبث بالمفاهيم، فإن الشريعة إصلاح للظاهر والباطن معا، وهي عبادة دينية وإحسان، فلا يغنيك أحد هذه العناصر عن الآخر، فليس في دين الله أهل شريعة، وأهل حقيقة، وإلا انقسم الوحي الإلهي إلى فريق لهؤلاء وفريق لأولئك [3] ويمكن أن نستخلص من مفهوم الحقيقة والشريعة عند المتصوف، فصلا ظاهرا بين الإنسان وشريعته، بين باطنه وظاهره، فلا نجد في هذا المفهوم صلة بين ما أمر الله الاعتقاد به، وبين ما أمر بتطبيقه، والواقع أن القرآن الكريم ينقل الإيمان من ميدان التصورات النظرية إلى ميدان الشعور الحي المأنوس بالواقع.

لذا يرى الغزالي الحاجة ملحة في إصلاح مناهج التزكية على ضوء ما عرفته الممارسة الصحيحة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وتنشئة أجيال لا يفصلون بين الإيمان والخلق، ولا بين العبادة والعمل.

---

[1] ـ **ركائز الإيمان بين العقل والقلب**، المصدر السابق، ص 121

[2] ـ المصدر نفسه، 122-123

[3] ـ المصدر نفسه، ص 121

التصوف كما يراه الشيخ الغزالي

التصوف في نظر محمد الغزالي علم يبعث الحياة في الإيمان، ويزكي النفس، ويعطي المعنى الأصح للوجود الإنساني، ولقد عبر عنه في كتبه بـ "التصوف الصحيح"، وأحيانا بـ "التصوف الذي نريده"، وهو كما قال: "ما كان فيه الإيمان شعورا نفسيا وعقلا واعيا وقلبا يتحرك، ونظراً متعمقا إلى الوجود الصغير، ونفسا زكية، مستجمعة للفضائل، منزهة عن الرذائل".[1] إن هذه المعاني استقاها الغزالي من القرآن والسنة، وسعى إلى تمثيلها في حياته وغرسها بين المسلمين.

ويفصل الغزالي في مفهومه للتصوف أنه: "نزعة إنسانية عامة، تلتقي فيها الطبيعة النفسية لبعض الناس مع طبيعة الإيمان العميق بأي دين"؛ حيث يقول: "عندما انسلخ التصوف عن الفقه، ظهر فقهاء قلوبهم في منتهى القسوة كأنهم جماد، بينما ظهر متصوفة ذوو قلوب رفيعة ولا عقل لهم، لكننا نريد العقل والقلب معا"[2] ، وانظر إلى سيدنا موسى عندما قال له ربه: لماذا جئت مسرعا وتركت قومك، رغم أني قلت لك أن تأتوا معا؟ .. فلماذا جئت بمفردك؟ فيقول له: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣﴾ [طه : ٨٣]:.، فيقول سيدنا موسى: ﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤﴾ [طه : ٨٤] ، فهنا عاطفة تعبر عن القرب إلى الله، وعن مفهوم التصوف.

ولقد كانت عاطفة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ممتدة، فكان ذا عاطفة جياشة، لأنه ذاق حلاوة الإيمان بالله ربا، وبالإسلام دينا، حيث حول الإيمان من حقيقة منطقية عقلية جافة إلى شيء جميل ولين وعظيم.

---

[1] ـ**ركائز الإيمان**، المصدر السابق، ص 188

[2] ـ المصدر نفسه، ص 138

فالتصوف كما يتصوره محمد الغزالي: علم يبعث الحياة في الإيمان، ويزكي النفس، ويعرف الإنسان بحقيقة وجوده. وهنا تبرز أهمية القلب المسلم فيما ذكره القرآن الكريم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشُّعَرَاء : ٨٨ - ٨٩] ما تبرز أهمية العقل السليم، فيما قاله أهل جهنم في قوله تعالى ﴿قَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ [المُلْك : ١٠] ومن هنا يبدو ضروريا تميز المنهج الإسلامي بالجمع الوثيق بين العقل والقلب، إلا أن كليهما في حاجة إلى موازين ضابطة تحقق تكاملهما.

يقول الغزالي: "فنحن في حاجة إلى حب الله – بيقين – لكن هذا (الحب) يجب أن تحكمه الضوابط العبادية والشرعية، ولا يكون مجرد عاطفة هائجة بعيدة عن الشريعة التي حددها الله طريقا لحبه ورضاه ورحمته" [1]

فعلم التصوف يدرس أساس الحب في الله، وعاطفة الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، إلا أن مستوى الإحسان –الذي هو لب التصوف وهو قمة الخلق الحسن– لم يأخذ حقه من الدراسة والاهتمام عند الكثير من الصوفية، والغزالي يوضح حقيقة التصوف، إذ يقول: "ما كان عليه تصوف فلسفي، ومن أبطاله محيي الدين بن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض والحلاج"، وتصوف أخلاقي أو عبادي، مثل الشاذلية، والقادرية، وهؤلاء أناس طيبون، ولكنهم ليسوا على مستوى تصوفهم، وربما لا يلتزم كثير منهم بحدود الكتاب والسنة، أما التصوف الفلسفي ففيه أكاذيب"[2]

وعليه فإذا أردنا إحياء التصوف، فليس بالطريقة التي هو عليها الآن، بل عن طريق أناس يحبون التصوف، بطريقة مختلفة عن الكلام الموجود في الكتب الآن، والإسلام بريء منها؛ بل

---

[1] ـ عويس عبد الحليم، **الشيخ محمد الغزالي تاريخه، وجهوده، وآراؤه**، دمشق دار القلم،ص 56

[2] ـ محمد الغزالي،**الجانب العاطفي من الإسلام**، ص 12

يجب أن تغربل في ضوء القرآن والسنة، ذلك أن البدع والشوائب التي كانت في التصوف، تسببت للمسلمين في كوارث في تاريخهم، من تشويههم للإسلام، وصرفهم إلى الإلحاد والعلمانية والانحراف المادي.

ويرى الغزالي أن التصوف الحق يمكن أن يقترب بصاحبه من مرتبة الإحسان، وهي مرحلة البناء الروحي الراقي، والمرئية التي سمي بها التصوف (علم الإحسان)، كما يطلق عليه (علم القلوب)، أو الجانب العاطفي، وهو يقتدي بذلك إطلاق هذه التسميات بابن تيمية في كتابه "الفتاوى الكبرى"، وابن القيم في كتابه "مدارج السالكين شرح منازل السائرين"[1]

ويدعو إلى التشبع بالزاد الروحي والوجداني الموجود في تراثنا الثقيل، وهو محدد تحديدا حسنا في كتب ابن تيمية وابن القيم، وهما رجلان من أعمدة العلم السلفي، كما يرى أن سبب فشل بعض الدعاة إلى الله في دعوتهم، هو اهتمامهم بالقضايا التافهة، نتيجة لهذا الفراغ القلبي، حيث يقول الغزالي: "ففي التصوف زهور كثيرة يمكن أن تجمع وتفيد في علوم التربية والنفس والأخلاق، فرفض التصوف كله مرفوض، كما أن قبوله بما يحتشد به من أعشاب ضارة وأشواك دامية مرفوض أيضا"[2]. ويأسف الغزالي لظهور صنفين من المسلمين – نتيجة لما سبق ذكره – على طرح نقيض، والإسلام يأبى مسلكهما، وهما: صنف نلمس في قلبه عاطفة حارة ورغبة في الله، وحبا لرسوله، إلا أنه ضعيف البصر بأحكام الكتاب والسنة، يعلم منها القليل، وصنف تلمس في عقله ذكاء، في علمه سعة، وفي قوله بلاغة، يعرف الصواب في أغلب الأحكام الشرعية، مؤديا للعبادات، ولكنه غليظ القلب، بادي الجفوة، مستعل بما أوتي من إدراك للعقل، وهنا يضيف الغزالي مبينا : "إلا أن المسلم الكامل رجل نير الذهن والقلب، حاد البصر والبصيرة

[1] _**الشيخ محمد الغزالي، تاريخه وجهوده وآراؤه**، مرجع السابق، ص 57، 58.

[2] _ **الجانب العاطفي من الإسلام**، مصدر سابق، ص 12

معا، تتعانق فكرته وعاطفته في معاملته لله، ومعاملته للناس، فلا تدري أيها أسبق، صدق أدبه أم حسن معرفته، ولا تدري أيها أروح؟ خصوبة نفسه الجياشة أم فطانة عقله اللماح[1]."

المطلب الثالث : منهج التزكية والتربية في فكر محمد الغزالي:

يرى الغزالي أنه لا يصلح دين إلا بأمرين، هما: العقل السليم والقلب؛ فقد يكون لبعض الصوفية الحب الله، لكن خروج أكثرهم عن العقل، وعن سنن الله، واعتقادهم بالخرافات تحيط أعمالهم، كما قد يكون لعلماء الكلام والفلاسفة قوة في العقل تبعدهم عن جوهر الدين، إلا أن الإسلام – بشموله واعتداله، وجمعه بين العقل والقلب –يرفض هذا التدين المغشوش المنحرف؛ إذ عندما يختل الميزان يضيع العقل أو يضيع القلب، فأهمية القلب السليم في الإيمان تتجلى في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشُّعَرَاء : ٨٨ - ٨٩] ، وأهمية العقل السليم تبرز في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ [المُلْك : ١٠]. من هذه الآيتين يبدو لنا أن لا إسلام ولا إيمان بلا عقل، كما أنه لا إسلام ولا إيمان بلا قلب، إلا أن كليهما في حاجة إلى موازين تحقق تكاملهما وانسجامهما؛ حتى يتحقق التدين الصحيح؛ فعاطفة الحب الإلهي تصنع الكثير إذا لم تكن مجرد عاطفة هائجة بعيدة عن الشريعة التي حددها الله طريقا لحبه، وأن يحكمها عقل ضابط غير مسرف.

فالتصوف الذي يحارب الأخذ بالأسباب، ويتقاعس عن بعض النشاطات يكون بعيدا عن العقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح، ذلك أن المسلم لا يكون كاملا إلا إذا كان نير العقل والقلب معا، حاد البصر والبصيرة معا تتعانق فكرته وعاطفته في معاملته مع الحياة والكون.

[1]_المصدر نفسه، ص13

وهذه الصفات هي مشتقة من طبيعة الإسلام نفسه فهو دين يبني عقائده من ناحية الصحة العقلية على أسس فكرية تشبه البديهيات في علوم الرياضيات، إذ إن الركائز العقلية لهذا الدين ثابتة فيما شرع من معاملات عامة، وفيما يعرض له من مشكلات وقضايا متجددة.

وإلى جانب هذا فالإسلام دين عبادة تقوم على سلامة القلب، وشحنه بالحب والأدب والإخلاص، ويجمع الغزالي هذين الجانبين في فكره وقوله: "ودين الإنسان ينقص بقدر ما يصحب عاطفته الحارة من نقص علمي أو عجز فكري"[1]

فالجانب العاطفي للإسلام كما يسميه الغزالي، أساس لا يمكن إنكاره في الفكر الإسلامي الصحيح إذا كان مربوطا بشرطين:

- أن يعتمد على الكتاب والسنة.
- أن يكون منسجما مع العقل الصحيح، بعيدا عن البدع والخرافات[2]

وهنا تكمن الصلة بين العقيدة كجانب نظري، وبين التصوف كجانب وجداني، وامتثال سلوكي. فاستقلالية العقل -كما هو الحال في علم الكلام- نتج عنها إيمان غامض فاتر واستقلالية القلب عن العقل، نتج عنها إيمان مبهم تعلبه الخرافات، يقول الغزالي: "إن الإيمان الغامض قليل الجدوى، والإيمان الفاتر أعجز من أن يهيمن على السلوك، والواقع أن أصحاب رسول الله لم يحتلوا مكانة القمة، ولم يغيروا التاريخ الإنساني، ويقيموا حكما مكان حكم، وأخلاقا مكان أخلاق، إلا لقربهم من حياة الرسول واقتباسهم من سناه، وسريان الإخلاص في قلبه إلى قلوبهم، وحب الله من فؤاده إلى أفئدتهم[3]. "

---

[1] _ **الجانب العاطفي من الإسلام**، مصدر سابق، ص 11-13.

[2] _**الشيخ محمد الغزالي تاريخه وجهوده وآراؤه**، مرجع سابق، ص 60.

[3] _محمد الغزالي، **فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء**، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة ص 27.

والذي نستنتجه من هذا القول، أن هدف الغزالي من الجمع بين العقل والقلب، هو أن يتشكل لدى المسلم إيمان مبني على اليقين مهيمن على السلوك، مزك للروح، ومحرك للعمل الذي يستطيع به أن يحتل مكان القمة، فيغير التاريخ بفاعليته وحسن التزامه بتعاليم دينه.

فالربط إذا يعني التفاعل المزدوج مع حقائق الإسلام، عاطفة وفكرا وافعالا ويقينا، ويقظة ذهنية، وهذا ما يقصده الغزالي بقوله: "التصوف الذي نريده فهو الإيمان بالله عاطفة وفكرا"، والحقيقة أن هذا المنهج هو الذي سلكه القرآن في عرض العقيدة الإسلامية، وذلك بإثارة العقل والوجدان، لتثبيتها في قلوب الناس، ومثال ذلك ما بينه الغزالي في عرض القرآن الكريم لحقيقة الألوهية، بما تتضمنه من إثبات لوجود الله تعالى، وذكر لأسمائه الحسنى، فيقول: "لقد ذكر القرآن الكريم أسماء الله الحسنى مئات المرات في تضاعيف قصصه وتشريعه، ووصفه لمشاهد الكون، ومشاهد البعث ورفض أن يكون الثناء على الله فطريا لا يتحرك به فؤاد، ولا يرضى به سلوك، ثم ترجم النبي العابد محمد **صلى الله عليه وسلم** هذا المنهج في نواحي حياته كلها، فصار إنسانًا ربانيا ترنو بصيرته إلى الله، ويباشر كل شيء في الدنيا باسمه، كأنه منه على مرأى ومسمع"[1]

ونجد المعنى نفسه عند تفسيره قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣﴾ [الزُّمَر : ٢٣] فيقول الغزالي: "والآية تشير إلى أن القرآن لا يحتوي على مباحث نظرية مجردة، أو قضايا من اختلاف الترف العقلي، كلا هذا الكتاب يعرف الناس بربهم على أساس من إثارة العقل، وتعميق النظر، ثم يحول هذه المعرفة إلى مهابة لله، ويقظة في الضمير، ووجل من التقصير،

[1] ـ **فن الذكر والدعاء**، مصدر سابق، ص 16.

واستعداد للحساب، هناك أفكار أرضية تبدأ وتعيد في نطاق الحما المسنون، أما القرآن فهو يدع الناس يمشون في الأرض بعد أن يجعل رؤوسهم في السماء"[1]، وبناء على هذا فإن الغزالي يتصور الإسلام المكتمل بأنه ليس نظرية علمية اقتصادية، وليس فكرة مجردة عن الله، مهما كانت صحتها وقدرتها على الاستدلال؛ بل إنه يقوم على العقل، ويرحب بالفكر الجيد، ويحث على الارتباط المادي والمعنوي بالكون عملا وتأملا، ومع ذلك فإنه دين يعقد الإيمان عاطفة دافعة بالحب والبر.

ومن المتعذر- كما يذكر الغزالي- الفصل بين الاستنارة الفكرية، والهداية النفسية، إذ يتعجب إلى وجود ناس لهم عقول ذكية وسيرة هابطة، فهذا التناقض ضرب من الجنون [2]، وقد أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾ [البَقَرَةِ : ٤٤] ، يضيف موضحا أكثر: "نعم؛ فالمفروض أن صحة التفكير تستتبع صحة التصوف، وهو البناء الروحي، لكن هذه البديهية عندما تنتقل إلى عالم التطبيق يعترضها من العوائق ما يعترض التيار الكهربائي عندما تعترضه مواد عازلة، والدين الحق شفاء من هذه العلل، فهو عقل مستقيم، وضمير حي، أما الثروة الطائلة من النظريات والفقر المدقع في المشاعر النبيلة فليس تدينا مقبولا"[3].

وفي هذا نقرأ للغزالي تساؤلات في كتابه "ركائز الإيمان"، أراد من خلالها تبيان نظرته للتصوف الصحيح، والتي كان قد أجاب عنها وأكدها في العديد من كتبه، نذكر منها: "كيف يحقق هذا التدين؟ كيف نجعل اليقين ينزل من السطح ليشتبك بالأعماق؟ كيف تحول معرفة الله إلى مذاق

---

[1] _ **المحاور الخمسة**، مصدر سابق، ص 149.

[2] _ **ركائز الإيمان**، مصدر سابق، ص 203

[3] _ **ركائز الإيمان**، المصدر السابق، ص 104.

حلو يطبع النفوس على الرقة ويضفي السرائر من كدرها؟ كيف نجعل المرء مشتاقا إلى ربه، فهو ببواعث من أشواقه يطبعه ويسارع إلى مرضاته. كيف يشهد المرء ربه في مجال السموات والأرض، ويشهد أسماءه الحسني فيما يقع من حركة وسكون على امتداد الزمان والمكان؟"[1].

البعد الجمالي في البناء الروحي

إن باب الجمال هو أكبر مداخل الوحي إلى الذات الإنسانية، ولذلك لبس الوحي حلة من روائع المجاز، فمن فسد ذوقه فقد أغلق باب الوحي على نفسه، ولم تتجاوب ذاته مع حقائقه، ولهذا أولى الإسلام اهتماما ملحوظا بالجانب الجمالي، بدعوته إلى اعتبار الحكم الوضعي الذي يلفت النظر إلى جمال الكون بالنظر لتقلب الأوقات. في العبادات، ومن هنا يدرك سر دعوة القرآن الكريم إلى التدبر في جمال الكون ولفت النظر إليه، بل وجعله شرطا وسببا للعبادات، فمواقيت الصلاة ترتبط بالنظر في الشمس والقمر والنجوم والظلال والشفق والغروب والشروق، وكلها مشاهد تستلفت الذوق والفكرة بجمالها، ونظامها البديع .. إنها التكاليف العقلية والذوقية التي تقدم بين يدي الصلاة والصيام والزكاة والحج، وتهيئ النفس لاستقبالها، فهي تكاليف مرتبطة بالعبادات، يريد بها القرآن إثارة النظر إلى الجمال؛ لكي تتشربه النفس البشرية، وتصدر أفعالها عنه، فهو يريد جذب النفس إلى مراتب الإحسان، بما يطبع فيها من إتقان الصنعة وبديع جمالها، حيث إن القبح المنطبع في النفس من مظاهر القبح والخراب، وهو الذي يطبع سلوكنا بذلك، لأننا لم نقم عبادة حقيقية وفق مقاصدها. إن الكيان الإنساني يقوم أساسا على العقل والذوق، فإذا ما تعطل العقل وتبلد الذوق انطمس الجانب البشري من الإنسان، وتحول إلى وحش كاسر، يتربص السوء، وهذا ما يفسر السلوك العدواني لدى أصحاب التدين الشكلي الذي ينافي العقل والذوق معا.

[1] ـ المصدر نفسه، ص 105.

لقد شوه الفكر الديني الشكلي الكيان الإنساني، وعطل مداركه، وأفسد ذوقه الجمالي؛ حيث انحدر به إلى مستوى الجمود والتبلد، ولا يؤثر خطاب الوحي تأثيره المطلوب قبل تصحيح إنسانية الإنسان، ورفع مستواها. إن الحضارة هي الصورة العملية الظاهرة لما تجلى الوحي الإلهي عن النفس، وانعكاس للنظام والجمال، الذي استقره ذات الإنسان، وامتزج بكيانه، فهو صورة ظاهرة وتجليات محسوسة لما توصل إليه الإنسان من كمال النظام وجمال الهيئة الباطنية، وأهم عوامل إقرار هذا النظام والجمال في النفس هو الدين، وكل خلل في فهمه او تطبيقه ينعكس على هيئة كمال الحضارة.

ولذلك كانت الصلاة في قسمها الخارجي المتمثل في الحكم الوضعي ترسيخا لقيمة الجمال في النفس، فهناك تناسب طردي بين المبدأ الأخلاقي وذوق الجمال، وكلما ارتفع منسوب هذا الذوق كلما زكت التربية الروحية للإنسان، وبالتالي فإن الجمال وسيلة لتزكية النفس ورفع مستواها الذوقي، فالإسلام جمال كله، وكل ما أُخل بالجمال في النفس يستدل به على فساد نسبته إليه.

فقد نصب الله الأدلة الجمالية على وجوده وشهوده، لترسيخ الإيمان، وبلوغ مرتبة الإحسان والكمال، من خلال تدبر آياته المبثوثة في الأنفس والأفاق، فكلما ارتفع منسوب الجمال في النفس، كلما عظم فيها تقبيح المعصية واستقذار المخالفة، وبالتالي فإن المعصية قبح لا يتناسب مع قانون الجمال ونظامه، ولقد حارب محمد الغزالي الفقه التقليدي الذي يفتقد إلى البعد الإنساني، ويهدر قيمة العقل والذوق في صياغة الأحكام وفهم الدين والحياة، والحضارة تقوم أساسا على العقل، فمثلا إباحة الغناء ليس بدعا من الآراء الفقهية التي ابتدأها الغزالي، بل رواج التحريم كان نتيجة طبيعية للتخلف الحضاري، وما يفرزه من عطالة في العقل وتبلد في المشاعر، وسقم في الذوق وركود في الفكر، ولم يكن ترجيح الغزالي لرأي الإباحة في تراثنا عملا

فقهيا مجردا، بل لإزالة آثار التحريم النفسية التي تطمس ذوق الجمال، وتعطل بعدا إنسانيا لا يقل خطرا عن قيمة العقل.

عند تمعن الغزالي في سورة النمل يجد فيها المعاني الحقيقية، وبعدها الجمالي في تزكية النفس، فيقول: "وأنظر في سورة النمل، فأجد تناولا يستحق أن تقف عنده مدهوشا: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النَّمل : ٦٠] فمعنى البهجة التي تشع في أرجاء النفس عندما ترى منظر الخضرة شيء يلفت النظر، ويزيد العاطفة". ويضيف قائلا: "والذي أراه أن الإيمان الذي يصوغه القرآن في النفس، ليرفع به مستوى الإنسان إلى أن يكون ذواقا لما في آفاق الأرض والسماء من نواحي الجمال، ولا يتم إيمان إنسان إلا إذا نظر إلى الكون على أنه هذه الصفحات التي يبدو فيها الجمال الإلهي والمجد الإلهي، وفي نظري أن الله عز وجل عندما أقسم بالليل والنهار وبالصبح والظهر والعصر والقمر والسماء وبالوالد والمولود، وبالنفس يقسم بها لكي يلفت نظرنا إلى أن الكون موضوع كبير لمعان كثيرة[1]

وهذه المعاني المستوحاة من الكون، لا بد أن يدركها العقل وتتلقاها الأنفس، إذ يرى الغزالي أن هذا النظر المتعمق في الكون وعظمته بهجة للنفس، وجمال للروح والقلب، يشيع فيها الاطمئنان، وهو نوع من التزكية الروحية، وبعث للخلق الحسن.

ومن خلال ما سبق تبيانه، فإننا نجد محمد الغزالي يجمع بين إجلاء الداء ووصف الدواء، وبين عرض المشكلة واقتراح الحل لها، وعليه فإنه يخلص في نظرته إلى التصوف الصحيح، بقوله: "الموضوع الفريد والصحيح للتصوف الإسلامي يتكون من ثلاثة عناصر:

[1] _ **مجلة المسلم المعاصر**، حوار مع الشيخ محمد الغزالي، ص 102 , 103

اولها: جعل الإيمان الفطري شعورا نفسيا عامرا، وتحويله من عقل يتصور إلى قلب يعي ويتحرك.

ثانيها: تهذيب النفس وتربيتها على ضوء نسبها الإلهي؛ حتى تكون بنمائها واكتمالها أهلا للعبودية، ومقتضى ذلك أن يكون الإنسان مستجمعا للفصائل، متنزها عن الرذائل؛ حتى يرشحه هذا التلقي لقبول الله ورضوانه. وآخرها النظر إلى الوجود الصغير في هذه الحياة على أنه جزء من الوجود الكبير الممتد بعد الموت، فلا اعتزاز بالدنيا ولا استيحاش من الله، ولا ضيق بالعودة إليه، وهذه العناصر معروفة في سيرة الرسول وأصحابه؛ بل معروفة في سير الأنبياء على اختلاف العصور.

وفي ختام حديثنا عن جهود محمد الغزالي للربط بين الإيمان والبناء الروحي، وبين العقل والقلب، نورد قوله الهادف في هذا الجانب المهم من الثقافة الإسلامية: "ليست قيمة الإنسان فيما يصل إليه من حقائق، وما يهتدي إليه من أفكار سامية، ولكن في أن تكون الأفكار السامية هي نفسه وهي عمله وهي حياته الخارجية، كما أنها حياته الداخلية"[1]، وفيها تأكيد منه –رحمه الله– على أهمية انعكاس الإيمان في سلوك وحياة المسلم، وضرورته الحتمية في النهوض الحضاري للأمة الإسلامية.

[1] _ **ركائز الايمان**، مصدر سابق ص 114.

المبحث الثالث:

الخطاب الدعوي وشؤون الحكم والسياسة

إن أي كلام يفيد منه الاستبداد السياسي، أو التظالم الاجتماعي، أو العطن الثقافي أو التخلف الحضاري، لا يمكن أن يكون دينا، إنه مرض نفسي أو فكري والإسلام صحة نفسية وعقلية. ـــــــــــــــــــــــ محمد الغزالي.

قبل الشروع في بيان معالم الرؤية الحضارية في علاقة الدين بقضايا الحكم والسياسة، لا بد من القول بأن "سؤال الدولة وعلاقتها بالدين من أعقد الأسئلة في المجتمعات الإسلامية اليوم"[1] ، ولعلنا لا نبالغ إن قلنا أنه "أكبر تحد واجه التيار الإسلامي منذ ولادته في عشرينيات القرن الماضي"[2]، حتى غدا في وجدان أعضاء وقادة معظم الحركات الإسلامية "أعز ما يطلب"[3]، ومعه طرح سؤال مدخل الإصلاح، أهو مدخل سياسي أم دعوي ؟

المطلب الأول : الرؤية الحضارية لعلاقة الدعوة بالسياسية

الفرع الأول: منطلق الرؤية

إن المقاربة الموضوعية لعلاقة العمل الدعوي بالسياسة وقضايا الحكم بقيت مفتقرة-إلى حد كبير- إلى معالجة أصولية علمية، تقوم على وضعه في سياق البناء الفقهي. وظلت المعالجة السياسية الفكرية العارية عن الأصول والمقاصد -هي الغالبة- مع ما تتسم به من تسرع واقتضاب لا يخدم الموضوع ولا يحيط بجوانبه.

لقد اقتضت المعالجة الأصولية المنضبطة من بعض الباحثين في الحقل الدعوي وضع المسألة في مرتبتها التشريعية الأصلية قرآنا وسنة واجتهادا على اعتبار أن هذه القراءة بهذا النحو هي من تحدد طبيعة الموضوع، وتضبط مدخلاته ومخرجاته، والسؤال الرئيس والمحوري يكمن في أي خانة تندرج قضايا السياسة والحكم، هل في أصول الدين أم في فروعه وأحكامه الفقهية ؟ الجواب عن هذا التساؤل يمكننا من فهم جل النظريات السياسية وإدراك حقيقتها ومغزاها.

---

[1] _جاسم سلطان **أزمة التنظيمات الإسلامية** ، ص 78 ،منشورات الشبكة العربية للأبحاث والنشر الطبعة الثانية بيروت 2015

[2] _محمد الحمدوي **العمل الإسلامي بدائل وخيارات** ، ص 207 ،الطبعة الأولى 2016

[3] _ أحمد الريسوني، **مقال الخصائص المنهجية لحركة التوحيد والإصلاح**، كتاب اشغال ندوة مجلس الشورى حركة التوحيد والإصلاح_المغرب_ ،طبعة 2017، ص11.

الفرع الثاني: المسألة السياسية بين الفقه وعلم الكلام

جوهر الخلاف وما نتج عنه كان بسبب الاضطراب في تعيين المجال الذي تنتمي إليه المسألة، ولعل المتتبع لمسار البحث في هذه القضية بالذات يجد أن علماء المسلمين قبل فرقهم انقسموا إلى قسمين، قسم اعتبر أن مسائل الإمامة من "أصول الدين" شأنها شأن الإيمان بالله والملائكة واليوم الآخر، وقسم اعتبرها من فروعه، التي هي محل اجتهاد ونظر في الفقه الإسلامي. وهؤلاء هم جمهور أهل السنة والجماعة وغيرهم من الفرق، يقول الشيخ مهدي شمس الدين "فأهل السنة والخوارج والمرجئة والجمهور الأعظم من المعتزلة والزيدية من الشيعة اعتبروا الإمامة فرعا من فروع الدين"[1]، إذ أن أصول العقائد عند أصحاب هذا المذهب هي : "التوحيد ، النبوة ، المعاد."

أما الموقف الثاني فمعلوم أن أسياده هم الشيعة الذين بالغوا وأوغلوا وشذوا عن جمهور الأمة، قال المهدي شمس الدين: "وأما الشيعة –ما عدا الزيدية منهم– فاعتبروا الإمامة أصلا من أصول الدين"[2]، إضافة إلى أصولهم الأربعة الأخرى التي هي "التوحيد ،العدل، النبوة، المعاد، ثم الإمامة". بل تطور نقاشهم في المسألة إلى أن "جعلوها أصل الإيمان كله ومداره".[3] وبنوا على هذا التقرير أصولهم ونظرتهم للحكم حتى صارت عندهم الأصل العقدي والموئل الذي يتعبد الله به وغيرها تبع وفرع.

المطلب الثاني: الأحكام السياسية في سلم الترتيب التشريعي

الفرع الأول: في القرآن الكريم

يقتضي الوعي بمنزلة الترتيب التشريعي للأحكام وتصنيفها التسليم بأن القرآن، باعتباره حاكما ومهيمنا، مصداقا لقوله تعالى" ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ [المَائِـدَة : ٤٨] ،

---

[1] _ محمد مهدي شمس الدين، **نظام الحكم والإدارة في الإسلام**، ص 100.

[2] _ **المرجع نفسه** ص 101

[3] _ ضياء الدين الريس، **لنظريات السياسية الإسلامية** مكتبة دار التراث العربي، الطبعة7. ص 97.

ومستوعبا كما في قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأَنْعَام : ٣٨]:؛ قد اشتمل "أصول الدين وكلياته وقواعده" التي تشكل الإطار الحاكم والموجه والمبين لحقيقة الشريعة و أولوياتها ومراتبها وموازناتها، وما يتعبد به من الأحكام، ومن لا مدخل له في التعبد، ومن هو المقصود أصالة ومن المقصود تبعا، يرى بعض المعاصرين ترسيخا لهذا المبدأ "أن ما كان من أصول الدين الاعتقادية أو العملية، إنما يكون أصل تشريعه في القرآن"[1]، ولا يكون حظ السنة بعد ذلك إلا التأكيد والبيان حيث أن أصول الدين تطلق ويراد بها أصوله الاعتقادية، كالإيمان بالله واليوم الأخر وكل ما يتعلق بقضايا البعث والنشور والحساب والعملية كالصلاة والصيام وسائر الواجبات والمحرمات، وهو منهج المتقدمين في توسيع المصطلح وشموله، شمول وامتداد يجعل اللفظ عندهم كما ينسحب على أمور التوحيد والعقيدة يشمل كذلك أركان الإسلام وأوامره ونواهيه.

وما قرره المتأخرون قرره قبلهم المتقدمون حيث ذكر الشاطبي الذي أسس للقضية بقوله: "إعلم أن القواعد الكلية هي الموضوعة أولا، والتي نزل بها القرآن على النبي بمكة. ثم تبعها أشياء بالمدينة كملت بها تلك القواعد التي وضع أصلها بمكة. وكان أولها: الإيمان بالله و رسوله واليوم الآخر. ثم تبعه ما هو من الأصول العامة، كالصلاة وإنفاق المال وغير ذلك. ونهى عن كل ما هو كفر، أو تابع للكفر، كالافتراءات التي افتروها من الذبح لغير الله وللشركاء الذين ادعوهم افتراء على الله، وسائر ما حرموه على أنفسهم أو أوجبوه من غير أصل مما يخدم أصل عبادة غير الله، وأمر ذلك بمكارم الأخلاق كلها، كالعدل والإحسان، والوفاء بالعهد وأخذ العفو، والإعراض عن الجاهل، والدفع بالتي هي أحسن، والخوف من الله وحده، والصبر، والشكر ونحوها، ونهى عن مساوئ الأخلاق من الفحشاء والمنكر والبغي، والقول بغير علم، والتطفيف في المكيال والميزان،

[1]_فريد الأنصاري، **البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي**، ص 45.

والفساد في الأرض، والزنى، والقتل، والوأد، وغير ذلك مما كان سائرا في دين الجاهلية، وإنما كانت الجزئيات المشروعات بمكة قليلة، والأصول الكلية كانت في النزول والتشريع أكثر.

ثم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، واتسعت خطة الإسلام؛ كملت هنالك الأصول الكلية على تدريج؛ كإصلاح ذات البين، والوفاء بالعقود، وتحريم المسكرات، وتحديد الحدود التي تحفظ الأمور الضرورية وما يكملها ويحسنها، ورفع الحرج بالتخفيفات والرخص، وما أشبه ذلك وإنما ذلك كله تكميل للأصول الكلية" [1]

من خلال هذه المقولة المؤسسة يتبين أن الأحكام التي تولى القرآن الدعوة إليها و تأسيسها على ثلاثة أصناف تجتمع في كونها تشكل قواعدا و أصولا عامة ومؤسسة، بمثابة الإطار العام الذي ينبثق منه ويعود إليه التشريع، وعليها يتحدد القصد الأصلي من التبعي في أحكام الله تعالى. وهي كالتالي:

– أولا " الأصول الإعتقادية ": أي ما كان متعلقا بالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر والبعث والنشور والحساب مما يسميه العلماء' بالكليات العقدية "، والتي " تمثل المصدر الأول والنبع الأول لكل تشريع إسلامي" [2]، ونصوص القرآن متواترة قاطعة في الدعوة إلى هذا النوع والتنصيص عليه، إذ هو قاعدة الشريعة وجوهرها، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المُؤْمِنُون : ١١٥] ، وقال أيضا ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٦٤]. بل هذه الأصول تعتبر القاسم

[1] _**الموافقات في أصول الشريعة** ، ج 3 / 335.

[2] _ أحمد الريسوني **الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية** ص 74 ،

المشترك بين كل الملل والشعائر، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النَّحل : ٣٦]. ولذلك كان التوحيد ومتعلقاته هو أعلى حقوق الله و أكبرها على العبيد، فلا ينبغي أن يفرغ جهد ولا يستهلك نشاط أكثر من تحقيق العبودية الخالصة لله، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذَّارِيَات : ٥٦]

– أما النوع الثاني "الأصول التعبدية ": كالصلاة، والصيام، والحج ،وسائر الواجبات والمنهيات فقد ورد أصل تشريعها في القرآن الكريم أساسا، "فإن الله تعالى إنما أنزل كتابه ليكون أصل التشريع الأول بلا منازع، فلا حكم شرعي مما هو مقصود أصالة من الدين إلا وأصله التشريعي في القرآن"[1]. فقد قال تعالى ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البَقَرَة : ١١٠] وفي الزكاة قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البَقَرَة : ١٨٣] ، وقوله في الحج ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عِمْرَان : ٩٧] ، ونحو قوله سبحانه في المحرمات ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البَقَرَة : ٢٧٨] وقوله تعالى في البيع ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البَقَرَة : ٢٧٥] وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المَائِـدَة : ٩٠] ، وقوله ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإِسْرَاء : ٣٢] وقوله ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِۖ ﴿١٧٣﴾﴾ [البَقَرَة : ١٧٣] وهذه الأصول هي المقصودة أيضا بالتعبد، والمطلوب من المكلف أن يحقق من خلالها العبودية،

[1] _**البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي**، مرجع سابق ص 46.

ويخضع له وينساق لأوامره حتى يكون عبدا لله اختيارا كما هو عبد له اضطرارا كما يقول الشاطبي. قال تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البَيِّنَة : ٥]

حاصل المسألة أن أصول الدين الاعتقادية والعملية وكلياته الأساسية هي التي دعا إليها القرآن وقصدها بالتشريع ابتداء، وأن مسألة الإمامة لا مدخل لها فيها.

– الثالث "القواعد الكلية ": وهي التي أسس لها القرآن ودعا إليها ورسخها، مما كان متعلقا بمكارم الأخلاق كالعدل والإحسان والوفاء بالعهد وأخذ العفو، والإعراض عن الجاهل، والدفع بالتي هي أحسن، والصبر، والشكر، ونحوها، ونهى عن مساوئ الأخلاق من الفحشاء، والمنكر، والبغي، وهي كما سماها الريسوني "الكليات الخلقية"[1] وقال فيها: "هي أكثر من أن تقع تحت الحصر والبيان في بحث واحد " [2]،كيف و رسالة الإسلامية رسالة أخلاقية تربوية تزكوية بامتياز، قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾ [الجُمُعَة : ٢]، ولذلك حصر النبي دعوته في الأخلاق فقال " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق[3] . ومن أمثلتها ما جاء في قوله تعالى تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النَّحل : ٩٠] ،وكذا قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ

[1] _**الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية**، مرجع سابق ص 74

[2] _**المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

[3] _ مسند الإمام أحمد، مسند ابي هريرة، رقم 8952 ج 14 / 513.

﴿تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عِمۡرَان : ٢٠٠] تتميز هذه القواعد الكلية بأمرين مهمين، الأول أنها عامة وشاملة ، والثاني أنها أصل لما سواها.

فأما الأول: فالقصد أنها تشمل مجالات متعددة وتدخل في مجالات مختلفة . فلو أخذنا "القسط" مثلا باعتباره "كلية مقاصدية" فهو مطلوب من كل الناس ولجميع الناس وفي جميع المجالات : يقومون به ويقومون لأجله ويتصرفون بمقتضاه ، ويتنعمون بظله "[1]. بمعنى أنه لا يختص بحال دون حال أو بزمن أو شخص دون شخص بل هو مستغرق شامل للكل . وهذا الامتداد والشمول هو ما استخلصه وأبان عنه العز بن عبد السلام حين وقف على قوله تعالى ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزَّلۡزَلَة : ٧ - ٨] ، قال " فلو طلبت قتل النملة لوجدته في قوله "فمن يعمل"، وفي قوله ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ [البَقَرَة : ٢٠٥] ولو طلبت سقي الكلب لوجدته في قوله تعالى " فمن يعمل "،ولو طلبت قتل الحية العقرب لوجدنه في قوله تعالى " فمن يعمل "[2]، ولذلك كانت هذه الآية هي "إحدى أعظم الكليات القرآنية ، لان فيها امرأ وترغيبا في كل خير وفيها نهي وتحذير من مثل ذلك من الشر"[3].

الثاني: أنها تكتنز المعاني الكثيرة التي تشكل المبادئ الموجهة والضابطة، فهي "أصول وأمهات لكل ما يندرج تحتها من الفروع والجزئيات، سواء كان منصوصا أو غير منصوص "[4]، تأكيدا لذلك لما وقف العز عند قوله تعالى:"**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ" النحل الآية 90**

---

[1] _**الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية** ، مرجع سابق ص 71.

[2] _ عز الدين بن عبد السلام، **شجرة المعارف** ص 138- 139، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ،دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة1، 2003

[3] _**الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية** مصدر سابق ص 32

[4] _ **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها

قال: إنها "أجمع آية في القرآن للحث على المصالح كلها، والزجر عن المفاسد بأسرها، فلا يبقى من دق العدل وجله شئ إلا اندرج في قوله " إن الله يأمر بالعدل "، ولا يبقى من دق الإحسان وجله شئ إلا اندرج في أمره بالإحسان، وكذلك الألف واللام في الفحشاء والمنكر والبغي عامة مستغرقة لأنواع الفواحش، ولما ينكر من الأقوال والأعمال[1]

-الفرع الثاني: على مستوى السنة

إن الإجابة عن هذا السؤال تقتضي بيان مرتبة السنة في التشريع، ومنزلتها وعلاقتها بالقرآن!!

انطلاقا من أن وظيفة السنة النبوية هي التأكيد والبيان والتفسير والتوضيح لا التشريع، يقول فريد الانصاري: "وعليه فإنه لا يترك للسنة من التشريع إلا ما كان بمنزلة الفروع والجزئيات وبيان الكيفيات، لا الأصول والكليات. فإذا وجدت من السنة ما هو كذلك ولم يكن بيانا تطبيقيا ولا تفصيليا، فإنك تجده من قبيل تأكيد التشريع لا تأسيس التشريع"[2]، تقرير هذه المعطى العلمي مدعاة لتناسل العديد من الأسئلة المرتبطة بعلاقة السنة بالقرآن، وفي مقدمتها سؤال اختصاص السنة بالتشريع تأسيسا مما لم يذكر في القرآن ولم يأتي به الكتاب، فهذا النوع من الفروع، لا من الأصول والكليات بالنظر إلى ما ورد في القرآن، "وأما ما تفردت السنة بتشريعه تأسيسا من الواجبات والمحرمات، فإنه لا يكون من الأصول والكليات، وإنما هو من الفروع والجزئيات بالنسبة إلى ما ورد في القرآن من التشريع، فتكون أحكامها تحريما أو وجوبا في هذا التأسيس من ناحية المنزلة والرتبة أقل من ما وجد في الكتاب كما لا يعتبر من الكليات والأصول[3]

---

[1] _ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، **القواعد الكبرى**، ص 315 – 316، تحقيق نزيه كمال حماد، دار القلم، الطبعة1، 2000.

[2] _ **البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي**، مرجع سابق، ص 46 – 47.

[3] _**المرجع نفسه** ص 47

هذا من ناحية التأصيل الإجمالي، أما من ناحية التفصيل فإن السنة لم تفصل شيئا مخصوصا في قضايا الحكم، ويمكن أن نسجل بخصوصها ثلاث ملاحظات مهمة:

أولها: أن ما ورد فيها عبارة عن أحاديث فتن، غالبها أخبار لا تؤخذ منها الأحكام "ومعلوم أنما أحاديث الفتن في غالبها أخبار، لا إنشاءات، بالمعنى البلاغي، والأحكام الشرعية إنما تؤخذ من (الإنشاء) لا من (الخبر) بالمعنى المذكور. ولو ورد التشريع في صيغة الجملة الخبرية لكان بمعنى الإنشاء"[1]. وهو ما نبه عليه الريسوني كذلك بقوله هي "مجرد وصف خبري لما سيكون عليه الحال بعد النبي، من أمر الخلافة والملك إلى ما شاء الله! فهو إذن من أحاديث الفتن. لا من نصوص التشريع" [2]

أما تفصيلا وتدقيقا فإن حديث "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج نبوة"[3] ضعيف كما أشار إلى ذلك العلماء، وإن حسنه البعض. ومع التسليم به فهو لا يحيل على نظام معين ثابث الأركان كما يرى الريسوني، في قوله: "ولا يلزمنا بتسمية الخلافة، وإنما يحيل على الوصف العام للخلافة الراشدة المهتدية بالمنهج النبوي، نهج الرأفة والرحمة والاستقامة"[4]،

---

[1] ـ **المرجع نفسه** ص 63.

[2] ـ **البيان الدعوي**، مرجع سابق، ص 6.

[3] ـ رواه أحمد في مسنده، أول مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم 18406 ج 30 / 355

[4] ـ احمد الريسوني، **الفكر الإسلامي وقضايانا السياسية المعاصرة** ، ص18، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة 3، 2014.

أضف إلى ذلك أن الأحاديث المتعلقة بالحكم- غالبا- يمتزج فيها الرأي بالتجربة ، بل معظمها تجربة إنسانية تاريخية لها ما لها وعليها ما عليها، والدليل كما يرى الريسوني يتمثل في كونها "لا تعبر عن نظام موحد أو متشابه، يمكن الحديث عنه وعن عناصره المشتركة الثابتة" [1]، لذلك هي مختلفة حتى في تطبيقها بين الخلفاء أنفسهم من جهة، ومن جهة ثانية هي لا تعدوا أن تكون توصيفات تسميات لغوية تاريخية لا لزوم فيها، يقول الريسوني:" وحتى اسم الخلافة أو الخليفة إنما هو اسم من الأسماء اللغوية التي وردت في النصوص للتعبير عن الحكام والرؤساء الذين يخلف بعضهم بعضا، منذ أن خلف أولهم رسول الله. وليس هناك أي لزوم شرعي لتسمية رئيس الدولة الإسلامية باسم الخليفة. ولا لتسمية الدولة التي يرأسها باسم _دولة الخلافة_، ولا لتسمية النظام الذي يحكم به باسم _نظام الخلافة_. فهذه مجرد تسمية من التسميات اللغوية والتاريخية الكثيرة التي استعملت بالفعل، أو يمكن استعمالها"[2]، والعبرة ليس بالأسماء ولكن بالمقاصد والغايات.

إن ما أصبح متداولا اليوم عند الفقهاء، وكتب السياسة الشرعية والأحكام السلطانية، هو في الحقيقة ليس "أكثر من توصيف وتنظيم فكري ظرفي، للنظم والأعراف التي صاغتها وصنفتها الممارسة الفعلية لحركة التاريخ"[3]، توصيف تداخلت فيه التجربة الإنسانية بل وطغت على المرجعية الشرعية فهما وتنزيلا، بحيث أن ما كتبه المتقدمون كابن قتيبة والجويني والغزالي والماوردي والفراء وابن تيمية وابن جماعة وابن خلدون وغيرهم، هو اجتهاد فكري لأصحابه "عادة يجمعون ويمزجون بين استلهام الواقع المماثل وما يجسده ويمارسه فعلا، وما يتطلبه إصلاحا وتكميلا وما

---

[1] _**المرجع نفسه** ص 17

[2] _**الفكر الإسلامي وقضاياه المعاصرة**،مصدر سابق ص17 – 18

[3] _ احمد الريسوني **فقه الثورة مراجعات في الفقه السياسي الإسلامي** ، 13 – 14 ،دار الكلمة للنشر والتوزيع ،الطبعة 1 2013.

يسمح به وما لا يسمح به من جهة، وبين تقديراتهم وتصوراتهم وتجربتهم المعيشة من جهة ثانية، وبين التفاتهم إلى المبادئ والأدلة الشرعية وما تسعف به وترشد إليه من جهة ثالثة"[1]، بالإضافة إلى أن إنتاجهم كان متأثرا بواقعهم وثقافاتهم المحاورة، "بعض الكتاب في تلك المراحل كان متأثرا بالواقع أو بالثقافة المجاورة خصوصا الفارسية، كما فعل كتاب السلاطين في نقل مقولات الإيديولوجيا السلطانية الفارسية التي تمدح الحاكم شيئا من القداس. "[2]

وبالتالي فلا يوجد نص شرعي صحيح وواضح في تنصيب الإمام إلا ما كان من سكوت الشارع. فما النتيجة من هذا التقرير ؟ " فإن ما كان في الشريعة الإسلامية أولى بالتشريع حسب القواعد المؤصلة لما ذكر. كان هو الأولى بالتدين والتعبد! بمعنى أن ما كان أولى بالتشريع كان أدخل في دين الله، وكان من أولوياته ومقاصده العظمى، وما لم يكن كذلك كان من وسائله وتوابعه ليس إلا! وأما ما لم يكن من هذه ولا تلك، أي لا هو مما يدخل في الرتبة التشريعية الأولى، ولا الثانية ولا الثالثة، فليس من دين الله لا أصالة ولا تبعا!"[3] .

بهذا التقرير العلمي الأصيل نتساءل أين توجد مرتبة الأحكام السياسية عموما ضمن مراتب التشريع ؟

تبين لنا بما لا يدع مجالا للشك أن أحكام الأحكام المقصودة أصالة في القرآن هي أمهات الأحكام من أصول الإيمان و أركان الإسلام والواجبات وأمهات الفضائل ومنكرات الرذائل والمحرمات ؟ فإن ذلك يعني أن أحكام السياسة لا مدخل لها في هذا الباب الترتيبي الأول، كما لا مدخل في الباب الترتيبي الثاني المتعلق بالسنة؛ باعتبارها مبينة ومفصله للكيفيات والهيئات والأحوال .

---

[1] _ **المرجع نفسه** الصفحة نفسها

[2] _ سلمان العودة ،**أسئلة الثورة**،ص 66 ، مركز نماء ، الطبعة1 ، 2012

[3] _ فريد الأنصاري ،**البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي** ، ص 53 – 54

-الفرع الثالث : الأحكام السياسية في الإسلام

تأتي المرتبة الثالثة المتعلقة بالاجتهاد الذي اقتضاه سكوت الشارع، وهو ما يعني أن هذه المرتبة غير مقصودة أصالة بل مقصودة تبعا يقول:" وأما ما سكتت عنه النصوص جميعا من الكتاب والسنة، وأحيل على الاجتهاد، فإنما هو من المرتبة التشريعية الثالثة! أي من حيث قصد الشارع إليها، وليس فقط من حيث هي مسألة اجتهادية! "[1]

على أن السكوت ليس عبثا بل عن قصد، لأن أفعال العقلاء منزهة عن العبث فكيف بخالق العباد، بل هو (السكوت)تشريع خصوصا مع وجود ما يقتضيه، "إن إهمال الشارع أمرا بعدم النص عليه في الأصلين: الكتاب والسنة، مع وجود المقتضي للتشريع، لا يكون نسيانا ولا غفلة، وإنما تشريعا! أي أن الشارع قد قصد إلى إغفال ذلك قصدا، ولم يكن عنده بالمقصود أصالة من الدين. وإنما يكون حينئذ من الوسليات والتبعيات، ولذلك وكله إلى الاجتهاد! "[2]من جهة أخرى فإن "أهم معاني (السكوت الشرعي) عن الأمر: عدم اعتباره من الأصول الدينية العقدية، ولا التعبدية"[3].

وعليه فمراتب الأحكام السياسية من الناحية التشريعية أو فن إدارة الدولة أو الحكم " مجالها الاجتهاد المحض"[4]، وأن الشارع الحكيم اكتفى فيها بالأصول دون الفروع وبالكليات والمقاصد.

---

[1]_**المصدر نفسه** ، ص 47

[2]_ فريد الأنصاري **البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي**، ص 47.

[3]_ **المصدر نفسه**، ص 74.

[4]_ **البيان الدعوي**، مصدر سابق ص 57

المطلب الثالث: أسس نظام الحكم في الإسلام

الفرع الأول: نظرية الحكم عند مفكري الإسلام

انطلاقا من اعتبار أن الإسلام لم يضع نظاما محددا ولا مفصلا أو معينا يترجم عن الممارسة السياسية، بل تركه للاجتهاد والتغير والتطوير، بناء على الحاجة والواقع، وهذه التفاتة مهمة "لأنه لو كان للإسلام نظام سياسي معين مفصل وثابت لما كان صالحا لكل زمان ومكان"[1]،وكل ما في الأمر أن الإسلام وضع قواعد عامة ومبادئ ومقاصد كلية، كان هدفها ضبط الممارسة السياسية بقواعدها وترك مجال الاشتغال تحت هذا القواعد وعليها، "لتبقى مساحة الاجتهاد والاختيار والتعديل والتطور شاسعة فسيحة"[2]

هذا التقرير هو ما ذهب إليه الكثير من الباحثين المعاصرين، فهذا الدكتور محمد عمارة يقول:" لكن الإسلام كدين لم يحدد للمسلمين نظاما محددا للحكم، لأن منطق صلاحية الدين الإسلامي لكل زمان ومكان، تقتضي ترك النظم المتجددة قطعا بحكم التطور للعقل الإنساني الرشيد، يصوغها وفق مصلحة المجموع، وفي إطار الوصايا العامة والقواعد الكلية التي أقرها الدين"[3]. ولذلك كانت أكثر نصوص السياسة الشرعية" تتسم بالعموم والكلية"[4]، ما يعني أن الممارسة السياسية في الإسلام هي اجتهادية بالدرجة الأولى، بخلاف قضايا الإيمان والعبادة التي كان فيها الشرع مفصلا ومبينا.

والحقيقة من وراء ذلك هو مراعاة التغيرات والتركيز على المقاصد، التي تعتبر هي الحاكمة في الممارسة السياسية، وهو ما نبه عليه "سلمان العودة " بقوله: "الخطاب القرآني في الشأن

---

[1] _ **فقه الثورة مراجعات في الفقه السياسي الإسلامي**، مصدر سابق 2012 ص 83

[2] _**الإسلام وقضايانا السياسية المعاصرة** ، مصدر سابق ص 30

[3] _ محمد عمارة، **الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية** دار الشروق، الطبعة 1 ،1988 ص 53 – 54

[4] _**فقه الثورة مراجعات في الفقه السياسي الإسلامي**، مصدر سابق ص 12

السياسي لم يكن تفصيلا كما في مسائل العبادة والإيمان، بل كان خطابا مقاصديا يراعي متغيرات الزمان والمكان"[1]، ولذلك كانت تفصيلاته في نظام الحكم قليلة إلى نادرة.

الذين كتبوا في نظام الحكم يكادون يتفقون على أن من أهم الأسس التي ينبني عليها رشد الممارسة السياسية، أو فن إدارة الدولة، أو الحكم الرشيد أربعة أركان وهي كالتالي:

- الشورى ابتداء وانتهاء
- المرجعية العليا للشريعة
- إقامة العدل بين الناس
- تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة

هذه الركائز الأربعة تعتبر من المبادئ التي يشترك في اعتبارها والتأسيس عليها العديد من منظري الفكر السياسي الإسلامي اليوم، كالدكتور "سلمان العودة"، و"ضياء الدين الريس" و"محمد عمارة" ،والدكتور "يوسف القرضاوي" وغيرهم، فالكل متفق على أن أهم خاصية للحكم الإسلامي هي العدل، فهو بتعبير العودة "أعظم مقاصد الولاية" [2]، كما اعتبره الريسوني: "الغاية العامة أو غاية الغايات من الحكم الإسلامي" [3]،وقد تضافرت النصوص على الدعوة إليه، فقال تعالى في محكم التنزيل ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النِّسَاء : ٥٨] وخاطب نبيه داود بذلك فقال ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ

---

[1] _ سلمان العودة **أسئلة الثورة** ، ص 56 مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة 1، بيروت 2012

[2] _**المرجع نفسه** ص 136

[3] _ محمد ضياء الدين الريس، **النظريات السياسية الإسلامية**،ص 325 مكتبة دار التراث، الطبعة7

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ [ص : ٢٦] العدل أساس الحكم، ولذلك ليست المشكلة عند رواد هذه المدرسة في طبيعة النظام بقدر ما هي متعلقة بالعدل والصلاح، يقول العودة: "ليس المشكل مع طبيعة النظام الإداري؛ خلافة أو ملكية أو جمهورية أو إمارة، وإنما الشأن في تحقيق العدل والصلاح" [1]. ببساطة "لأن الدولة الإسلامية لا يهمها الشكل الذي تتخذه، ولا الاسم الذي يطلق عليها"[2]،كما يشير إلى ذلك يوسف القرضاوي.

فمتى ظهر العدل فذلك شرع الله وحكمه، يقول ابن القيم: "فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صبحه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره، والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأماراته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر، بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها"[3]

أما قاعدة المرجعية العليا للشريعة الإسلامية، فهي الأساس والمنطلق وعليها تبنى باقي القواعد الأخرى، فإذا كانت الشريعة هي المنطلق في تشريع الأحكام عليها تبنى وإليها ترجع القضايا والمستجدات، فإن أولى مظاهر تجلي الشريعة في تطبيقها يكون من خلال إرساء قواعدها الأساس، ومن أسسها الشورى ابتداء وانتهاء.

---

[1] _**أسئلة الثورة**، مصدر سابق ص 65

[2] _ يوسف القرضاوي ، **من فقه الدولة في الإسلام** ،ص 33،دار الشروق الطبعة 3، 2001.

[3] _ ابن قيم الجوزية، **أعلام الموقعين عن رب العالمين** ، ج 4/ 284، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة: الأولى، 1991.

أما تقييد فعل ولي الأمر بالمصلحة فإن المصلحة هي غاية الشريعة الإسلامية، بل "الشريعة مصلحة في ذاتها، والمصلحة شريعة"[1] بتعبير الدكتور الريسوني. وهو ما قرره ابن القيم بقوله " فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى البعث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه"[2]، والقاعدة تقول: التصرف على الرعية منوط بالمصلحة.

الفرع الثاني : دراسة في أسس الحكم

أسس نظام الحكم لا تعدوا عن كونها مبادئ عامة لجميع المجالات وليست خاصة بجهة من الجهات، فمرجعية الشريعة تعني بالضرورة تقرير ما هو مصلحة، لأن الشريعة عدل كلها وحكمة كلها ومصلحة كلها، أما العدل فحياته ومنطلقه الشريعة، ولا يمكن أن نتصور عدلا بدون دين وشريعة إلهية، لأن العدل لو ترك لأهواء النفوس لفسدت الأمور، فالأهواء تختلف باختلاف الزمان والمكان، والشريعة ثابتة راسخة لا زيغ فيها. وما أضافه الدكتور ضياء الدين الريس من مسؤولية الحاكم فهو داخل لا محالة في المرجعية العليا للشريعة، التي فصلت ودعت إلى أن يتولى مهام تدبير الأمور: الأمين العالم ذو الخبرة.

أما الشورى فيتساءل بعض الباحثين في الحقل الدعوي، كيف يكون الفقه السياسي بهذه الأهمية ويكون حضه آيتين فقط. وهما آيتان عامتان لجميع المجالات غير مقتصرتين على المجال السياسي فقط. عند قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ

[1] _احمد الريسوني ، **الاجتهاد النص، الواقع، المصلحة**، الشبكة العربية للابحاث والنشر، ص 82.

[2] _**أعلام الموقعين** مصدر سابق ص 11

بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشُّورَى : ٣٨ - ٣٩] ، وعند قوله ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٥٩]

يقول فريد الأنصاري "والآيتان مع ذلك ليستا (نصا) على الشورى بالمعنى السياسي إطلاقا! وعندما أقول: (نصا) فبالمعنى الأصولي العلمي للكلمة! أي: (العبارة الدالة على معنى واحد لا يحتمل التأويل). وإنما هي دالة عليه (إجمالا) و(إطلاقا)، وهو واحد من مقتضياتها ليس إلا. وفي أحسن الأحوال قد تكون دالة عليه (ظاهرا). فأما آية (آل عمران) فتلك إلى الدلالة(الظاهرة) أقرب؛ لأنها وردت في سياق الشأن العسكري واتخاذ قرار الحرب! وهذه قضية لها صلة بالتدبير السياسي فعلا، إلا أنه لا قرينة تصرفها عن إرادة غير المسألة السياسية بالشورى! ولذلك كانت ظاهرة في معناها هذا فقط، إذ يمكن أن تفيد الأمر بالشورى في كل شأن هام ولو لم يكن سياسيا؛ لأن (الأمر): هو الشأن الهام، والخطب العظيم."[1] وورود الآيتين في سياق الدلالة العامة يجعل "قصرها على الدلالة السياسية (تحكم)" [2]، مخالف لمقصود الشارع " إذ كيف تكون الأحكام السياسية مقصودة للشارع بالأصالة، ولا يكون لها من التشريع القرآني سوى هاتين الإشارتين؟ هذا خلف! وهو في الآن نفسه مخالف لمنهج التشريع الإسلامي، وقواعده الكلية "[3] ولذلك فالتشريع السياسي خاضع فقط للاجتهاد لا علاقة له بالنصوص إلا ما كان داخلا تحت قواعد الشريعة الكبرى المشتركة بين كل المجالات والأحوال، وفي أحسن أحواله نصوص مجملة و عامة تفيد السياسة كما تفيد في مجالات أخرى، و قصرها على مجال السياسة لايصح عقلا وشرعا.

---

[1]_**البيان الدعوي** مصدر سابق ص 61

[2]_**المرجع نفسه** ص 62

[3]_**المرجع نفسه** الصفحة نفسها

المطلب الرابع : السياسة بين إقامة الدين وتنظيم الدولة

الفرع الأول : إقامة الدين هي قصد الخالق من الخلق

إن العمل التجديدي الراشد هو لا شك ذلك الذي يعتبر إقامة الدين الغاية والمقصد العام من وضع الشريعة ابتداء، ومن كسب وسعي أفراده عموما، لأن "العمل الإسلامي التجديدي: إنما هو عمل للدين قبل الدولة ، وطلب للقرآن قبل السلطان "[1]، وهي دعوة القرآن ومنهجه، قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشُّورَى : ١٣]، ومعنى إقامة الدين " إقامة أركانه وأخلاقه وعباداته ونظمه وقوانينه، فكل ما جاء به أو دل عليه أو أرشد إليه داخل فيما تجب إقامته من الدين، وذلك على المستويات الفردية والجماعية، وجوانب الحياة كلها"[2] منه تنبثق الأهداف الأخرى المتمثلة في إقامة الدين على مستوى الفرد، والأسرة والمجتمع، ومن ذلك أيضا على مستوى الدولة.

إن مشكلة المجتمع اليوم ليس في "الجاهلية" التي تقتضي خطاب المفاصلة والاعتزال، بقدر ما هي مشكلة انحراف عن الدين ومقاصده، إن مجتمعنا متدين بفطرته شئنا أم أبينا، ووظيفتنا اليوم هي تجويد هذا التدين وتصحيحه وإعادته إلى مساره بالدعوة والحكمة والموعظة، التي هي "الغاية الأولى من الدين ، والقصد الأصيل من الخلق "[3]، وأول خطوة وأهمها في هذا المضمار تكون بترقية المستوى التعبدي وتجويده، باعتبارها العنوان الأبرز للدين والتجلي الحقيقي له، إذ

---

[1]_**البيان الدعوي** مصدر سابق ص 165

[2]_**ميثاق حركة التوحيد والإصلاح منشورات الحركة** مصدر سابق ص 39

[3]_**الفجور السياسي** مصدر سابق ص 25

العبادات هي أساس الدين وعنوانه وغاية الخالق من الخلق ومقصده، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذَّارِيَات : ٥٦] ، وأعظم شعيرة من شعائر التعبد والتدين ورموزه وأسسه هي شريعة الصلاة فعنها تتفرع سائر الأعمال والأقوال.[1]

"وذلك أن الدين كل الدين. (صلاة) أي أن الدين (كلية كبرى) والعنصر المفتاحي لها هو: الصلاة. ومن هنا كانت الصلاة، باعتبارها الرمز الأول للتعبد، هي مركز المشروع الدعوي الإسلامي. عنها يجب أن تتفرع سائر الأعمال والأقوال"، بل " إن الصلاة هي العنصر المفتاحي الأساس للدين! فكليات الخير جميعها راجعة إلى معنى الصلاة، وكليات الشر جميعها تنتفي بالصلاة"[2]. قال تعالى ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العَنكَبُوت : ٤٥]

فالحجر الأساس في القيام بوظيفة الشهود لا يتحقق إلا عبر إقامة الصلاة في الفرد والمجتمع، لأن الأمور كلها راجعة إلى معنى الصلاة، منها تنطلق وإليها وكل الأعمال راجعة إلى صحة سلامتها، " كل أعمالك في الجهاد، والدعوة إلى الله، وما تستكثره من حركات سياسية، راجعة إلى مدى سلامة هذا الأصل عندك، قصدا ، ووقتا، وأداء، وإلا فعلى دينك السلام " [3]

لقد حصر الخطاب القرآني أبرز عناوين التمكين في إقامة الصلاة، فقال تعالى الذين ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ

[1]_**البيان الدعوي** مصدر سابق ص 165

[2]_**المرجع السابق** ص 172

[3]_**بلاغ الرسالة القرآنية** مصدر سابق ص 107

ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحَج : ٤١] وعليه فتحقيق الإصلاح لا يأتي إلا عبر محاريب الصلاة التي هي المرجع الأول، والمعتمد الأساس، التي يحتم على الجميع العمل بها ولها وتمثلها وترجمتها إلى سلوك حضاري ينعكس خيره، ويشع نفعه على باقي الأعمال والمجالات.

الفرع الثاني: الدين أولا

على اعتبار أن إقامة الدين هي المقصد والغاية من تشريع الأحكام، رؤية متقدمة أخرجت العاملين في الحقل السياسي "من ضيق السياسة إلى سعة الدين ورحابة الدعوة"[1] من جهة، ومن جهة ثانية مستبصرة أعادت الاعتبار لوظيفة الدعوة الإسلامية وجعلتها في صلب بؤرة الصراع الذي هو «تدين المجتمع "[2]، خصوصا وهي اليوم اليوم فاقدة للبوصلة، ومستدرجة من حيث تشعر أو لا تشعر إلى معارك هامشية. "إن مشكلة الحركة الإسلامية هي كونها قد استدرجت فعلا لتلعب خارج حلبة الصراع وهي تعتقد أنها في صلب تلك الحلبة تعارك وتبارز".[3]

كما أن هذا المنهج من شأنه أن ينعكس على أدائها العام، فيحررها من نفسية الصدام الناتج عن اختزال كل شئ في العمل السياسي واعتباره المدخل الوحيد والأنجع لتحقيق الإصلاح.

والنتيجة أن الوعي بهذه التوجيهات هو مما يعزز للدعوة مكانتها وتموقعها واستراتيجيتها داخل المجتمع على اختلاف مشاربه، مساهمة في ترشيد مسلك التدين وتوجيهه، في حين أن "التركيز على الدولة والسياسة والحكم، لدى الحركة الإسلامية عموما لم يؤدي فقط إلى تضييق أبواب الإصلاح ومداخله، بل قد يؤدي في النهاية إلى إغلاقها"[4].

---

[1] _**بلاغ الرسالة القرآنية** مصدر سابق ص 41

[2] _**الفجور السياسي** مصدر سابق ص 109

[3] _**المرجع نفسه** الصفحة نفسها

[4] _ أحمد الريسوني ،**خصائص منهجية في مسار حركة التوحيد والإصلاح**.ص13

-الفرع الثالث: االدعوة والدولة رؤية مخالفة

غير أن ما قرره أنصار التوجه المقاصدي في رؤيتهم للعمل السياسي على وجاهته العلمية المؤصلة، التي حاولت إخراج العاملين للإسلام من ضيق وحرج السياسة وعويلها وآهاتها، إلى رحابة الدين وشمولية الدعوة وبساطتها، فإنها تصطدم بما تعارف عليه الكثير من رواد الإصلاح وتقرر عندهم سواء القدامى منهم أو المحدثين، هؤلاء الذين اتفقوا على جعل أمر الحكومة والخلافة من أعظم الواجبات والمقاصد، التي ينبغي العمل على بلوغها وتأسيسها حفظا للدين نفسه وحراسة للدنيا بعدل وإصلاح، حيث يرى ابن تيمية أن إقامة الدين يمر عبر إقامة الدولة، بل لا قيام للدين والدنيا ولا صلاح للنظام العام إلا بها، رافعا إياها إلى واجب من الواجبات قائلا:" يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها. فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس"[1]، وهو نفس ما ذهب إليه أبوحامد الغزالي قبله، الذي اعتبر الدين والدولة توأمان لا ينفصلان، حيث قال:" فإن الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا، والملك والدين توأمان، فالدين أصل والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان"،[2] ناقلا إياها إلى ما لا يتم الواجب إلا به. وذلك ما سار عليه الكثير من المعاصرين اليوم من أهل السنة الذين حسموا قضية الخلافة باعتبارها من أمور التشريع والفقه، وعلى رأسهم ابن عاشور الذي اعتبرها ركنا من أركان الدين، بل حافظا وضامنا لباقي الأركان، فقال:" الخلافة بمعناها الحقيقي هي ركن ديني، بل هو الحافظ لأركان

[1] ـ تقي الدين ابن تيمية ، **السياسية الشرعية** ، ج 1/ 129 .الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة1.

[2] ـ أبو حامد الغزالي **إحياء علوم الدين** ، ج1/ 17، الناشر: دار المعرفة –بيروت

الدين كلها"[1]، بل إن الدين بتشريعاته صلاة وزكاة وصياما وأمرا بمعروف ونهي عن منكر في مهب الريح ما لم يعضد بحارس السلطان، لامتزاجهما من جهة، وحاجة الدين والقرآن إلى السلطان من جهة ثانية؛ فقال :"إن الإسلام دين معضد بالدولة وأن دولته في ضمنه، لأن امتزاج الدين بالدولة وكون مرجعهما واحد هو ملاك قوام الدين ودوامه، ومنتهى سعادة البشر في اتباعه حتى لا يحتاج الدين في تأييده إلى الوقوف بأبواب غير بابه"[2]، وهو ما نبه عليه القرضاوي أيضا الذي اعتبر أن" الدولة ضرورة إسلامية، وهي أيضا ضرورة إنسانية"[3]، وسار على ذلك العديد من المفكرين اليوم[4].

إذا أخذنا بالرأي الأول في أن السياسة ليست من مقاصد الدين بل هي من وسائله، فإننا مع آراء أخرى نقف صراحة على نقيض هذا الرأي، حيث لم يتردد الإمام الطاهر بن عاشور في جعلها من مقاصد الشارع من التشريع قائلا إن: "تأسيس الحكومة من مقاصد الشارع [5]،واعتبر أن "سياسة الأمة" هي إحدى المقاصد العليا والمحاور الثمانية الأصلية التي جاء بها القرآن الكريم ودعا إليها وقعد قواعدها، إن لم نقل إنه اعتبرها أكبر مقاصد الشريعة لتعلقها بحماية النظام، وحفظ كيانه من كل اضمحلال وفساد وتلاش، يقول ابن عاشور: " من أكبر مقاصد الشريعة هو حفظ نظام الأمة، وليس يحفظ نظامها إلا بسد ثلمات الهرج والفتن والاعتداء، وأن ذلك لا

---

[1] _ محمد الطاهر بن عاشور، **نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم**. ،ص 70، دار سحنون للنشر والتوزيع، دار السلام، الطبعة1، 2014 ،

[2] _**المرجع نفسه** ص 36.

[3] _**من فقه الدولة في الإسلام** مصدر سابق ص 21 .

[4] _ محمد المختار الشنقيطي **الأزمة الدستورية في الحضارة الإسلامية من الفتنة الكبرى إلى الربيع العربي**. ، إعداد منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة قطر ، الطبعة 1 ،2018.

[5] _الطاهر بن عاشور ، **نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم**، ص 43.

يكون واقعا موقعه إلا إذا تولته الشريعة ونفذته الحكومة "[1]. ولذلك كان الإسلام عبر تاريخه دينا ودولة نظاما وشريعة.

وعليه فالنظام واستقامة حال الأمة و أداء شعائرها لا يستقيم دون نظام حكم، ولا يتحقق إلا بتنصيب من ينفذ هذا الدين ويسهر على حراسته والذود عنه، لأن "المقصود من الدين صلاح العاجل والآجل، ولا يتم صلاح العاجل إلا بإقامة من يحمل الناس على الصلاح بالرغبة والرهبة"[2]، وإلا "كيف يستقيم أن يكون الإسلام شريعة ولا يكون له حكومة تنفذ تلك الشريعة وتحمل الراعي والرعية على العمل بها"[3]. ومنه فحفظ النظام وتحقيق الصلاح لا يكون إلا بوجود مؤسسة الدولة التي تحوط الناس بالرغبة والرهبة ووازع القرآن بالسلطان، وهذا وجه الخلاف مع ما قرره محمد الغزالي في تراثه العلمي.

حيث نعتقد أن معالجة الغزالي –رحمه الله– للقضايا السياسية في خطاب الدعوة الإسلامية المعاصر، كانت متميزة من حيث إنها تنطلق من نصوص الشرع وقواعده وأصوله وكلياته. خلص من خلالها إلى أن الفقه السياسي يقع ضمن مرتبة الاجتهاد وليس مما نص عليه في الشريعة، وأن إقامة الدين عبر أداء الشعائر وتمثلها والمساهمة في ترسيخ تدين المجتمع هو المطلوب، على اعتبار أن دعوة الإسلام ابتداء وانتهاء هي دعوة إلى القيم القرآنية التي من ضمنها القيم السلطانية، معتبرا أن التركيز على المقاصد الشرعية في القضايا السياسية كغيرها من قضايا الفرد والمجتمع، يشكل حجر الزاوية والمفتاح في رؤية جديدة تعيد للأمة دورها الحقيقي وتساهم في تحقيق عمارة الأرض والعبودية لله.

---

[1] _**مقاصد الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق، ص 232

[2] _**نقد علمي لكتاب الإسلام ونظام الحكم**، مرجع سابق، ص 54.

[3] _**المرجع نفسه**، ص 55- 56.

بهذا المنهج يمكن للدعوة الإسلامية أن تستعيد هويتها الإصلاحية المفقودة، وتطلع بدورها الحقيقي مساهمة في تعزيز التدين وتجويده بين أبناء المجتمع بعيدا عن حرج السياسية وإكراهاتها.

خاتمة

إن من معالم حيوية الإسلام، ومن أكبر العلامات المشيرة إلى خلوده، هي قدرته على التجدد والانبعاث، لأنه كلمة الله الأخيرة للبشرية، كلما أصاب مسيرته غبش، وابتعد المسلمون عن جادته وهديه، على نحو ما جاء في الحديث النبوي: "إن الله يبعث لهذه الأمة، على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها دينها"

ولما كان الناس من شأنهم أن يستقيموا على الصراط والمنهج فترة من الزمن، ثم ينحرفوا فترة أخرى، وأن يهتدوا بنور الوحي، ثم تغلبهم الأهواء والشبهات، كانت سنة الله تعالى أن يبعث لهم الأنبياء والمرسلين، مبشرين ومنذرين، كلما طال بهم الأمد وأبعدهم عن الله، وقست قلوبهم، حتى ختمت مسيرة الأنبياء بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا نبي بعده، ولا رسالة من السماء بعد رسالته.

والملاحظ أن ختم النبوة كان إيذانا بأن يأخذ العقل مكانته في المسيرة البشرية، فما دام الوحي قد انقطع عن الأرض بختم النبوة، فليس أمام الإنسان إلا أن يفعل عقله، فيما معه من منهج، وفيما سبقه من تاريخ، وفيما حوله من كون، فتجتمع له بهذا ثلاثة مصادر للمعرفة، المنهج الإلهي، والمنهج التاريخي، والمنهج التجريبي، دون أن يتسلط على الإنسان أحد من الناس.

يرى محمد إقبال أن ميلاد الإسلام هو ميلاد العقل الاستدلالي، ففي الإسلام تبلغ النبوة كمالها، باكتشافها لضرورة وضع نهاية لمسلسل النبوات؛ بحيث تكون هي النبوة الخاتمة، ولا نبوة بعدها. وفي هذا الموقف يتجلى الإدراك العميق، أن الحياة لا يمكن أن تظل إلى الأبد، تقودها خيوط من خلفها، وأن على الإنسان لكي يحصل على كمال معرفته لنفسه أن يترك أخيرا ليعتمد على مصادره المعرفية الخاصة به

وإبطال الإسلام للكهنوت، وللسلطات الوراثية الطاغية، ودعوة القرآن المستمرة لإعمال العقل والتجربة، والتأكيد على النظر في الكون والتاريخ كمصدرين للمعرفة الإنسانية؛ كل هذه جوانب مختلفة وثمار لفكرة عبقرية هي (ختام النبوة).

ولعل ما خلص إليه إقبال وذكره، يتقاطع مع ما أشار إليه الإمام محمد عبده في كتابه القيم (رسالة التوحيد)، وهو يتحدث عن "وظيفة الرسل"، في بيان حاجة العالم الإنساني إلى الرسل، إذ أنهم من الأمم: بمنزلة العقول من الأشخاص.

فالعقل هو الأساس الذي يقوم مقام النبوة؛ من حيث المنهج أو الدعوة، والمجددون يقومون مقام الأنبياء؛ من حيث الوظيفة والدعوة. وبهذا يظهر لنا أن الحاجة ماسة دائما للمجددين، كما كانت حاجة البشرية دائما ماسة للأنبياء والرسل، وأن التجديد سنة ماضية وحيوية فاعلة، ما دامت مسيرة البشرية قائمة على التأرجح بين الاهتداء بنور الوحي تارة، والانزلاق في وهدة الشهوات والأهواء تارة أخرى.

كما يظهر أيضا أن "التجديد" و"المجددون" من أهم معالم حيوية الإسلام، ومن العلامات الكبرى المشيرة إلى خلوده، وإلى قدرته على الاستجابة للتحديات، وتلبية حاجات النفس الإنسانية.

كان محمد الغزالي بلا ريب أحد مجددي الإسلام وحاملي لوائه في القرن العشرين؛ بما ترك من سيرة ومسيرة حافلة بالوعي والتجديد والدعوة؛ خطابة وكتابة وحركة وإصلاحا.

ومع كثرة ما سطر عنه رحمة الله عليه- من مقالات وكتب وندوات – فإن الفرصة تتجدد لمدارسة سيرة هذا العلم الزكي، والداعية المجدد كضرورة لحياة الأمة الحضارية، يتصل حاضرها بماضيها القريب والبعيد، ويستفيد لاحقها من سابقها.

وإذا أردنا أن ننظر لمحمد الغزالي من زاوية محددة، ترتسم أمامنا صورة دقيقة وموجزة عنه، فهو بحق داعية الشمول والتكامل الحضاري لدعوة الإسلام، بما منحته العناية الإلهية من تميز على أقرانه ومعاصريه من الدعاة والمجددين، وحفرت له مكانا بارزا في مسيرة الفكر الإسلامي المعاصر.

حيث اعتنى الغزالي بما تشمله "ذات المسلم" من عقل وقلب وجوارح، ونظر لهذه الثلاثية باعتبارها لبنة واحدة، أو بناء واحدا تتكامل أركانه ولا تنفصل، وإلا حدث خلل في فهم المسلم لدينه، وفي حركته في دنيا الناس، لخص رسالة الإسلام بأنه قلب تقي، وعقل ذكي.

فالإسلام في نظر الغزالي يعمل على صفاء القلب من الأهواء، والعقل من الأوهام، ويرص صفوف المؤمنين بعدئذ في جهاد موصول لإعمار الأرض وبناء الحضارة المنشودة. التي تحفظ فيها كرامة الإنسان، وتصان فيها مقاصد الإسلام.

حذر ـرحمه اللهـ من خطر القراءة التجزيئية للإسلام، الأمر الذي صاحب اتجاهات في تراثنا لم تراع التوازن والشمول والتكامل؛ فبالغ أحدها في تقدير العقل، وأقحمه فيما هو خارج عن نطاقه، مثل المعتزلة؛ الذين كانوا أجرأ على تأويل النصوص منهم على نقد الفلاسفة، وإن اعترف بدورهم في الدفاع عن الإسلام، وفي رد الشبهات عنه.

عاب على المتصوفة، افتقارهم إلى الفقه الصحيح، ودليل النقل والعقل المستقيم، مع تشديده على حاجتنا إلى إذكاء "الجانب العاطفي من الإسلام"، ودعوته إلى تصوف السلوك القائم على الكتاب والسنة، لا إلى التصوف الفلسفي القائم على أفكار باطلة، مثل وحدة الوجود.

كما انتقد طائفة من الفقهاء تعاملت مع النصوص بجفاف روحي ، كما لو كانت شريعة الإسلام نصوصا قانونية لا روح فيها، وعاب على بعض الفقهاء الذين لا دراية لهم بعلم القلوب ونهج التربية، ومثل ذلك عن أهل التصوف ممن لا دراية لهم بقوانين الشريعة وضوابطها، والراسخون في العلم سالمون من هذه الآفات، ومن يقرأ لابن تيمية وابن القيم والغزالي وابن الجوزي والرازي وغيرهم، يرى رجالا على درجة رفيعة من جيشان المشاعر والاستبحار العقلي.

وفي مقابل هذا الاهتمام بالقلب التقي والعقل الذكي، لم تكن مدرسة الغزالي مدرسة نظر عقلي وجهد فكري فحسب، ولا كان عليه رحمة الله من رجال السلوك والتربية والأخلاق، أو دعاة الحركة والإصلاح فحسب، بل مزج بين هذه المجالات مزجا عجيبا، وألف بينها دون افتراق بما يتفق وروح الإسلام في شموله وعالميته.

كانت عقليته الإبداعية التجديدية مستندة على معرفة متكاملة متوازنة، مدركة أبعاد ما تتناوله وما تتصدى له. وبذلك تجنب الشيخ الرؤية الأحادية؛ التي تعظم جانبا على حساب آخر، وتدرك بعدا واحدا، بينما تغيب عنها الأبعاد الأخرى.

ألف –رحمه الله– في العقيدة، مرجحا في الأسماء والصفات مذهب السلف، ومستفيدا من مذهب الخلف عند مجادلة أهل الكتاب والماديين كما جدد في التفسير الموضوعي، وله نظرات ثاقبة في فقه القرآن الكريم، أحكاما ومقاصد، وله صولات وجولات مع السنة النبوية، وشرح مختارات من أحاديثها فكتب "كنوز من السنة"، وفي السيرة النبوية فقد بدأ كتابه "فقه السيرة" مبللا بالدموع، في رحاب المسجد النبوي، واستنطق السيرة بالدروس والعبر. وفي الأخلاق، أبان عن الجانب العاطفي للإسلام كما ينبغي، وعن فن الذكر والدعاء في حياة خاتم الأنبياء، كما كتب عن مشكلات الحياة الإسلامية، وقضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة.

قرأ لمختلف المدارس الإسلامية، بعقلية منفتحة واعية دونما تعصب، وأفاد منها جميعا، فنجده من جهة شديد الإعجاب بأئمة الفقه، والتفسير، والحديث؛ مهتما بما كتب في علم الكلام والتصوف والأخلاق، منتفعا بتراث السلف والخلف، غير أنه من جهة أخرى لم يلزم نفسه بمدرسة واحدة، ولم يعقد ولاءه لمذهب دون غيره، مؤكدا على أن المشكلة ليست في الخلاف الفقهي، إنما فيما وراءه من غلو وتعصب.

كما كان قلمه رحمة الله عليه في قلب التحديات التي واجهت العالم العربي والإسلامي في القرن الماضي في مجالات متعددة، ونذر نفسه محاميا للدفاع عن الإسلام وقضايا أمته داخليا وخارجيا.

ففي الجبهة الداخلية: تصدى قلمه وكلمه للأفهام المغلوطة عن الإسلام، التي تريد حرفه ناحية اليمين أو اليسار، إفراطا أو تفريطا، غلوا وتشددا أو هدما وتشويها. خاض معارك مع بعض المنتسبين للإسلام، الذين رآهم يقدمون صورة غير صحيحة للإسلام وأولوياته ومنهجه. ومع بعض الإتجاهات العلمانية والشيوعية، التي أرادت تفريغ الإسلام من مضمونه وجوهره بتفسيرات مادية معوجة، إلى جانب تصديه، للاستبداد السياسي، وسرقة ثروات الشعوب، وطغيان الأفراد وظلمهم لعباد الله.

وعلى الصعيد الخارجي، فقد واجه محمد الغزالي بجرأة وشجاعة، الغزو الثقافي، وأحقاد الاستعمار الغربي، وأطماع الصهيونية، ولم ينشغل بهموم الجسد الإسلامي، عن رؤية الخطر الآتي من الخارج، ولم يعلق الأزمة برقبة واحد منهما فقط، كما يقع البعض في أسر النظرة الأحادية.

وفي نقده للعالم الغربي، وبيان عنصرية سياسته، وتخبطه الروحي والاجتماعي، لم تفته الدعوة بكل موضوعية للإفادة مما أحرزه في المجالات الأخرى بفهم منصف متوازن يفتح أمامنا الإفادة من الحضارة الحديثة في تجاوبها مع العقل والفطرة في ساحات علمية ودستورية وحضارية واسعة.

هذه الدراسة في منهج وفكر محمد الغزالي وفي مسار الدعوة الإسلامية وخطابها المعاصر، جعلنا نقف على أهم **الخلاصات والنتائج** نوردها فيما يلي:

- التجديد في الخطاب الدعوي ضرورة شرعية وحتمية واقعية.
- الدراسات النقدية للخطاب الدعوي ضرورة لتصحيح مسار العاملين في الحقل الدعوي.
- أهمية التجديد في مضامين علم العقيدة وأساليبه وفق السياق القرآني والراهن المعرفي المعاصر.
- المرجعية القرآنية ضرورة في تناول قضايا الإيمان والعقائد الإسلامية.
- المرجعية القرآنية ضرورية في بناء قضايا الخطاب الدعوي المعاصر.
- الحضور المركز لنصوص الوحي في الخطاب الدعوي لمحمد الغزالي.
- أهمية التجديد في قراءة نصوص السنة النبوية على ضوء القرآن الكريم ومسايرة مقتضيات العصر.
- نصوص السنة النبوية مفتوحة الأفق لاستيعاب قضايا العصر وتجاوزه.
- اهتمام الخطاب الدعوي لمحمد الغزالي بالقراءة الحضارية الواعية للسنة النبوية.
- التركيز على البعد الروحي والجانب التربوي والتزكية النفسية في الخطاب الدعوي المعاصر.
- قضايا التربية والتزكية ضرورة في المسار التاريخي والمعاصر للدعوة الإسلامية.
- اهتمام نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بقضايا التزكية.
- توجيه الخطاب الدعوي للتركيز على القضايا المعاصرة ومنها بيان حقوق المرأة في الإسلام.

- ضرورة تكييف مقاصد الخطاب الدعوي وفق رؤية حضارية لدور المرأة في المجتمع ورد الشبهات المثارة حولها.
- حرية المرأة والرجل على السواء تحكمها قاعدة الحق والواجب.
- ثراء التراث العلمي لمحمد الغزالي بترقية حقوق المرأة وبيان دورها الحضاري.
- خطاب الدعوة الإسلامية في أصله خطاب عالمي يستوعب مصلحة الإنسان على اختلاف الزمان والمكان.
- الفصل بين الخطاب الدعوي والعمل والانتماء السياسي لتجاوز منطق الصراع والإحتراب باسم الإسلام، وكذا تجاوز فكرة الثيوقراطية المسيحة في تبرير المواقف السياسية وتقديسها.
- الخطاب الدعوي لمحمد الغزالي متنوع في مضامينه وأساليبه، ما يؤهله ليكون قاعدة بناء مؤسسة لخطاب دعوي معاصر، مستوعب للإرث الحضاري متجاوز للأزمات الراهنة في الواقع العربي والإسلامي.
- أهمية التأهيل العلمي المعرفي والنفسي للقائمين على الخطاب الدعوي، لضمان الجودة والفعالية في الأداء الدعوي المعاصر، والإسهام في عودة العالم العربي والإسلامي إلى السياق الحضاري.
- ضرورة وجود مؤسسات تنظيمية برؤية حضارية وآليات فاعلة لتقييم وتقويم العمل الدعوي ذلك أنه جهد مركب ومعقد، قصد مواكبة المتغيرات والتحديات العالمية الجديدة، واستشراف الرؤى ومنهجية التفاعل بين مقاصد الإسلام والتطور الإنساني.

ومن هذه النتائج يستفاد من الدراسة **توصيات** نورد أهمها:

ـ توجيه الباحثين والمخابر البحثية في الحقل الدعوي للاهتمام بتراث محمد الغزالي العلمي، والإفادة منه في حاضر الدعوة الإسلامية.

ـ تخصيص مقاييس في تخصص الدعوة تعنى بالتجديد في الخطاب الدعوي والاهتمام بالدراسات المعاصرة حوله.

ـ الحرص على تنوع المصادر المعرفية (التاريخ، الفلسفة، علم الاجتماع، علم النفس..) في تكوين طلبة الشريعة عموما وطلبة الدعوة خصوصا. قصد التكوين الجيد والتأهيل المناسب للقائم بالعملية الدعوية في مواجهة التحديات المعاصرة.

ـ توجيه الاهتمام في الدراسات الإسلامية على القضايا المعاصرة وربط الخطاب الدعوي بالواقع وبيان مقاصد الإسلام وكلياته فيها.

جاءت هذه الدراسة في بعض جوانب خطاب الدعوة الإسلامية المعاصر، وسياحة في فكر محمد الغزالي عليه رحمة الله، كمحاولة لبيان أهم المعالم التجديدية في مشروعه الحضاري. فالله أسأل أن يجعل هذا العمل والجهد خالصا لوجهه الكريم، كما أرجوا أن يكون إضافة في حقل الدراسات والمعارف الدعوية المعاصرة والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس المصادر
- فهرس المراجع
- فهرس رسائل الماجيستير والدكتوراه
- فهرس المجلات والمقالات العلمية ومواقع النت
- فهرس موضوعات البحث

فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	الاية القرانية ورقمها	رقم الصفحة
البقرة	﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ (23-24)	20
	مِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ (78)	153
	يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (229)	79
	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (21)	207
	لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ	250

	وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ (177)	
254	ءَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (183)	
228	وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذًى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ (222)	
255	لَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٍ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ (197)	
278	أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (44)	
230	فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ (36)	
288	إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (173)	

	كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ(183)	288
	وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ (278)	288
ال عمران	ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ(97)	288
النساء	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا (82)	195

	وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا (101)	185
	وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ (128)	250
	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ (1)	229 235
	لِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا (7)	231
	وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ(19)	231 186
المائدة	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (90)	288

	لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّ كَانُواْ يَعۡتَدُونَ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ (78-79)	26
	يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ (67)	204
	يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ (4)	205
	أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ (92)	207
	مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ(48)	285
الانعام	قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ (91)	146
	ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ (82)	185
	مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ(38)	206 286
	قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ (140)	230

الاعراف	قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا(32)	185
	إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (194)	138
	قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (23)	230
	﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُون(165)	26
الانفال	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ (20)	203 208
التوبة	وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا	182
	خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)	255
يونس	وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (24-25)	22
هود	هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا (61)	25

	ِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٖ (56)	265
يوسف	ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ (39)	138
	لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ(111)	80
	قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (108)	202
الرعد	أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (19)	80
	ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ (28)	265
ابراهيم	ۚذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (52)	80
	أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ(19)	44
	أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ(10)	142
الحجر	الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ(1)	21
	إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (9)	22 152
النحل	وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ (51)	262

289	إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ (90)	
288	وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ(36)	
203 206	وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ (44)	
264	وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ (53)	
206	وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (64)	
206	وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ (89)	
26	ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ(125)	
226	إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ(58-59)	
230	مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا	

	كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (97)	
الاسراء	قَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا (50-51)	41
	ا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا (36)	79
	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا (23)	249
	ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا (35)	250
	وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا (32)	288
طه	وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ (83)	272
	قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ (84)	272
الأنبياء	لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)	137
الحج	ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ (41)	302

المؤمنون:	مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91)	137
	أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)	287
النور:	فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)	200
الفرقان	وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا (30)	81
	تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (61-62)	144
النمل	أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60)	281
العنكبوت	ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)	302
الروم	وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ	218

	لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ(21)	
لقمان	ِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ (13)	185
السجدة:	وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ (10)	42
سبأ	ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ(7)	42
فاطر	إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا (41)	145
	إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ(28)	263
	وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ (18)	204
	وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ (38-40)	145
ص	شَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ (20)	16
	إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ (23)	16
	كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (29)	80

	يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ (26)	297
	﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ (23)	277
غافر	وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ (44)	265
فصلت	وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ(33)	26 109
	سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ (53)	134 154
الشورى	شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ (13)	48 141 301

	وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ (38-39)	299

الجاثية	ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَوَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (12-13)	144
	أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ(23)	259
محمد	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ (24)	165
الحجرات	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (11)	249
الذاريات:	وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ (56)	207 288 302

الطور	خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (35)	144
النجم	وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ (3-5)	203
	وأن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ (39-41)	205
الحديد	أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ (16)	261
الحشر:	وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ (7)	203
الجمعة	هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ(2)	149 289
التحريم	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (1)	234
الملك	قَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (10)	80 273 275
القلم	إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ (4)	250

الإنسان	هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا (1)	146
الانفطار	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ (6-8)	125
الطارق	يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ (9-10)	140
	فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ (5-8)	140
الأعلى	قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ (14-15)	208
الغاشية	أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ (17-20)	143
الشمس	قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (9-10)	208
العلق	ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ(1-5)	231
البينة	وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ (5)	289

الزلزلة	فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ (7-8)	290

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الراوي الاعلى	رقم الصفحة
اتقوا الله في النساء ...	ـــــــ	184
إن الله يبعث لهذه الأمة...	ابو هريرة	42
إن الميت ليعذب ببكاء...	حفصة بنت عمر	204
إن الله رفيق يحب الرفق...	عائشة ام المؤمنين	194
إنّ الرفق لا يكون في شيء...	عائشة ام المؤمنين	194
إنما مثلي ومثل ما بعثني...	ابو موسى الاشعري	208
أنتم أعلم بشؤون دنياكم...	عائشة ام المؤمنين	198
إن منكم منفرين...	ابو مسعود عقبة بن عمرو	212
أمؤمنون أنتم؟...	عبد الله بن عباس	251
أربع من كن فيه كان منافقا...	عبد الله بن عمرو	251
إن المؤمن ليدرك...	عائشة ام المؤمنين	254
اللهم إني أسألك الهدى...	عبد الله بن مسعود	209
ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه	المقدام بن معدي كرب	205
اللّهم آت نفسي تقواها...	زيد بن ارقم	209
إن هذا الدين متين...	أنس بن مالك	212
أنتم الذين قلتم كذا...	أنس بن مالك	213
إن من أحبكم إلي...	ابو ثعلبة الخشني	256
إن العبد ليبلغ بحسن خلقه...	أنس بن مالك	261
البر هو حسن الخلق...	النواس بن سمعان الانصاري	251
إنا بعثت لأتمم مكارم الأخلاق...	ابو هريرة	251 258

إن الدين يسر...	ابو هريرة	212
إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به...	رافع بن خديج	198
أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا.	ابو هريرة	250
بشروا ولا تنفروا ...	ابو موسى الاشعري	212
تبسمك في وجه أخيك صدقة...	ابو ذر الغفاري	255
ثلاث من كن فيه فهو منافق...	ابو هريرة	261
جددوا إيمانكم ...	ابو هريرة	43
حديث فإنما بعثتم ميسرين...	ابو هريرة	194
خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي.	أخرجه الترميذي	231
سددوا وقاربوا واغدوا ...	ابو هريرة	212
سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان...	علي بن ابي طالب	153
صلوا كما رأيتموني أصلي...	مالك بن الحويرث	179
عليكم من العمل ما تطيقون...	عائشة ام المؤمنين	213
كل أمتي يدخلون الجنة...	ابو هريرة	208
لا تسبوا الدهر...	ابو هريرة	43
لتأخذوا عني مناسككم.	جابر بن عبد الله	179
لو أعلم أنك تنظر...	سهل بن سعد الساعدي	193
ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به...	أنس بن مالك	209
من لم يدع قول الزور والعمل به	اخرجه البخاري	254
من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل به	أخرجه مسلم	178
من مات وعليه صيام، صام عنه وليه	عائشة ام المؤمنين	205

من دعا إلى هدًى كان له من الأجر	رواه مسلم	24
من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار	البخاري	179 180
ما من مسلم ولا مسلمة...	الحسين بن علي بن ابي طالب	43
هذان حرام على ذكور أمتي، حلٌّ لإناثهم.	جمع من الصحابة	186
وإياكم والغلو في الدين	ابن تيمية	214
والله لا يؤمن...	ابو شريح العدوي خويلد بن عمرو	260
يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله..	ابراهيم بن عبد الرحمان العذري	54
يا معاذ أفتان أنت...	جابربن عبد الله	212

فهرس المصادر

1- **الإسلام المفترى عليه،** محمد الغزالي، دار نهضة مصر.

2- **الإسلام والاستبداد السياسي.** لمحمد الغزالي دار الكتب الإسلامية بالقاهرة ط3.

3- **الإسلام والأوضاع الاقتصادية** محمد الغزالي، القاهرة، دار الريان للتراث، ط 8، عام 1987

4- **الإسلام والطاقات المعطلة،** لمحمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية بالقاهرة ط4. 1998.

5- **الإسلام والمناهج الاشتراكية،** محمد الغزالي.

6- **تأملات في الدين والحياة،** محمد الغزالي، نهضة مصر .

7- **تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل** محمد الغزالي، ، دار الشروق، ط 5.

8- **الجانب العاطفي من الإسلام،** محمد الغزالي، نهضة مصر.

9- **جدد حياتك،** محمد الغزالي، دار القلم دمشق.

10- **حديث الاثنين للشيخ محمد الغزالي** نور عبد القادر، ، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1،

11- **حصاد الغرور** محمد الغزالي: ، دار الشهاب، باتنة (الطبعة الجزائرية الأولى) 1986

12- **الحق المر،** محمد الغزالي، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق.

13- **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة،** محمد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة.

14- **خلق المسلم** محمد الغزالي. ، دار رحاب للنشر، الجزائر .

15- **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين،** محمد الغزالي، دار الشروق.

16- **الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر** محمد الغزالي ، مكتبة وهبة

17- **دفاع عن العقيدة والشريعة،** محمد الغزالي، درا نهضة مصر.

18- **ركائز الإيمان بين العقل والقلب**، محمد العزالي ، دار القلم.

19- **سر تأخر العرب والمسلمين**، محمد الغزالي، دار المعرفة.

20- **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، محمد الغزالي، دار الشروق.

21- **عقيدة المسلم** محمد الغزالي، ، دار نهضة مصر للطباعة، الطبعة الرابعة،2005،

22- **علل وأدوية** محمد الغزالي، ، دار نهضة مصر

23- **فقه السيرة** محمد الغزالي، دار الشروق.

24- **فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء** محمد الغزالي، ، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة.

25- **قصة حياة**، محمد الغزالي.

26- **قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة** محمد الغزالي، (الطبعة الأولى، الجزائر دار الانتفاضة للنشر والتوزيع، 1992 م.

27- **كفاح دين** محمد الغزالي، ، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط5. 2005

28- **كيف نتعامل مع القرآن الكريم** محمد الغزالي ، ، الطبعة الاولى، دار الانتفاضة للنشر، مصر

29- **كيف نفهم الإسلام**، محمد الغزالي، دار القلم دمشق.

30- **لا سنة من غير فقه** محمد الغزالي، ، ملتقى الفكر الإسلامي السادس عشر، السنة النبوية الشريفة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، تلمسان، 27 يوليو 03 أغسطس 1982م.

31- **ليس من الإسلام**، محمد الغزالي، دار القلم، ط1، 1999م

32- **مائة سؤال في الإسلام**، محمد الغزالي، نهضة مصر، القاهرة.

33- **المحاور الخمسة في القرآن** محمد الغزالي، ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة طبعة 6 ـ 2005

34- **مستقبل الإسلام خارج أرضه وكيف نفكر فيه،** محمد الغزالي، دار الشروق

35- **مع الله** محمد الغزالي ، الطبعة السادسة، شركة نهضة مصر طباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2005.

36- **معركة المصحف،** محمد الغزالي، دار القلم، دمشق.

37- **من هنا نعلم،** محمد الغزالي، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة.

38- **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم** محمد الغزالي، دار الشروق.

39- **نظرات في القرآن،** محمد الغزالي، نهضة مصر، القاهرة.

40- **هذا ديننا،** محمد الغزالي، دار القلم، دمشق.

41- **هموم داعية،** محمد الغزالي، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق.

فهرس المراجع

1- القرآن الكريم جل من أنزله.

2-**اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع هجري** لاحمد بن صادق الجمال الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار عالم الكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1994،

3-**أثر استخدام التقنيات الحديثة في الاتصال الدعوي المعاصر من وجهة نظر الشباب الجزائري المتلقي**، لسهام بن سعدي، مجلة الإحياء، جامعة الحاج لخضر باتنة 1، الجزائر، المجلد 20، العدد 26، سبتمبر 2020،

4-**الاجتهاد النص، الواقع، المصلحة** لاحمد الريسوني ، ، الشبكة العربية للابحاث والنشر،

5-**إحياء علوم الدين** أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، ج1/ 17، الناشر: دار المعرفة –بيروت

6-**الإدراك المقاصدي محدد من محددات تدبر القرآن** محمد المنتار، ، المؤتمر العالمي لتدبر القرآن الكريم، الدوحة 2013 م

7-**إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول** محمد بن علي الشوكاني تحقيق أحمد عزو عناية دار الكتاب العربي ، ط 1 ، 1999،

8-**أزمة التنظيمات الإسلامية** جاسم سلطان ،منشورات الشبكة العربية للأبحاث والنشر الطبعة الثانية بيروت 2015

9-**الأزمة الدستورية في الحضارة الإسلامية من الفتنة الكبرى إلى الربيع العربي** محمد المختار الشنقيطي. ، إعداد منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة قطر ، الطبعة 1 ،2018.

10- **أساس البلاغة** الزمخشري، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998

11- **أساليب الدعوة الإسلامية للشباب في دولة الإمارات العربية المتحدة: طلبة جامعة الشارقة نموذجا** أحمد عبد المالك بريكي، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، كوالا لامبور، 2010،

12- **الإسلام مستقبل الحضارة** صبحي الصالح،دار الشورى بيروت ، ط1، 1982م،

13- **إسلامية المعرفة** هبة رؤوف عزت. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد السابع،1997.

14- **أسئلة الثورة** سلمان العودة ، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة 1، بيروت 2012

15- **إشكالات منهجية في التعاطي مع السنة** طه جابر العلواني، ، مجلة إسلامية المعرفة، العدد:85، 2016م،

16- **إشكالات منهجية في التعاطي مع السنة** طه جابر العلواني ، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية والعشرون، العدد:85، سنة 2016

17- **إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر** محمد عمارة، ، مركز دراسات العالم الإسلامي ، ط 1 1991

18- **الإصلاح الجذري** طارق رمضان ، ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ترجمة أمين الأيوبي

19- **أصول النظام الإجتماعي** محمد الطاهر بن عاشور ، ، دار النفائس ، عمان ، ط 1 ، 2001

20- **أطلس الحضارة الإسلامية** _إسماعيل راجي الفاروقي، ، ترجمة عبدالواحد لؤلؤة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1998م،

21- **الاعتصام** إبراهيم بن موسى الشاطبي ، ، مكتبة التوحيد القاهرة ، ج 2 ،

22- **أعلام الموقعين عن رب العالمين** ، ابن قيم الجوزية، ج 4/ 284، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة: الأولى، 1991.

23- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم** ابن تيمية، ، مكتبة الرشد، الرياض، تحقيق ناصر بن عبد العقل، ج:1،

24- **آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقطي تحديد المفاهيم النظرية**، سعد بولنوار، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2011،

25- **البحث في مقاصد الشريعة نشأته و تطوره و مستقبله** احمد الريسوني ، ، ندوة مقاصد الشريعة عند المذاهب الإسلامية ، لندن 2005م

26- **البداية و النهاية** محمد ابن كثير ، ، ج 7 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

27- **البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي** ، فريد الأنصاري.

28- **تاريخ المقاصد القرآنية**، أحمد كافي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

29- **تجديد الخطاب الإسلامي الرؤى والمضامين** عبد الكريم الكبار، ، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2006،

30- **تجديد الخطاب الاسلامي المعاصر**، هشام يسري العربي، بحث مقدم لمؤتمر بناء الشخصية المسلمة ،القاهرة ، 2012 ،

31- **تجديد الخطاب الدعوي للشباب والمراهقين في العصر الحديث** نبيلة بشارة يوسف عبدالله، ، رسالة ماجيستير غير منشورة، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا ،2014،

32- **تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف** محمد بن شاكر الشريف، ، الطبعة الأولى، مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2004،

33- **تجديد علوم الدين** وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الإسلام خان، دار عالم الأفكار.

34- **التجديد في الخطاب الدعوي** هشام يسري العربي، ، بحث مقدم لندوة الحكمة في تجديد الخطاب الدعوي، كرسي سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز لدراسات الحكمة في الدعوة، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، يومي 12.13.مارس 2014،

35- **التجديد والتحديث** صبري عكرمة، ، مداخلة ضمن المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس للأعلى لشؤون الإسلامية، من 27-30 مارس 2007، القاهرة، مصر.

36- **التجديد: الدعوة والدعوى** عبد الله بن بيه، ، مجلة الموطأ، مركز الموطأ، الإمارات العربية المتحدة، العدد الثاني، 2018،

37- **تجربة الشيخ محمد الغزالي في تجديد الفكر الإسلامي** محمد يونس، تقديم المستشار طارق البشري مكتبة الثقافة الدينية.
38- **التجيد في الفكر الإسلامي** عدنان محمد أمامة، ، أطروحة دكتوراه منشورة، الطبعة 1ا، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2003،
39- **تحديد الفكر الإسلامي على مشارف قرن جديد، قراءة في تجربة الشيخ محمد الغزالي** عماد يونس::دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1
40- **تحرير علوم الحديث** عبدالله الجديع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ،
41- **تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص دراسة تطبيقية في سورة البقرة** ناعوس بن يحي، ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2012.

42- **تربية المرأة، من منظور الشيخ محمد الغزالي** لطيفة حسي، مكتبة بستان المعرفة ، 2005.
43- **ترتيب قاموس المحيط**، الطاهر أحمد الزاوي، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، دار الفكر
44- **تطور المرأة عبر التاريخ** باسمة كيال، ، عز الدين للطباعة و النش، بيروت، لبنان.1971
45- **التعريفات** لعبد القاهر الجرجاني، دار الكتب العلمية.
46- **التعقيب في الخطاب القرآني –مقاربة تداولية–**، صورية دحماني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2019،
47- **تعليق على مدونة حمورابي** بيير كروفيلهير، ، مكتبة إرنست ليرو، باريس. 1938،
48- **تفسير الطبري** محمد بن جرير الطبري ، مؤسسة الرسالة .
49- **تقنيات الإقناع في الخطاب الديني وآلياته التداولية –دراسة في استراتيجية التواصل اللساني–**الهوارية شيخ أعمر، ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الأدب واللغات، جامعة وهران –السانيا، الجزائر، 2014.

50- **التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة** دار جلال الدين السيوطي الثقة للنشر والتوزيع
51- **ثمرات النظر في علم الأثر** محمد بن اسماعيل الصنعاني، ، تحقيق رائد بن صبري ،دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض 1997
52- **جامع الأصول** ابن الأثير، دار ابن كثير .

53- **الحجاب** المادودي، ، تعريب محمد كاظم السباق ، دار الفكر، دمشق (سوريا)، ط2. 1964.

54- **حقوق الزوجة المالية في الفقه الإسلامي** عاطف مصطفى التتر، ، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية، غزة. 2006.
55- **حقوق المرأة المسلمة في القرآن و السنة** محمد فريحة، بيروت ، 1996.
56- **حقوق المرأة بين الإسلام وأهواء الغرب** محمد الحسن علي أميمة ، ، معهد العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا2011،
57- **حقوق المرأة وواجباتها في الشرائع** سكيكر، ،كتاب الجمهورية، مصر2006،
58- **حقيقة التوحيد من كليات رسائل النور** سعيد النورسي، ، دار سوزلر للنشر.
59- **حوارات منهجية في قضايا نقد متن الحديث الشريف** عبدالحميد أبو سليمان ، ، مجلة اسلامية المعرفة ، عدد 39 ، سنة 2005 م ،
60- **خصائص الدعوة الإسلامية** محمد أمين حسين، ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000،
61- **خصائص منهجية في مسار حركة التوحيد والإصلاح**. أحمد الريسوني ،كتاب أشغال ندوة مجلس الشورى الرباط أفريل 2016.
62- **الخطاب الديني تجديد لا تبديد** محمد عبد الفتاح عمار ، الطبعة الأولى، دار كنوز، القاهرة، مصر، 2017،

63- **الخطاب القرآني** أحمد محمد النمر، ، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، الطبعة الأولى 2003

64- **الخطاب** سارة ميلز، ، ترجمة: عبد الوهاب علوب، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2016،

65- **خطابنا الاسلامي في عصر العولمة** يوسف القرضاوي، ، الطبعة الأولى، دار الشروق، مصر، 2004،

66- **دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية** محمد عبد الله دراز ، دار العلم، الكويت، ط1400 ،1960, ، **النظريات السياسية الإسلامية** ضياء الدين الريس مكتبة دار التراث العربي ، الطبعة7.

67- .

68- **الدعوة إلى الإسلام**، أَبي بكر زكرى، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1962،

69- **الدعوة إلى الإصلاح**، محمد الخضر حسين، الطبعة الأولى، دار النوادر، دمشق، سوريا، 2010.

70- **دور الشيخ الغزالي في ترشيد الواقع الإسلامي** عمار جيدل.

71- **الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية** محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة 1، 1988.

72- **الدين والسياسة في خطاب محمد الغزالي** مفلاح بن عبد الله، دار الخلدونية ، 2012.

73- **رحلتي من الشك إلى الإيمان**، مصطفى محمود، مكتبة مصر،2013.

74- **الرسالة** لابي القاسم القشيري تحقيق: عبد المنعم حنفي، دار الرشاد، القاهرة،.

75- **الروح**، لابن القيم، دار الكتاب العربي، ط3، 1988م،

76- **السنة مصدرا للمعرفة والحضارة** يوسف القرضاوي، ، دار الشروق، القاهرة، ط2، سنة 2002 .

77- **السياسية الشرعية** تقي الدين ابن تيمية ، ، ج 1/ 129 .الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة1.

78- **شجرة المعارف** عز الدين بن عبد السلام، ، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ،دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الاولى، 2003.

79- **شرح التبصرة والتذكرة** عبدالرحيم العراقي، ، تحقيق ماهر يس الفحل ، دار الكتب العلمية بيروت ، 2002م ،ج1

80- **شروط النهضة،** مالك بن نبي، دار الفكر والفن، الطبعة العاشرة،

81- **الشيخ الغزالي كما عرفته،** يوسف القرضاوي،

82- **الشيخ الغزالي والفكر الاجتهادي** إبراهيم نويري، ، نقلا عن الموقع: 10-11-2021.، .

83- **الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية** د محمد عمارة، ، الطبعة الأولى 2006 .

84- **الشيخ محمد الغزالي تاريخه، وجهوده، وآراؤه** عويس عبد الحليم، ، دمشق دار القلم.

85- **الشيخ محمد الغزالي شاهد على العصر** عمر بطيشة، دار الفاروق، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2010.

86- **الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود** مسعود فلوسي، ، مكتبة وهبة القاهرة، 2003،

87- **صحيح البخاري المسمى الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله علي وسلم وسننه وأيامه** للإمام أبوعبدالله محمد اسماعيل البخاري تحقيق محمد زهير بن الناصر ناصر دار طوق النجاة بيروت

88- **صحيح مسلم** للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري ط / إحياء التراث الإسلامي بيروت تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

89- **الصحاح** الجوهري، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2009،
90- **الطريق من هنا**، محمد الغزالي، دار الشروق.
91- **الظاهرة القرآنية** مالك بن نبي، ، دار الفكر ، دمشق سوريا ،سنة 2000
92- **الدين والظمأ الانطولوجي** عبد الجبار الرفاعي، مؤسسة بلا حدود للدراسات والأبحاث.

93- **علم الكلام الجديد** عبدالجبار الرفاعي، ،الطبعة الأولى، دار التنوير للنشر والتوزيع
94- **علماء ومفكرين عرفتهم** محمد مجذوب دار الشروق الطبعة الرابعة.
95- **العمل الإسلامي بدائل وخيارات** ، محمد الحمدوي ،الطبعة الأولى 2016 .اصدارات حركة التوحيد والإصلاح المغربية
96- **عودة الحجاب**، محمد بن أحمد المقدم، ط10،ج2، دار طبية للنشر والتوزيع، الرياض 2006.
97- **الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب دراسة في التدافع الاجتماعي** فريد الأنصاري دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
98- **فقه التدين** عبدالمجيد النجار دار قرطبة الطبعة الثالثة.
99- **فقه الثورة مراجعات في الفقه السياسي الإسلامي** احمد الريسوني ،دار الكلمة للنشر والتوزيع ،الطبعة 1 2013.
100-**فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري** سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ، الجزء الأول، الطبعة الأولى، وكالة شؤون المطبوعات والنشر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية،
101-**الفقيه والمتفقه** الخطيب البغدادي، دار ابن الجوزي.
102-**الفكر الإسلامي وقضايانا السياسية المعاصرة** احمد الريسوني، ، ،دار الكلمة للنشر والتوزيع ، الطبعة 3 ، 2014.
103-**الفكر السياسي عند الشيخ الغزالي** خالد حباسي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير 2003م

104-**القاموس المحيط** ا لفيروزيادي: ، دار الكتاب العربي، دط، 1306-1307هـ.
105-**القرآن إعجاز تشريعي متجدد** محمود احمد الزين ، ، دار البحوث للدراسات الإسلامية ، 2004 .
106-**قصة الحضارة** ول ديورانت، ، ج2، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت 1988.
107-**قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري** صفاء عوفى، ، رسالة ماجستير، جامعة غزة ، فلسطين. 2005،
108-**القواعد الكبرى** عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، تحقيق نزيه كمال حماد ، دار القلم ، الطبعة1 ،2000.
109-**لا إله إلا الله عقيدة وشريعة منهاج حياة**، محمد قطب
110-**لسان العرب (مادة خطب)**، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، مصر،
111-**ما الخطاب وكيف نحلله** عبد الواسع الحميري ، الطبعة الأولى، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبان، 2009،
112-**مجالات الدعوة وتطبيقاتها على النصيحة الشرعية**، بدرالدين زواقة، **من مقال** موقع ضياء للمؤتمرات.
113-**مجلة إسلامية المعرفة** طه جابر العلوان ، ،شيخنا محمد الغزالي وصفحات من حياته.
114-**مجلة إسلامية المعرفة**، هيئة التحرير ، عدد 89، 2017.
115-**مجلة المسلم المعاصر**، حوار مع الشيخ محمد الغزالي .
116-**محمد الغزالي داعية النهضة الإسلامية** محمود عبده، ، ط 1 ، مكتبة مؤمن قريش ، بيروت 2009
117-**محمد الغزالي قصة حياة**، مجلة إسلامية المعرفة العدد السابع . منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي إعداد محمد جلال لاشين .

118-**المدخل السنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم** برغوث طيب، ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط 1، 2016

119-**المرأة بين الفقه والقانون**، مصطفى السباعي، مكتبة الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط1 ، 1999،

120-**المرأة عند قدماء اليونان** محمود سلام زناتي، ، الإسكندرية، 1957

121-**المرأة في القديم والحديث** عمر رضا كحالة، ، ط 1، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت. 1979،.

122-**المرأة والإسلام** غادة الخرسا، ، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، الطبعة الأولى. 1980،

123-**مراجعات في تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين** زينب العلواني ، ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

124-**مرتكزات الفكر الدعوي عند الشيخ الغزالي** يوسف بلمهدي، ، من كتاب منهج الشيخ محمد الغزالي في التجديد والإصلاح.

125-**مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف**، محمد الغزالي، القاهرة، دار الشروق، 1997م .

126-**مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية** محمد عمارة، ، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 2003،

127-**مستويات الخطاب دراسة نحوية تطبيقية في الصحيح من الأحاديث القدسية** إيمان إسماعيل علي الذواذي، ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، 2017،

128-**مشكات المصابيح** الخطيب التبريزي ، ، كتاب العلم الفصل الأول ج1 تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني.

129-**مشكلات في طريق الحياة الإسلامية**، محمد الغزالي

130-**مشكلة التجديد الفكري والفلسفي عند مالك بن نبي** فايزة بوثلجة، ، مجلة الدراسات، جامعة قسنطينة 2، الجزائر. المجلد السابع، العدد الثاني، 2020،

131-**المصباح المنير** احمد بن محمد الفيومي ، مؤسسة دار الهجرة، ط1.
132-**مع القرآن دراسات و نظرات** مأمون فريز جرار، ، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط 1 ، 2014م . .

133-**معالم المنهج المطلوب في تجديد الخطاب الديني الإسلامي** محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، ، المجلة السياسية والدولية، جامعة المستنصرية، العراق، العدد 39، 2019.
134-**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ابن القيم الجوزية، ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
135-**مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين** محمود الطحان، ، الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث، الكويت، 1986.
136-**مفهوم تجديد الدين** بسطامي محمد، ، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث السعودية، المملكة العربية السعودية، 2015.
137-**مقارنة الأديان** أحمد شلبي، ، ج3، مكتبة النهضة الإسلامية، مصر1973.
138-**مقاصد الشريعة** عبد الجبار الرفاعي، ، حوار مع طه جابر العلواني، دار الفكر، دمشق، سنة 2001 .
139-**مقاصد الشريعة عند بن تيمية** يوسف محمد البدوي، ، دار النفائس ابن تيمية .
140-**مقاصد الشريعة ومكارمها**، علال الفاسي .دار النشر للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق إسماعيل الحسني.
141-**مقاصد القرآن الكريم عند الشيخ ابن عاشور** هيا ثامر مفتاح ، ، مجلة كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية جامعة قطر ، العدد 29 ،2011،
142-**مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة و العمران** ماهر حسين حصوة "، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 79، 2017،
143-**مقاصد القرآن في فكر النورسي** زياد خليل محمد ، ، حولية كلية الشريعة و القانون و الدراسات الإسلامية ، جامعة قطر ع 21 سنة 2003.

144-**مقال الخصائص المنهجية لحركة التوحيد والإصلاح**، أحمد الريسوني كتاب اشغال ندوة مجلس الشورى حركة التوحيد والإصلاح_المغرب_ ،طبعة 2017 .
145-**مكانة المرأة في التشريع الإسلامي** محمد حسن، ، ج4، مركز دراسات المرأة والتنمية جامعة الأزهر(،القاهرة. 1977.
146-**مكانة المرأة في الحضارات القديمة** نوال بورحلة، ، مجلة العلوم والإنسانية والاجتماعية، العدد 31، جامعة ورقلة. 2017، الملتقى الوطني الأول) أفريل 2001.
147-**مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام ومقارنتها مع واقعها ومكانتها بعد الإسلام** مريم إبراهيم أبو كشوة، ، من أعمال الملتقى الدولي الأول للسيرة النبوية الشريفة، الخرطوم السودان2013 .
148-**من أجل صحوة راشدة** يوسف القرضاوي، ، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، مصر .
149-**من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة** عبدالله العقيل سليمان العقيل الطبعة الثالثة 2005م
150-**من فقه الدولة في الإسلام** يوسف القرضاوي ، ، دار الشروق الطبعة 3، 2001.
151-**منطلقات الخطاب الديني عند محمد الغزالي قراءة في رسالة مصدر الاعتقاد الحق** الشريف حبيلة، ، مجلة الآداب، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، المجلد 21، العدد الأول، ديسمبر 2021،
152-**منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية** فتحي حسن الملكاوي ، ، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، سنة 2020 م
153-**منهج التجديد في علم الكلام عند عبد المجيد الجبار** الشيخ خليفي، ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، المجلد 32، العدد الثاني، ديسمبر 2018.
154-**منهج الدعوة عند الإباضية** محمد صالح ناصر، ، الطبعة الخامسة، دار ناصر للنشر والتوزيع، دار البيضاء، الجزائر، 2013.

155-**الموافقات** ابراهيم بن موسى الشاطبي ، ، دار ابن عفان القاهرة ، ط 1 ،1997م ، ج 1.
156-**موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر العثماني** د.مفيد الزيدي دار أسامة للنشر والتوزيع.
157-**الموقف المتغير للمرأة في شبه الجزيرة العربية في ظل الإسلام**، فريال عبدالله السليمانيط1986
158-**مئوية الإمام الغزالي** عماد الدين خليل ، ، المجلد الأول ، دار المقاصد 2018
159-**مئوية الإمام الغزالي**، مجموعة مؤلفين، دار المقاصد،2018.
160-ناي بتسادون ، **حقوق المرأة**، ترجمة وجيه البعنيني، دار عويدات للنشر والطباعة، لبنان2012
161-**نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم** محمد الغزالي، دار الشروق.
162-**نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام** علي سامي النشار ، دار المعرف بمصر ط 5 1981 م .
163-**نظام الحكم والإدارة في الإسلام**، محمد مهدي شمس الدين، دار حمد للطباعة والنشر.
164-**النظريات السياسية الإسلامية** لمحمد ضياء الدين الريس، ، مكتبة دار التراث، الطبعة7.
165-**نظرية التجديد الأصولي من الإشكال إلى التحرير** الحسان شهيد، ، الطبعة الأولى، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، 2012،
166-**نظرية الخطاب مقاربة تأسيسية** عبد الواسع الحميري، ، الطبعة الأولى، دار الانتشار العربي، بيروت، لبان، 2015.
167-**نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي** احمد الريسوني، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

168-**النقاط المنهجية لتحليل الحديث الشريف،** حمزة المليباري، الملتقى الدولي حول السنة النبوية بين الفهم السديد والواقع المعيش، منشورات مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة، ط1، سنة 2012م،.

169-**نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم.** محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، دار السلام، الطبعة1، 2014 .

170-**نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم،** الطاهر بن عاشور، دار اللؤلؤة.

171-**وسائل الخطاب الدعوي في ضوء التجديد** مسيرة أحمد محمد أحمد، ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الرباط الوطني، المغرب، 2018،

فهرس رسائل الماجستير والدكتوراه

1- **تجديد الخطاب الدعوي للشباب والمراهقين في العصر الحديث** ،نبيلة بشارة يوسف عبدالله، ، رسالة ماجيستير غير منشورة، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا ،2014،

2- **التجديد في الفكر الإسلامي**، عدنان محمد أمامة، ، أطروحة دكتوراه منشورة، الطبعة 1ا، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2003،

3-**الفكر السياسي عند الشيخ الغزالي**، خالد حباسي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير 2003م

4- **وسائل الخطاب الدعوي في ضوء التجديد**، مسيرة أحمد محمد أحمد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الرباط الوطني، المغرب، 2018،

فهرس المجلات والمقالات العلمية ومواقع النت

1- "**مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة و العمران** ماهر حسين حصوة ، "، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 79، 2017

2- **تجديد الخطاب الاسلامي المعاصر** هشام يسري العربي، ، بحث مقدم لمؤتمر بناء الشخصية المسلمة ،القاهرة ، 2012

3-**التجديد: الدعوة والدعوى** عبد الله بن بيه، ، مجلة الموطأ، مركز الموطأ، الإمارات العربية المتحدة، العدد الثاني، 2018

4-**الخطاب الديني بين التجديد والتبديد** جمال نصار، ، مجلة قضايا، مركز الجزيرة للدراسات، ماي 2015، نقلا عن الموقعّ،

5-**دور الشيخ الغزالي في ترشيد الواقع الإسلامي**، عمار جيدل، منهج الشيخ في التجديد والإصلاح (أعمال الملتقى الوطني الأول) أفريل 2001م

6-**الشيخ الغزالي والفكر الاجتهادي**، إبراهيم نويري، نقلا عن الموقع: 10-11-2021.

7-**لا سنة من غير فقه**، محمد الغزالي، ملتقى الفكر الإسلامي السادس عشر، السنة النبوية الشريفة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، تلمسان، 6-13 شوال1402هـ/ 27 يوليو 03 أغسطس 1982م، كتاب الأصالة

8-**مجلة إسلامية المعرفة**، طه جابر العلوان، ،شيخنا محمد الغزالي وصفحات من حياته،

9- **مجلة إسلامية المعرفة**، هيئة التحرير ، عدد 89، 2017

10- **مجلة المسلم المعاصر**، حوار مع الشيخ محمد الغزالي

11- **محمد الغزالي قصة حياة**، مجلة إسلامية المعرفة العدد السابع . منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

12- **مشكلة التجديد الفكري والفلسفي عند مالك بن نبي**، فايزة بوثلجة، مجلة الدراسات، جامعة قسنطينة 2، الجزائر. المجلد السابع، العدد الثاني، 2020.

13- **منطلقات الخطاب الديني عند محمد الغزالي قراءة في رسالة مصدر الاعتقاد الحق**، الشريف حبيلة، مجلة الآداب، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، المجلد 21، العدد الأول، ديسمبر 2021،

14- **منهج التجديد في علم الكلام عند عبد المجيد الجبار** الشيخ خليفي، ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر، المجلد 32، العدد الثاني، ديسمبر 2018

15- **النقاط المنهجية لتحليل الحديث الشريف**، حمزة المليباري، الملتقى الدولي حول السنة النبوية بين الفهم السديد والواقع المعيش، منشورات مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة، ط1، سنة 2012م

16- **الأصالة والمعاصرة، خصيصتان من خصائص الدعوة الإسلامية**، محمد أبو الفتح البيانوني، ، مجلة جامعة محمد بن سعود،العدد الاول 1989م

فهرس موضوعات البحث

الاهداء 03

المقدمة 04

الفصل التمهيدي : الاطار المفاهيمي للدراسة 12

المبحث الأول: مفهوم الخطاب والدعوة.....15

المطلب الأول: تعريف الخطاب لغة واصطلاحا.....15

المطلب الثاني: أنواع وعناصر الخطاب.....21

المطلب الثالث: تعريف الدعوة لغة واصطلاحا.....22

المطلب الرابع: أهمية الدعوة إلى الله وطرقها.....25

المبحث الثاني: الخطاب الدعوي المعاصر 29

المطلب الأول: الخطاب الدعوي المعاصر.....29

المطلب الثاني: الخطاب الدعوي وخصائصه.....31

المطلب الثالث: وسائل وأنواع الخطاب الدعوي.....33

المبحث الثالث: تجديد الخطاب الدعوي.....38

المطلب الأول: مفهوم تجديد الخطاب الديني ودوافعه 38

المطلب الثاني: محاور التجديد في الخطاب الدعوي ومجالاته 60

المطلب الثالث: ضوابط تجديد الخطاب الدعوي 62

المطلب الرابع: تجديد الخطاب الدعوي في فكر الشيخ محمد الغزالي.....67

الفصل الاول : محطات من حياة محمد الغزالي 75

المبحث الأول: السيرة الذاتية لمحمد الغزالي 75

المطلب الأول: النسب والأسرة والمولد.....75

المطلب الثاني: أبرز المحطات في حياة الإمام الغزالي.....75

المطلب الثالث: ملامح شخصية الغزالي.....77

المبحث الثاني: منطلقات تكوين شخصية الغزالي 85

المطلب الأول: العوامل المؤثرة في تكوين شخصية محمد الغزالي 85

المطلب الثاني: تأثير البيئة المحيطة على شخصية محمد الغزالي 89

المطلب الثالث: أبرز الشخصيات في حياة محمد الغزالي.....95

المبحث الثالث: الإنتاج الفكري لمحمد الغزالي 97

المطلب الأول: الآثار العلمية لمحمد الغزالي 97

المطلب الثاني : شهادات حول محمد الغزالي وفكره.....102

الفصل الثاني : التجديد في الفكر والتصور.....111

المبحث الأول: العقيدة الإسلامية والفعالية الحضارية.....113

المطلب الأول: علم الكلام النشأة والتطور 114

المطلب الثاني: معالم منهجية في علم العقيدة عند محمد الغزالي 118

المطلب الثالث: التوحيد منظومة خلاص الإنسانية 133

المطلب الرابع: علم الكلام في فكر محمد الغزالي 135

المبحث الثاني: محورية القرآن الكريم في الخطاب الدعوي 148

المطلب الأول: القرآن الكريم فهما وتنزيلا.....152

المطلب الثاني: الوعي المعرفي في قراءة الوحي 157

المطلب الثالث: المقاصد القرآنية أساس الخطاب الدعوي المعاصر.....166

المطلب الرابع: المقاصد القرآنية في فكر الغزالي 170

المبحث الثالث: السنة النبوية في الخطاب الدعوي المعاصر.....175

المطلب الأول: مفهوم السنة النبوية أقسامها وحجيتها 178

المطلب الثاني: مقاصد الشريعة و السنة النبوية.....185

المطلب الثالث: السنة النبوية في فكر محمد الغزالي.....207

الفصل الثالث : من قضايا التجديد في الخطاب الدعوي المعاصر.....215

المبحث الأول: المرأة في الخطاب الإسلامي المعاصر.....217

المطلب الأول: المرأة عبر الحضارات والديانات المختلفة 218

المطلب الثاني: المرأة في الإسلام رؤية حضارية.....229

المطلب الثالث: المرأة في فكر محمد الغزالي 233

المبحث الثاني:التربية والتزكية في الخطاب الدعوي المعاصر.....245

المطلب الأول : الأخلاق والإيمان المفهوم والعلاقة.....247

المطلب الثاني :التربية الأخلاقية في فكر محمد الغزالي.....257

المطلب الثالث : منهج التزكية والتربية في فكر محمد الغزالي.....275

المبحث الثالث :الخطاب الدعوي و شؤون الحكم والسياسة.....283

المطلب الأول: الرؤية الحضارية لعلاقة الدعوة بالسياسية.....284

المطلب الثاني: الأحكام السياسية في سلم الترتيب التشريعي.....285

المطلب الثالث: أسس نظام الحكم في الإسلام.....296

المطلب الرابع: السياسة بين إقامة الدين وتنظيم الدولة.....301

خاتمة 308

الفهارس 215

ملخص البحث

الخطاب الدعوي المعاصر جهد بشري في سبيل بيان كليات الإسلام ومقاصده على مستوى الفرد والجماعة، ويمكن وصفه بأنه المدارسة الدائمة لمختلف الوقائع والاحداث على مسرح التاريخ الإنساني، ومحاكمتها إلى قيم ومقاصد الشريعة الخاتمة، انطلاقا من الخاصية القائمة فيها أصالة–الثبات والمرونة–، ثبات في المبادي والقيم والأصول ومرونة في الفروع والوسائل، وفق قواعد معرفية حضارية صارمة، مؤصلة بنصوص الوحي، متفاعلة مع المتغيرات والمستجدات في مختلف الشؤون والقضايا.

حمل الخطاب الدعوي للشيخ محمد الغزالي ثراء معرفيا يضاف إلى رصيد الدعوة الإسلامية، وفيه محاولات جادة ووازنة في توجيه مسار الدعوة الإسلامية، وصياغة قراءات ورؤى متجددة متفاعلة مع روح العصر وفلسفته.

جاءت هذه الدراسة في سياق الوقوف على المشهد الدعوي في بعض جوانبه التي نعتقد أنها ضرورية في تقييم وتقويم حركة الدعوة الإسلامية في مسارها الحديث، وفق منهج علمي موضوعي.

تناولت–الدراسة– في مجملها موضوع التجديد في الخطاب الدعوي المعاصر من خلال استدعاء أفكار الشيخ محمد الغزالي ومنهجه في علاج قضايا الراهن الدعوي المعاصر، ووضع معالم للرؤية الإصلاحية في مختلف الميادين التي تناولها في تراثه.

توزعت–الدراسة– عبر فصول أربعة: مدخل مفاهيمي تمهيدي لمفردات البحث الأساسية الخاصة بالدراسة (الخطاب، الدعوة، التجديد..)، أما الفصل الأول فكان حول شخصية الإمام محمد الغزالي، مركزة على أهم المحطات والمنطلقات والإنتاج المعرفي والفكري في مسيرته الدعوية. وجاء الفصل الثاني معالجا لموضوع التجديد في الفكر والتصور كضرورة في خطة البحث. ناقش قضايا التجديد في علم الكلام وأساليب عرض القضايا الإيمانية والعقدية في الواقع الإنساني المعاصر، عرض بعدها على موضوع مركزية القرآن الكريم في الخطاب الدعوي، وأهمية القراءة المقاصدية لنصوص الوحي وأحكامه، ومبحث ثالث خاص بالقراءة المعاصرة لنصوص السنة النبوية المطهرة. وفي الفصل الثالث رصدت الدراسة ثلاث قضايا دعوية معاصرة ملحة في الخطاب الإسلامي: قضايا المرأة ودورها

الحضاري، وموضوع التربية والتزكية ومكانته في الخطاب الدعوي المعاصر، ومبحث حول العلاقة بين الدعوة وشؤون الحكم والسياسة.

خلصت الدراسة في ختامها بالتأكيد على ضرورة التجديد في الخطاب الدعوي كحتمية سننية وحضارية في مسار الدعوة الإسلامية، كما قدمت توصيات هامة حول تراث الإمام الغزالي الذي لا يزال- حسب رأيي- خصبا في أسلوبه ومضمونه، ثريا للإفادة منه في قضايا الدعوة الإسلامية وشؤون النهضة والإصلاح.

Research Summary

Contemporary advocacy discourse is a human effort in order to clarify the faculties of Islam and its purposes at the level of the individual and the group, and it can be described as the permanent study of facts and events in the theater of human history, and their trial to the values and purposes of the final Sharia, based on the list in originality - constancy and flexibility -, constancy in principles, values, assets and flexibility In branches and means, according to strict rules of cultural knowledge, and interacting with changes and developments in various affairs and issues.

The preaching discourse of Sheikh Muhammad Al-Ghazali carried a wealth of knowledge added to the balance of the Islamic call, and it contains serious and balanced attempts to direct the call, and to formulate readings and renewed visions interacting with the spirit of the era and its philosophy.

He explained his description of this study, including drawing and pattern.

The subject of the study dealt in its entirety with the issue of renewal in the subject of contemporary advocacy, invoking ideas on the subject of contemporary advocacy, and setting landmarks for the vision in the fight against torture in its heritage.

The study was distributed through four chapters: an introductory conceptual introduction to the basic research vocabulary of the study of the study (discourse, advocacy, renewal ..), while the first chapter was about the personality of Imam Muhammad al-Ghazali, focusing on the most important stations, starting points, and knowledge and intellectual production in his advocacy career. The second chapter dealt with the topic of renewal in thought and perception 2008 in the research plan. He discussed the issues of renewal in theology and the methods of presenting faith and dogmatic issues in contemporary law, after which he presented the subject of the Holy Qur'an in the preaching discourse, and the importance of the purposeful reading of the texts of revelation and its rulings, and a third discussion on the reading of the texts of the purified Prophet's Sunnah. In the third study, the study monitored three issues studying issues of equality in Islamic discourse: women's issues and their civilized role, the subject of education and acclamation and its place in the contemporary advocacy discourse, and a study on the relationship between the subject and politics and politics.

The study concluded in the study in its conclusion definitely, and definitively in issues related to advocacy and reform.